الأجسام الطائرة المجهولة

تأليف:

أ - كوزوفكين

أ - سيمنيوف

آ - غوربوفسكي

م - دميتروك



ترجمة:

- د. ماجد علاء الدين

د.محمد مخلوف

منحة 2006

SIDA

السويد

الأجسام الطائرة المجهولة

خصب خيال أم حقيقة

تأليف :

أ . كوزوفكين

أ . سيمنيوف

آ . غوربوفسكي

م . دميتروك

الأجسام الطائرة المجهولة

خصب خيال أم حقيقة

ترجمة :

د . ماجد علاء الدين

د . محمد مخلوف



الطبعة الأولى ـ دمشق ـ ١٩٩٣
١٠٠٠ نسخة

التدقيق اللغوي: نذير المازرلي
تصميم الغلاف : محمد الركوعي
تنضيد الكتروني : دار المستقبل

عنوان الناشر :

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق ـ ص . ب : ٣٠٥٩٨
هاتف : ٤٢٧١٥٨ ـ ٤٢٧٣٥٣
فاكس : ٢٧١٥٩
تلكس : ٤١٢٥٤٥

خطر الخنجر.... أم....

أقاويل كثيرة عن مثلث برمودا وبحر الشيطان وأماكن أخرى ذائعة الصيت.

تسعة عشر عاما بقيت السفينة الكينية "موريا" تمخر عباب المحيط قبالة الشواطئ الافريقية، دون أن يحدث لها ما ينبئ بسوء حظ أو كارثة، وحتى قبل مغادرتها - في آخر رحلة لها - ميناء مومباس متجهة إلى كيسمايا جرت الأمور على أحسن حال، فقد أبحرت "موريا" بأمان بطاقمها المكون من تسعة أشخاص وبحمولة تقارب ثلاثمائة طن، غير أن زمن الإبحار بين المرفأين الذي لا يتجاوز ستة وثلاثين ساعة طال حتى تجاوز يومين ثم أسبوعين لذلك نظم بحث عن "موريا" استمر قرابة شهر، لكنه لم يعط أية نتيجة، فلم يعثر على أي أثر للسفينة ولا على الشواطئ القريبة ولم يظهر أي دليل على وقوع كارثة على متنها وغرقها، لقد اختفت "موريا"بلا أثر.... (١)

إن مثل هذه الأخبار تنشر من وقت لآخر على صفحات الجرائد مرفقة بوصف للحالة الجوية السائدة عند وقوع الحادث، والتي توصف على الأرجح بالجودة والاستقرارية، كما يقال عادة عن القبطان والبحارة بأنهم قد يرون خبراء وماهرون، وعلى الرغم من هذا، فإن حوادث فقدان السفن تتكرر باستمرار دون تمييز بين سفينة صغيرة وكبيرة أو قديمة وحديثة.

مثل هذا مثلا حدث للسفينة "اورانج ميدانج" عام ١٩٤٨ خلال عبورها مضيق مالاكي متجهة إلى سنغافورة، فالحالة الجوية آنذاك كانت جيدة ومستقرة، لكن عامل الرادار في سنغافورة تلقى برقية من السفينة تقول: " لم يبق حي على متن السفينة سوى...." تلاها بضع إشارات غير مفهومة، ثم: "إني أحتضر..." . لذلك اتجه عمال الإنقاذ السنغافوريون إلى الموقع المتوقع وجود السفينة فيه، فوجدوها عائمة على مسافة حوالي خمسين ميلا منه، وما إن صعدوا ظهرها حتى أصيبوا بالذهول والخوف، فقد كان طاقم السفينة ميتا، بما فيه كلبها، والأجساد مبعثرة في مناطق عديدة منها، وعلى وجوه الأموات نظرة ملؤها الخوف والرهبة، ورغم البحث الدقيق عن سبب موت طاقم السفينة، فإن العلم بقي عاجزا عن إيجاد ذلك السبب، لكن شيئا واحدا بقي أكيدا ولا يحتمل الشك: لقد كان سبب موت الطاقم واحدا (٢).

ومثل هذه الحوادث كثيرة الوقوع، فحسب إحصائيات شركة الضمان البحري الانكليزية "لويد"يتعرض حوالي ٢٥٠ سفينة سنويا لكوارث في عرض البحر، كما

ويختفي قسم منها بلا أثر، ويعثر على قسم آخر في حالة تشبه حالة السفينة "اورنغ ميدانغ" السابقة الذكر، ويجد المنقذون أحيانا ما يعرف بـ "السفن الطائرة"،وهي سفن فارغة لا أحد على متنها.

أما أكثر المناطق شهرة بالكوارث البحرية فهي المنطقة المعروفة بـ "مثلث برمودا" الذي هو جزء من المحيط واقع بين برمودا وفلوريدا وبورتوريكا، كما تؤكد أبحاث العالم الأميركي ساندرسون أن تسعة مناطق أخرى في العالم تتصف بنفس سوء السمعة التي يتصف بها مثلث برمودا، والغريب في الأمر أن هذه المناطق متوضعة على جانبي خط الاستواء وبشكل متناظر تماما بالنسبة له، إذ أن توضعها يتكرر بعد كل ٧٢ درجة بخطوط الطول، غير أن أرهب وأفظع المناطق بعد برمودا هي منطقة "بحر الشيطان"، التي تقع بين هونغ كونغ والفلبين وتايوان، والتي فقدت فيها مئات السفن بلا أثر، ويعتبر بعض الباحثين القطبين الجنوبي والشمالي من المناطق السيئة السمعة أيضا، فالوثائق التاريخية تشير بوضوح إلى أن الإنسان ومنذ عرف البحر والإبحار وحتى اليوم يعاني من المشاكل في هذه المناطق، ومنذ اخترع الطائرة وطوّع الجو صار يواجه أشباه هذه المشاكل البحرية ولكن في الجو وليس في البحر فقط، لذلك أضيف منذ مدة غير بعيدة مثلث آخر إلى قائمة المثلثات : الألغاز، لا يقع في عرض البحر كأقرانه بل في سماء صحراء نيفادا الأميركية، فقد ذكرت الصحف الاميركية بأن خمس عشرة حادثة جوية وقعت في هذه المنطقة كما واختفت بضع طائرات فوقها بلا أثر، وقد أكدت الصحف السوفيتية عدة مرات وقوع حوادث جوية غريبة فوق صحراء نيفادا، فها هي صحيفة "البرافدا" تكتب في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١٠/١٧ مايلي: "يستمر البحث في ولاية نيفادا عن طائرة جد سرية مزودة بتكنولوجيا "ستيلس" الحديثة وقد فقدت في ظروف غامضة، وتقول معلومات وكالة سي.بي.اس إن فرق الإنقاذ تتابع تمشيط المنطقة الصحراوية بحثا عن طائرة اختفت مساء يوم الأربعاء على مسافة حوالي ١٦٠كم إلى الشمال الغربي من لاس فيجاس".

والمناطق الآنفة الذكر ليست الوحيدة في عالمنا التي تحمل في أعماقها لغزا يرعب الإنسان ويدفعه نحو اكتشاف كنهه وحله، لذا لابد من التعرض لذكر مناطق أخرى تقع فيها حوادث عجيبة غريبة، وذلك من أجل الحصول على صورة أوضح وأجلى:

تقع إحدى هذه المناطق وسط كاجيمسك التي في مقاطعة كراسنويارسك السوفيتية، وهي عبارة عن مرج صغير يسميه السكان المحليون "مقبرة الشياطين"، ويتجنبه الرعاة مفضلين الالتفاف حوله للوصول إلى مراعيهم، ذلك لأن لدى الجميع قناعة بأن ذلك المرج يبتلع كل من يقترب منه، وقد وصفه أحد الرعاة: إنه مرج دائري الشكل،

يبلغ قطره حوالي ٢٠٠ م، يبعث الهلع في النفس عند الاقتراب منه، وترى فيه بوضوح بقايا عظام وجلود حيوانات وطيور، أما أغصان الأشجار فعارية من الورق تماما من جهته ويوحي شكلها بأن حريقا التهمها، والمرج نفسه خال تماما من النباتات، وقد حدث أن اقتربت منه كلاب الرعاة مرة فلم تلبث أن غادرته مذعورة، ولم تقرب الطعام بعد ذلك حتى ماتت من شدة الوهن والضعف.

وفي الهند توجد أيضا منطقة لغز ذكرها أن .اف. كافيشينكوف في معرض تحليله للقصة التالية المنقولة عن لسان صياد هندي (من كتاب عربة جاناتا مها): "توجد في القسم الشمالي الجبلي من منطقتنا وهدة عميقة يسميها السكان المحليون بئر الآلهة بهيرابا، ويعتقد بأن آلهة تقطنها، ولا تسمح لأحد بالنزول إلى قاعها عدا القردة التي تقصد قاعها بحثا عن الطعام. وقد دفعت جرأة القردة بعض المغامرين إلى محاولة بلوغ قاع الوهدة منذ بضعة أعوام، غير أن أحدا لم يعد أدراجه قط...

ومنذ مدة قدر لي أن أرافق أحد الموظفين الكبار، الذي سرعان ما ركب رأسه واطلق العنان لعناده عندما حدثته عن تلك الوهدة، وأمرني بإيقاف السيارة شارحا لي بأن كل هذا ضرب من ضروب الخيال والضعف أمام غرابة الطبيعة، ثم نزل الموظف من السيارة واتجه نحو حافة الوهدة، لكن لم تمض برهة على وقوفه على حافتها حتى عاد أدراجه لاهثا ومتنفسا بصعوبة شديدة، ثم فقد وعيه، وتوفي بعد يومين في المشفى دون أن يعود إليه رشده، أو أن ينبس ببنت شفه.

وبعد بضعة اشهر شاءت الأقدار أن أكون قرب الوهدة مرة أخرى، إذ كنت ألاحق فيلا متوحشا زرع الرعب في قلوب الناس، لكني - ورغم لحاقي به - لم أستطع قتله، لأنه بلغ حافة الوهدة، فخشيت أن يقع فيها إذا ما أطلقت عليه النار فلم أفعل، بل اكتفيت برؤيته على الحافة رافعا خرطومه إلى الاعلى كمن يستغيث بقوة سماوية، وبعد تلك الحادثة اختفى الفيل نهائيا ولم يره أحد بعدها أبدا.

وفي الاتحاد السوفيتي يوجد واحد آخر من هذه الأماكن - الألغاز، يقع - حسب معلومات الباحث ام. كي. غلوخوف - في ناحية تشاينسكوي من مقاطعة تومسك، ويعرف عند السكان المحليين بالرأس المميت، وهو عبارة عن قطعة من اليابسة في وسط مستنقع، ويُرى عن بعد كسفينة في عرض البحر أو - مكواة على طاولة الكي، يبلغ طوله حوالي ٣٠٠ م وعرضه ٢٠ - ٣٠ م، وتنمو عليه أشجار الصنوبر التي يتجاوز طولها خمسين مترا، وهو محاط بضباب لا ينقشع عنه طيلة أيام السنة، وبمجرد اقتراب المرء منه يزداد عدد نبضات قلبه، وتمتلئ نفسه بنفحة من الرعب وعدم الراحة، لذا لايقترب منه عادة السكان المحليون ولا حتى الكلاب الشاردة هناك.

هكذا فإنه يوجد على كرتنا الارضية عدد قليل من الأماكن الشيطانية التي طالما شدت إليها انتباه الناس وعمقت في نفوسهم حب الإطلاع والاكتشاف، مما دفعهم إلى تدوين الحوادث التي وقعت في هذه الأماكن، والى البحث الجاد عن تفسير منطقي لها.

فالمكتبي الاميركي ال. كوشيه أضاع ـ مثلا ـ خمسة عشر عاما من عمره في دراسة وتدقيق بضع مئات من الحوادث التي سجلت في محيط "مثلث برمودا"، ووضع كتابا ضخما جدا يُستنتج منه أن أغلب ما يقال عن هذا "المثلث" لا يتعدى كونه ضربا من ضروب الاختلاقات، ونتيجة مباشرة لخصوبة خيال الناس.

فمثلث برمودا "وبحرالشيطان" وغيرهما يتميزان بتقلبات جوية دائمة، أو بما يعرف بعدم استقرار الحالة الجوية، لذلك ليس مستبعداً أبدا أن يُفقد البحارة وتُفقد السفن هناك نتيجة عواصف بحرية مفاجئة، أو ظواهر طبيعة أخرى كالزوابع المائية الضخمة، التي اكتشفت منذ مدة قريبة في بحر سارغاس بواسطة الأقمار الصناعية، وتبين أن الواحدة منها تتألف من نواة باردة، يحيط بها خاتم أو دائرة من المياه الدافئة والمالحة يصل قطرها حتى ١٠ كم، ولها تأثير كبير على الطقس في المناطق المتاخمة لموقع تشكلها، كما وتؤدي إلى تشكل فتحات أو جيوب طولية في الغطاء السحابي.

لكن اذا كانت هذه الزوابع المجهولة المنشأ والمنتهى موجودة بالفعل، فهل بمقدروها تشكيل قمع أو ثقب هائل الحجم وقادر على ابتلاع سفينة ما تسبح منفردة في عرض البحر؟.

بالطبع تعطي هذه الفرضية تفسيرا مقبولا لحوادث اختفاء السفن والطائرات، لكن كيف لها أن تفسر ظاهرة السفن الطائرة التي سبق ذكرها، كذلك العثور على طائرات سليمة فقدت، ثم وجدت بدون طاقمها وكيف لها أن تفسر حادثة السفينة "اورنج ميدانج" التي وجد ركابها أمواتا، ونفحة الرعب تغطي وجوههم؟. ومن أين لها أن تقدم تفسيراً منطقياً لحادثة السفينة"ايبي اس هاروت" التي عثر عليها في عرض البحر، وقد فقد قبطانها عقله وأبحر على متنها بطاقم من الموتى؟...

إن الفرضية ليست وحيدة في مجالها، فهناك أيضا ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر ـ نظرية "أصوات البحر" التي أطلقها في ثلاثينات قرننا هذا الاكاديمي السوفييتي في .في. سوليكين، والتي ربما تعتبر أكثر موضوعية وجدية في تفسيرها للحوادث البحرية، فقد افترض سوليكين (ثم برهن فرضيته رياضيا العالم السوفييتي اندرييف) إمكانية تشكل موجات أو ذبذبات تحت صوتية فوق سطح الماء، وأن لهذه الموجات قوة هائلة، وبعد أبحاث ودراسات مخبرية وتجارب استغرقت وقتا طويلا أثبت الفيزيائي الاميركي ار. فورد والبروفيسور الفرنسي في. غافرو أن هذه الامواج التحت صوتية تشكل خطرا

شديدا على الإنسان والأشياء، فوجودها الضعيف والمؤقت (عندمايكون طولها حوالي ٦ هرتس) يسبب آلاما حادة في الرأس، ويبعث الخوف والهلع في النفس، أما وجودها أو تأثيرها الطويل فيؤدي إلى العمى والخلل الميكانيكي وبالتالي تؤدي إلى تحطمها، كما وللامواج التحت صوتية سرعة انتشار عالية جدا ٣٣٠ م/ ثا في الهواء، وأكبر من هذا بخمس مرات في الماء، كما وتتمتع بسرعة انطفاء أو انعدام بطيئة جدا، لذلك تملك فعلا قدرة كبيرة على مفاجأة البحارين أو الطيارين على حين غرة، وفي نهار صحو وأحوال جوية جيدة.

أما بالنسبة لظاهرة "السفن الطائرة"، فإننا نستطيع أيضا إيجاد تفسير لها منمق ومزخرف، هذا إذا ما غمرتنا رغبة عارمة بالقيام بذلك، كتلك الرغبة التي أوصلت أحد مفتشي الشرطة الدولية "الانتربول" وخفر السواحل الاميركية إلى الجزم بعدم وجود أية علاقة بين "مثلث برمودا" ومعظم حوادث اختفاء السفن في البحر الكاريبي، وخلال الأعوام الأخيرة على الأقل، ذلك لأن السفن التي اختفت وقعت فريسة بين أيدي قراصنة البحر المعاصرين، الذين يقومون بذلك بغرض استعمال السفن للاتجار بالمخدرات، فبعد الاستيلاء على السفينة، يقوم القراصنة بقتل طاقمها والقائه في البحر، ثم يبحرون بها مرة أو مرتين لتهريب المخدرات وبعد ذلك يتركونها لأمواج البحر تتلاعب بها.

كما ويمكن تفسير ظاهرة المرج الآنف الذكر، فقد يقول قائل: إن نسبة الإشعاعات الذرية في تلك المنطقة أكبر من الحد المتعارف عليه، وكلنا يعرف أن الاشعاعات الذرية هي الوحيدة القادرة على قتل الكائنات الحية دون تمييز بين إنسان أو كلب أو فيل أو طائر، وهي الوحيدة القادرة على تشكيل ظاهرة "اللمعان" أو "البريق" في الليالي الدامسة، وقد لوحظت هذه الظاهرة فعلا عدة مرات في مناطق مختلفة، غير أننا لم نتطرق بحديثنا لها حرصا على عدم الإطالة، كما وأن الإشعاعات الذرية الوحيدة التي كان بإمكانها قتل الموظف الحكومي الهندي، الذي اقترب من الوهدة التي ذكرناها سابقا ودون أن تلاحظ أية آثار لسبب الموت، هذا إذا ما صدقنا بالطبع كل ماجاء في حديث الصياد الهندي، الذي يجب علينا من أجل ان نكون صادقين معكم التنويه الى عدم خلوه من الاختلاقات، فمثلا لا يوجد تفسير منطقي لمقدرة القردة على النزول إلى قاع الوهدة بحثا عن الطعام، ومن غير المفهوم أيضا عدم تأثر الصياد نفسه رغم اقترابه من الوهدة عدة مرات.

كما وبالإمكان أيضا تفسير حادثة الطائرة المقاتلة "ستيلس" التي اختفت في الصحراء، ففي منطقة تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة ملايين آر يمكن لآلة أضخم من الطائرة أن تضيع دون أثر، وحتى لو وجدت تلك الطائرة، فإن البنتاغون لم يكن يرغب في

العودة إلى بحث هذه القضية لأسباب تتعلق بسريتها، إذن وباختصار شديد نستنتج مما ذكر آنفا أنه بالإمكان تفسير العديد من الحوادث الغريبة التي نصادفها، أو نكون شهود عيان لها، لا يمكن مطلقا تفسير كل الحوادث التي تقع انطلاقا من الفرضيات التفسيرية التي تطرقنا في حديثنا إليها، فلا الفتحات الطولية في المحيط ولا الموجات التحت الصوتية ولا الأشعة الذرية ولا السريةالتامة التي تحاط بها بعض التجارب، ليست كل هذه قادرة على تفسير الحادثة التالية مثلا:

ففي بداية سبعينات هذه القرن (حسب المجلة السويسرية "مياتهوفي" العدد (٤١ لعام ١٩٧٥) اختفت من شاشات رادارات مطار ميامي طائرة مدنية تابعة لشركة ناشينال أير لينز وعلى متنها ٢٧ راكبا، وذلك قبل عشرين دقيقة من موعد هبوطها في المطار المذكور، لكن بعد عشر دقائق ظهرت الطائرة من جديد على شاشات الرادارات، ومن ثم هبطت في مطار ميامي، ولما عرف الطاقم بالبلبلة التي سادت المطار خلال نصف الساعة التي سبقت هبوط الطائرة، (استغرب ذلك جدا، لأن كل شيء سار على متن الطائرة على أحسن شاكلة، لكن البحث أكد بالفعل وجود أسباب لتلك البلبلة، فقد اكتشف أن كل الساعات على متن الطائرة تشير إلى زمن اقل من الزمن الحقيقي الجاري بمقدار عشر دقائق تماماً، هذا رغم عملية تدقيق الوقت بين المطار والطائرة والتي جرت قبل نصف ساعة من هبوطها، والتي دلت على تطابق تام في الوقت بين المطار والطائرة، فكيف تفسرون هذا، أدامكم الله؟.

ومراقبو الطيران المدني يعرفون تماما أن كثيراً من الطائرات تحط في المطارات قبل موعدها المحدد، رغم تقيدها التام بالسرعة والمجال المحددين لها، فهل هناك قوة خفية دفعتها وزادت من سرعتها دون أن يظهر ذلك على عداد السرعة؟ أم كيف يحدث هذا يا عباد الله؟ بالطبع يوجد لدينا جواب لهذا السؤال لكن اسمحوا لنا بالتأخر بالرد قليلا، لأن هذا السؤال ليس الوحيد في مجاله، وليس الأوحد الذي سنحاول الرد عليه، بل هناك العديد من أمثاله، والتي نرجو أن نستطيع الإجابة عليها بمنطق وعقلانية، والأن وبما أننا اتفقنا على هذا، تعالوا ننطلق، نحو أسئلة ومشاكل أخرى.

عوالم مفقودة أم...؟

أحاديث عن حوادث غريبة أبطالها مخلوقات عجيبة

تحتوي أضابير الشرطة الكندية فيما تحتوى على ملف كبير خاص بما يعرف بوادي "مقطوعي الرؤوس"، الذي بدأ يبتلع فرائسه في نهاية القرن الماضي وينتقيهم بشكل خاص من بين النقابين عن الذهب، يقع ذلك الوادي في كلودايك الجديدة ولقب بهذا اللقب بعد وقوع مأساة الأخوة ماكليور، فعام ١٩٠٥ اتجه الأخوان وليام وفرانك ماكليور مع صديقهما روبرت قير إلى ذلك الوادي بحثا عن الذهب، ولم يعرف عنهم أي شيء خلال ثلاثة أعوام من مغادرتهم، غير أن أحد الصيادين اكتشف بعد ثلاث سنين هياكلهم العظمية بدون رؤوس، فسمي الوادي لذلك بوادي "مقطوعي الرؤوس"، ومع مرور الزمن ازداد عدد مثل تلك الحوادث وتوطدت تسمية الوادي، فابتلع عام ١٩٢١ النقاب جون اوبراتين، وبعد سنة من ذلك فقد هناك انغوس هول، وصيف عام ١٩٤٠ قتل فيه الصياد هومبرغ، وتكررت الحوادث واستمرت حتى أن الطائرات الحوامة بحثت عام ١٩٦٢ مدة شهرين عن أحد المفقودين دون جدوى، وبعد عام فقد شخصان آخر ان، ومن ثم عام ١٩٦٥ اختفت بعثة مكونة من سويديين وألماني قصدت الوادي بغرض الكشف عن سر فقدان النقابين هناك، وهذا ليس كل شيء فأضابير الشرطة الكندية تضم بين طياتها قوائم بأسماء من اختفى أو قتل في وادي "مقطوعي الرؤوس" أكبر بكثير من القائمة المذكورة للتو، كما تشير هذه الأضابير إلى أن معظم المفقودين تميزوا بقوة عضلية وجرأة كافيتين كي يدافع المرء عن نفسه وقت الخطر، لكن أحدا ما من المفقودين لم يبد أية مقاومة حسب ما تشير إليه قرائن أضابير الشرطة، بالطبع قد تكون عصابة ما أو بضع عصابات وراء مقتل أو فقدان النقابين عن الذهب في وادي "مقطوعي الرؤوس"، فمن المعروف أن مثل هذه العصابات قد مارست بالفعل القتل وسرقة الذهب تلك الأيام، غير أن لمعمر المستوطنة الهندية ناهاني - بيوت، القرية من الوادي رأي آخر في هذا الأمر، فهو متأكد أن كل حوادث الوادي من أفعال "القفازين" أي "الايتي" أو "أناس الثلج" حسب التسمية الهندية، وقناعة المعمر الهندي تلقي لنا الضوء على وجود كائن دوخ رؤوس المهتمين بهذه الأمور على مدى سنوات طوال، إنه

"رجل الثلج" أو إنسان الثلج" أو بيغ فوت" أو الماستي" كما يسمى في مناطق مختلفة من العالم، وبما أن هذا الكائن أدخل في قائمة أبطال الحوادث والظواهر الغريبة التي نتحدث عنها، فإننا مضطرون لتتبع بعض أخباره والبت في أمره.

تذكر بعض الوثائق الكندية القديمة أن كائنا شبيها بالإنسان قد أُسر في ايلا الواقعة في كولومبيا البريطانية عام ١٨٨٤ لكن للأسف الشديد لا تذكر تلك الوثائق أي شيء آخر عن ذلك الكائن أو عن مصيره، أما عام ١٩٢٤ فقد شوهد كائن شبيه بالإنسان بضع مرات في منطقة فليفستاف في ولاية أريزونا الاميركية، وقد أجمع كل من رآه على أن طوله حوالي سبعة أقدام، كما شوهد شبيه الإنسان في فلاتغودس في ولاية فرجينيا الغربية سنة ١٩٥٢ وقدر طوله آنذاك بتسعة أقدام، ووصف برائحة كريهة تفوح منه، وفي فيدسبورو (ولاية كارولينا الشمالية) شوهد "شبيه الإنسان عام ١٩٥٦ ، وقدر وزنه بحوالي ٣٠٠ كغ، وعلى مدى السنوات اللاحقة كثيرا ما شوهد "شبيه الإنسان" في ولايات تكساس وكاليفورنيا وأوكلاهوماوميسوري وايلينوس وبنسلفانيا وغيرها من الولايات الاميركية، وتقول التقارير إن "إنسان الثلج" قد شوهد أكثر من خمسين مرة خلال شهر آب من عام ١٩٧٣ في كاونتين وبنسلفانيا وحدهما، هذا عن الأعوام البعيدة نسبيا، أما في أيامنا هذه أو خلال السنوات الماضية القريبة فقد حدث أيضا وشوهد إنسان الثلج، فمنذ بضعة أعوام شاهد متسلق الجبال الشهير ريشولد ميستر مرتين الكائن "ايتي"، وذلك خلال تسلقه الأخير لأعلى قمة في العالم، وقد وصف ريشولد ذلك الكائن على أنه مخلوق يمشي على رجلين قصيرين، يبلغ طوله مترين وكل جسده عدا الوجه مغطى بما يشبه الصوف الأسود الكثيف، غير أن متسلق الجبال لم يستطع التقاط صورة لذلك الكائن رغم وجود آلة تصوير لديه، فقد اصيب بالدهشة الكبيرة عند اللقاء الأول ولم يحرك ساكنا، أما اللقاء الثاني فتم ليلا مما لم يسمح له بالتصوير، وهذان اللقاءان وأمثالهما من حوادث مشاهدة "إنسان الثلج" أرغمت الباحثين على القيام بمحاولاتعديدة لتتبع آثاره أو اصطياده، فقد ذكرت جريدة "برافدا السوفيتية" في عددها الصادر في ١٩٨٨/٨/١٩ أن الراعي خليل الدين جوارييف رأى "إنسان الثلج" في جبال كيكيرياتو شمال غرب تيان شان، وأن ذلك الكائن قد ترك آثاره واضحة في تلك المنطقة، لكن البعثة التي توجهت إلى المكان المذكور عادت بخفي حنين، فهي لم تعثر على إنسان الثلج ولا على آثاره، غير أن جميع أعضاء البعثة أكدوا أن شعورا ما غريبا وإحساسا بالقلق انتابهم خلال وجودهم في مغارة يعتقد أن "إنسان الثلج" يتخذها مأوى له كما أصيبوا جميعا بفقدان الشهية، ولم يعرفوا طعم النوم خلال الليل، وتسارعت نبضات قلوبهم، وارتفع ضغط الدم عندهم، رغم كونهم رجالا أصحاء

وأقوياء بدنيا ونفسيا، ولكن لا أحد منهم يدري هل كان ذلك مجرد احساس لا أساس له، أم أنه ردة فعل نفسية وفيزيائية برزت تحت تأثير وجود شيء ما في تلك المغارة أو كائن ما لم يستطيع أحد رؤيته. كما حثت المشاهدات الكثيرة "لإنسان الثلج" الباحثين على البحث عن تفسير منطقي لوجوده، فملأت الفرضيات حوله صفحات مجلدات علمية كثيرة، لكن للحق نقول: إن لا تفسير علمياً حتى الآن، وكلما تعمق البحث حوله كلما برزت إلى السطح أسئلة أعقد وأصعب حول ماهيته ونشوئه، فلماذا يشاهد "إنسان الثلج" منفردا منعزلا دائما؟ وكيف تستطيع مجموعات "صغيره" من أمثاله العيش منعزلة عن العالم الخارجي؟ ولماذا تفشل دائما محاولات تتبع آثاره أو اصطياده؟ وأسئلة أخرى كثيرة جدا..... لكن ابقوا معي على الخط وتعالوا نحتفظ معاً في ذاكرتنا بهذه الأسئلة، فلربما نستطيع الرد عليها، حيث قررنا خوض معمعة الظواهر الغريبة هذه، والتي أبطالها ليس "إنسان الثلج" فقط، بل كائنات ومخلوقات أخرى سنذكر مختصر ما نعرفه عنها.

فعام ١٩٨٧ مثلا، اشتكى عدد غير قليل من سكان مدينة بيشوبفيل الاميركية من أحد ما يُلحق الأذى بسياراتهم، وبعد مدة وجيزة شاهد المزارع كريس ديفس ذلك "المخرب" بأم عينه، وقدم تقريرا بذلك إلى مركز شرطة المدينة قال فيه: "كنت متوقفا لتبديل إطار سيارتي، فهاجمني فجأة مخلوق غريب الشكل يبلغ طوله مترين، وجسده مغطى بجلد كجلد الأفعى، وعيناه حمراوان كلهيب النار، إنه يشبه الحرباء، عندما هاجمني قذفت بجسدي إلى داخل السيارة وأغلقت الابواب، لكن "الإنسان الحرباء" خلع قفل الباب إلا أنه لم يستطع الوصول إلى صالون السيارة حيث التجأت هاربا منه".

هذا ما حصل في الولايات المتحدة، أما في الاتحاد السوفييتي فجرت حادثة كان أبطالها مخلوقات غريبة، فقد حدَّث المدعو خاريتشييف أحد سكان مدينة برتوزافودسك: إنه حين كان يؤدي خدمته الإلزامية هرب ذات مساء صيفي من عام ١٩٧٤ من المعسكر مع بعض رفاقه، ولما كانت الطريق الرئيسية الموصلة إلى المدينة تمر قرب أحد المطارات العسكرية، فإن الرفاق الهاربين ساروا بطريق فرعية عبر الغابة المجاورة للمعسكر، لكن ما إن توغلوا حوالي كيلو مترين في الغابة، حتى لفت انتباههم ثلاث مخلوقات غريبة تركض أمامهم بنفس الدرب الفرعية التي يسيرون بها، وبدت لهم المخلوقات ناصعة البياض وبطول يبلغ مترين، وتميز ركضها بالبطء: - كما تظهر الصور بالعرض البطيء على شاشة التلفاز - ثم تابع المحدث قائلا: "لقد صعقنا لما رأيناه لمدة بضع ثوان وانتابنا شعور غير مفهوم، دفعنا إلى تغيير اتجاهنا، فعدنا راكضين إلى المعسكر دون أن ينبس أحدنا ببنت شفه، حتى أن أحداً منا لا يعرف كيف قفزنا عبر حاجز المعسكر

الذي يبلغ ارتفاعه مترين.. والحق أننا لم نتخلص من ذلك الشعور الغريب الذي انتابنا لحظة رؤية تلك المخلوقات حتى عندما استلقينا للنوم في مهجعنا، بل بقينا ننظر نحو الباب متوقعين دخول تلك المخلوقات في أية لحظة... لقد مضى زمن طويل على تلك الحادثة لكني مازلت أذكرها تماما، بل لا أستطيع نسيانها رغم محاولاتي العديدة الهادفة للتخلص من ذكراها..."وأما اللينينغرادية ي.اس.بابكوفا فقد أرسلت الرسالة التالية إلى هيئة تحرير صحيفة "سوفيتسكايا روسيا" (روسية السوفييتية):

هيئة تحرير المجلة

قدر لي أن أقرأ في صحيفتكم المحترمة مقالة بعنوان "أين اختفيت يافرانك؟" فأثرت بي أكبر تأثير، لأني عشت قصة غريبة كتلك التي تحدثتم عنها في مقالتكم، ولشد ما آمل أن تنشروا قصتي هذه علها تفيدكم وتنفع من يبحث في هذه الأمور : حدث ذلك في ليلة الواحد والثلاثين من تموز ـ الأول من آب عام ١٩٨٢ إني أذكر تماما أن تلك الليلة كانت صيفية بكل معني الكلمة، فالسماء صافية تلمع في قبتها النجوم، وهدوء شامل يعم المكان، بل لا أثر أو دليل على ريح أو نسيم، كنت أغط في نوم عميق، لكن طرقات خفيفة على زجاج نافذة غرفتي أيقظتني، فجلست في فراشي أراقب النافذة، لكني لم أر أحدا أو شيئا، وبعد برهة فتحت النافذة تلقائيا ورأيت بوضوح كيف تتمايل أغصان الشجرة التي وراء نافذتي رغم انعدام الريح أو النسيم، ثم اشتد تمايل الأغصان حتى تخيل لي أنها تلامس الأرض من شدة تمايلها، ثم رأيت في قبة السماء نقطة مضيئة تطير باتجاه نافذة غرفتي متضخمة أكثر فأكثر، وبعد برهة رأيتها تشع بكل ألوان قوس قزح، وهيء لي بأني أفقد ذاكرتي، وبعد ذلك رأيت بوضوح كيف تدحرجت على أرض غرفتي بضع كرات لامعة برتقالية اللون وبحجم البرتقال، حاولت النهوض من الفراش فاستطعت ذلك بصعوبة، لأن جسدي وكأنه تيبس وفقد ليونته وتجمدت حركته، لقد شعرت وكأني محاطة بالماء من كل الجوانب، ومع ذلك فقد تمكنت من الإمساك بإحدى الكرات، فانفتح غطاؤها لمجرد ملامسة يدي لها، وصدحت موسيقا فالس لشوبين، فسألت بسذاجة كأني أتحدث مع أحد ما: من انتم؟ فأتاني رد فوري صاعق: "إننا مثلكم تماما"، فانجررت بالحديث سائلة: وهل تعرفون شوبين أيضا؟ فأتاني الرد أغرب من الأول: "نعم،بل ونعرف أكثر مما تعرفون بكثير"، إن خطرا كبيراً يحدق بكم سكان الارض، فسألت "أتظنون أن أحداً ما سيصدق ما سأقوله عن لقائي بكم؟ "فجاءالرد: "كلا لا نظن أن أحدا سيصدقك"، "إذن ما الغاية من وجودكم هنا؟ "وجاءني الرد: "لأن الخطر المحدق بكم قد يودي بنا أيضا إلى كارثة لا تحمد عقباها، ونحن نكتفي حتى الآن بمراقبتكم فقط"، فسألت: "هل بإمكاني إيقاظ أمي أو أختي أو

الاتصال بأحد معارفي ؟ إن أمي وأختي نائمتان في الغرفة المجاورة"، فأجبت بأن الهاتف معطل والتيار الكهربائي مقطوع، كما أنه لا داعي للاتصال بأحد، فاختبرت صحة ما سمعت وتأكدت من صحته، ومع ذلك لم أشعر بالخوف أبدا، ثم بعد برهة فقدت ذاكرتي من جديد، ولم أعد إلى وعيي التام إلا صباحا، صدقوني، إني أقول لكم الحقيقة وفقط الحقيقة، إن ذلك لم يكن حلما أبدا".

إن المنطق يفترض أن يقول أحدكم إن ذلك كان حلما لا محالة، خاصة وأن مارأته تلك المرأة كان شديد الوضوح بالنسبة لها، ذلك لأنه كلما ازدادت شدة وضوح الحلم كلما كبرت القناعة بأنه حقيقة وليس حلما.

أما نحن فلا نستطيع الموافقة على هذا الرأي، وإلا ما كان لأحد أن يجد تفسيرا لما حصل مع المواطنة السوفيتية موراتوفا، إذ شاهدت ذات ليلة هيئة بشرية بجسد مخيف وغير عريض ولا متناسق يغطيه لباس كالمعدن تماما، والدليل على أن موراتوفا قد رأت تلك الهيئة البشرية هو أن جارتها التي استيقظت على صراخها، رأت تلك الهيئة وأعطت نفس الوصف الذي وصفته موراتوفا علما بأن معارفهما لا يشكان أبداً في مصداقيتها، بالطبع يمكن تفسير ما رآه الجنود الهاربين على أنه جزء من مناورة عسكرية قدر لأولئك الهاربين رؤيته، فانفتح خيالهم وازدادت خصوبته، وراحوا يتصورون ما يشاؤون، لكن إذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر عمليات تخريب السيارات في بيشوبفيل؟

عدا عن كل ما ذكرناه، فإن الكثير من الناس شاهدوا عددا كبيرا من الحوادث التي كان أبطالها حيوانات ومخلوقات غريبة، فلكم سُمع مثلا بنيسي المخلوق العجيب الذي يتخذ مسكنا له بحيرة لوكس ـ هيس السكوتلندية، ونيسي ليست الوحيدة في هذا المجال، فالقبطان الخبير ليبيديف مثلا رأى عدة مرات مخلوقا غريبا في الخليج الكوريلي الرابع، وقد اقترب القبطان منه في إحدى المرات بسفينته لمسافة حوالي ٣٠ مترا، غير أن أحداً ما على ظهر السفينة لم يجرؤ على صيده وذلك لفخامة مقاييسه. فقطر الجزء الرمادي اللون والعائم على سطح الماء يبلغ ١٥ مترا وفقاعات من الماء غزيرة تتناثر حوله وترتفع نحو الأعلى، كما أن له قدرة غريبة على الاختفاء الفجائي.

وفي الصين أيضا قيل بوجود شبيه لنيسي السكوتلندية، فمنذ عام ١٩٦٢ يشاهد الصينيون المقيمون حول بحيرة شينودج مخلوقا غريبا يشبه ضفدعا هائل الحجم، له شعر طويل ذهبي اللون وعلى أرجله أظافر كبيرة جدا، كما أنه يقذف الماء من فمه بغزارة وقوة كبيرتين في حال إحساسه بالخطر أو الانزعاج، لقد قال عنه عالم الحيوانات ليو منيتشان الشنغهائي: إنه ربما يعود بأصله إلى إحدى فصائل الثديات التي انقرضت في

فترة ما.

وفي اليابان ايضا يؤكد سكان قرية اسامي مورا التي في جزيرة هوشيو أنهم يرون منذ عام ١٩٨٦ مخلوقا غريبا في إحدى البحيرات الجبلية القريبة من قريتهم، وقد قُدر أحد أبعاد ذلك المخلوق بأربعين مترا، وفي نفس السنه انتشرت أخبار في كندا عن ظهور مخلوق غريب في بحيرة اوكانافان إلى الشرق من فانكوفر، وقد وصفه السكان المحليون أنه يشبه حرباء كبيرة الحجم سوداء اللون، واستطاع بعض الهواة التقاط صور له، لكن نوعية الصور بدت رديئة للغاية.

إن الحديث في هذا المجال يمكن أن يطول كثيرا، وحتى إذا اعتبرنا معظم الشهادات والأقوال حولة مجرد خرافات وتهيؤات، فإن بعضا منها يعطي صورة قريبة من الحقيقة، وانطباعا اقرب للواقع منه إلى الخيال، وعلى ضوء هذا تتبادر للذهن أسئلة عديدة حول إمكانية وجود عوالم ضائعة على سطح كرتنا الأرضية، وحول حياة مخلوقات انقرضت منذ ملايين السنين، أو تصور العلم أنها انقرضت، فمن المعروف أن بقاء أي مخلوق على قيد الحياة يرتبط مباشرة بوجود تجمعات له، إذ بدونها يفقد المخلوق قدرته على التزاوج والإنجاب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كيف يمكن للتجمعات المائية المحدودة الحجم والإمكانية الغذائية التي تشاهد فيها المخلوقات الغريبة، كيف لها أن تؤمن غذاء مستمرا وملجأ ومأوى لهذه المخلوقات....؟ والغرابة الأكبر في الأمر أن أخباراً تنتشر من وقت لآخر حول ظهور مخلوقات وحيوانات عجيبة، لم يعرفها تاريخ التطور الحيواني ولم يأت أبدا على ذكرها، ففي الولايات المتحدة الأميركية أبلغت السلطات الحكومية المختصة عن ظهور دوري لحيوانات تشبه القطط وليست بقطط، مثل الفهود وليست بفهود، وتفترس الكلاب والماعز والأبقار والأحصنتوتموء كما تموءالقطط، لقد شوهد هذا الحيوان في أوقات مختلفة من الفترة ما بين عامي ١٩١٧ و ١٩٧١ وفي مناطق مختلفة امتدت من ولاية فيرجينيا وحتى ولاية أوهايو مارة عبر ولايات ايلينوس وانديانا وغيرها.

وفي بريطانيا، أي في الجهة الأخرى من العالم، بعث وحش غريب الرعب في قلوب سكان القسم الجنوبي منها عام ١٩٨٣ فقد افترس ذلك الوحش المجهول المئات من الماعز والأغنام، وأثبتت مخلفاته أن صوفه أسود لامع، وأرجله قصيرة وشديدة القوة، وأنه مجهول لعلم فصائل وتطور الحيوان.

وصيف عام ١٩٨٤ أخذت بعض الوحوش تفترس الماعز في جنوب جبال البيرينيه، ولما كانت تلك المنطقة خالية من الوحوش وخاصة الذئاب، فإن الأمر حير العلماء الذين قدموا إلى المنطقة، وأشغل بالهم مدة طويلة، قبل أن يكتشفوا أن ذلك الوحش أو بالاصح الوحوش ليست إلا السباع الأميركية المعروفة، والتي لا وجود لها في أماكن

أخرى في العالم غير أميركا، فكيف وصلت تلك السباع الأميركية إلى جنوب إيطاليا؟... هل من جواب عندكم يا طويلي الأعمار؟.

هذا فيما يخص ما يزحف أو يمشي على الأرض، لكن ما بالكم بكائنات تطير وليست بطيور؟ ففي عام ١٩٨٠ وبالتحديد في حزيران شوهد رجل طائر فوق منطقة فيدى سونفيك، وفي عام ١٩١٠ كثيرا ما كان يشاهد طائر غريب الشكل، يغوص كما يغوص الغواص في البحر باحثا عن السمك، نعم شوهد ذلك الطائر الغواص في نورماندي عدة مرات، وعام ١٩٢٧ رؤي طائر هائل الحجم، يشبه رأسه زورق الطورييد فوق ساوسيليتو، ومثله شوهد عام ١٩٤٨ فوق سانت باربارا في ولاية كاليفورنيا، وآخر يشبهه شوهد في نفس السنة فوق مناطق التون وفريبورت وكاليدونيا وايلينوس، وعام ١٩٦٣ رأى سكان مدينة نيويورك طائرا له شكل طيور ما قبل التاريخ وحجمه كحجم الطائرات الرياضية، واخيرا في خريف نفس العام شاهد سكان كنت في انكلترا وبوينت بليزانت في فرجينيا الغربية مخلوقات غريبة طائرة تشبه الإنسان جسدا والخفافيش أجنحة.

بالطبع يصعب على الإنسان العادي وصف مخلوق غريب شاهده لبضعة ثوان أو دقائق، وذلك للدهشة التي يصاب بها عادة، أما إذا كان شاهد العيان عالما مختصا فإن وصفه لما يشاهد يتميز بالدقة والعلمانية، لذا يعتبر وصف العالم الأميركي ايفن ساندرسون لمخلوق طائر عجيب رآه من عام ١٩٣٢ يعتبر أبلغ وصف وصلنا حتى الآن، لقد قال ذلك العالم في وصفه: "وقع ذلك في أدغال الكاميرون عام ١٩٣٢ كنت للتو قد اتجهت بزورقي نحو الضفة الأخرى للنهر الذي كنا نجري أبحاثنا بالقرب منه، لكن لم أكد اصل منتصفه، حتى أخذ رفاقي الذين ظلوا على الضفة يصرخون بعنف، فالتفت نحوهم لأرى مخلوقا طائرا عجيبا يطير باتجاهي، فشددت أعصابي وتماسكت ممعنا النظر فيه، لقد كان له جناحان كبيران وحادان يضربان الهواء مطلقين صفيرا حادا، وفمه مفتوح كما لو أنه ـ أي المخلوق الطائر ـ تحفز لافتراس فريسة، ونصف دائرة من الأسنان الكبيرة تلمع في فمه، لقد قُدر لنا أن نراه مرة ثانية قبيل المساء، حيث طار عائدا من حيث أتى واختفى عن نظرنا وراء المستنقعات، إني متأكد من أن ما رأيت لم يكن سوى الطائر بيتروا داكتيل، أو الحرباء الطائرة التي يجب أن تكون قد انقرضت قبل بدء تاريخ البشرية" (٣)

هانحن إذن قد وضعنا بين أيديكم ـ أعزاءنا القراء ـ مجموعة من الوثائق والشهادات المشيرة إلى وجود مناطق على سطح كوكبنا تعيش فيها كائنات أخرى مثل تلك التي عاشت قبل بدء التاريخ البشري، وأخرى لا يعرف عنها العلم شيئا ألبته، وطبعا لا نفرض

عليكم تصديق كل ما ذكرناه، لأن بعض الشهادات لا تتمتع بأهلية كافية لتصديقها، فعلى سبيل المثال لم تعثر أية بعثة علمية حتى الآن على أثر واحد لنيسي الشهيرة، بينما يؤكد السكان المحليون رؤيتهم لها كل سنة تقريبا، كما أن نيسي هذه تستغل اليوم لأغراض سياحية وتُجنى من ورائها أموال طائلة، لقد قال عنها أحد أصحاب الفنادق العديدة المنتشرة على ضفاف البحيرة التي يشاع أن نيسي تسكنها: "لو كانت نيسي غير موجودة فعلا، لكان من الواجب علينا أن ننسج خرافتها".

لكن وفي نفس الوقت لا يمكن الشك بشهادات العلماء الذين راقبوا ودرسوا الكائنات العجيبة أمثال العالم أندرسون السابق الذكر وغيره، إن أولئك العلماء كثيرا ما سارعوا إلى مكان وجود أو مشاهدة كائن ما، وأطالوا البحث والتمحيص حتى توصلوا إلى قناعة محددة، فمثلا، وبعد أن حدثت إحدى النساء الافريقيات عن اصطدام قاربها بوحش مائي هائل الحجم، قامت بعثة علمية من برازافيل بزيارة المكان مباشرة، فاكتشفت بالفعل جزيرة عائمة كبيرة، تتكون أساساً من طبقة رملية متوضعة على وسادة من النباتات المائية، وسطحها الخارجي سوي تماما مما يدل على أن كائنا ما ضخما زحف على ذلك السطح عدة مرات، كما بين البحث أن ذلك الكائن قد ترك وراءه بعض الآثار التي تؤكد وجوده فعلا، فقد عثر في مكان الحادث على بقايا من الجلد معدنية اللمعان، أو كما قال عنها العالم الكونغولي مارسيلين انانيا: "بقايا تشبه القطع المعدنية المطلية بالكروم"، وهناك العديد من الحوادث الدالة على وجود كائنات غريبة، لكننا لن نرهقكم بذكرها، ولنعتبر أن بإمكاننا الآن الانتقال إلى محاولة الرد على التساؤلات التي طرحناها آنفا، لكن، ومن أجل إيضاح الصورة أكثر، تعالوا ندرس معاً ظاهرة أخرى ما زالت تشغل بال الكثير من الباحثين، إنها ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة

الأجسام الطائرة المجهولة (ج طم) حقيقة أم ...... ؟

محاولة للبحث في الصحون الطائرة من مناظير وزوايا مختلفة

تعالوا نبدأ هذا الجزء بذكر بعض التفاهات التي ما كنا نعير الواحدة منها أي انتباه، لو لم تشكل بمجموعها سلسلة طويلة متكاملة تفرض علينا التفكير، وتزودنا بخصوبة خيالية أكبر.

الزمان عام ١٩٨٦ المكان مدينة فريدريك سبورغ (ولاية فيرجينا الاميركية) .. يومها أوقف المدعوبي. تروسلو سيارته بمحاذاة الرصيف، ودون أن يطفئ محركها اتجه نحو المتجر المجاور لشراء بعض الحاجيات، لكن سيارته انطلقت فجأة إلى الخلف، وأخذت تدور في وسط الاوتوستراد بسرعة ثابته، قُدرت بخمس كيلومترات في الساعة، ورغم جهود رجال الشرطة والمرور، فإن أحدا لم يستطع الاقتراب من السيارة وإيقافها حتى فرغت من الوقود نهائيا، وتوقفت ذاتيا قاطعة بذلك السير على الاتوستراد مدة ساعتين، وبعد البحث و التمحيص علل رجال الشرطة الحادث بعدم حذر صاحب السيارة، إذ تركها دون أن يفرغ سرعتها ويطفئ محركها، أما أحد المذيعين التلفزيونيين السوفييت فقد علق على حادث مماثل وقع في الاتحاد السوفييتي قائلا: إن ذلك ليس إلا عملا من أعمال المشاغبين المحليين. لكن قولوا لي، من فضلكم أي مشاغبين استطاعوا افتعال الحادثة التالية التي أنقلها لكم بالحرف، كما وردت في العدد الثاني لمجلة "زاروبيجوم" السوفيتية لعام ١٩٨٧:

تعرضت القاعدة العسكرية الأميركية في مدينة سانم اللوكسمبورغية لعمل تخريبي قام به مجهولون، وأدى إلى تعطيل مائة دبابة مدرعة، والطريف في الأمر أن أجهزة المراقبة والرصد الضوئية والألكترونية في الدبابات والمدرعات هي الوحيدة التي تعرضت للتخريب، وحتى الآن لم يستطع المختصون تفسير ما حدث، أو تصور كيف استطاع المجهولون الوصول إلى القاعدة المحاطة بسلك شائك يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار، والذي لم يمس بأذى خلال عملية التخريب، خصوصاً وأن القاعدة تحرسها دوريات مترجلة

ومحمولة على مدار الساعة....".

ما قولكم بذلك يرحمكم الله؟ أليس هذا فعل من أفعال العفاريت؟ أليست هذه الظاهرة التي سميت بظاهرة البوليترجيست ـ الظاهرة التي تترافق بعمليات احتراق ذاتي وتنقل آلي وطيران للأشياء؟ إن أخباراً كهذه لم تعد نادرة في يومنا هذا، بل إن الكثير مثلها وردنا في الماضي أيضا، لذا لابد من إلقاء الضوء على عدد من الحوادث التي ستساعدنا في بحثنا هذا، وسنستعين بشكل خاص بكتاب جون ميتشيل وروبرت ريكارد: "الظواهر الغريبة"، فتعالوا نجلس بشكل مريح ونحفز ذهننا، لأننا بالفعل سنطلع على ما يستحق هذا. الزمان شهر أيار من عام ١٨٧٦ المكان الصين، خلال ذلك الشهر عجت مدينة نانكين بمخلوقات غير مرئية، أطلقت عليها الصحف البريطانية اسم "الشياطين الخفية"، فقد أخذت تلك المخلوقات تعيث فساداً في الشوارع، فتقص جدائل الشعر التي اعتاد الصينيون إطلاقها، بل وتحلق رؤوس البعض كليا أحيانا، فاضطر سكان المدينة لتغطية رؤوسهم ليس هربا من أشعة الشمس، بل من تلك المخلوقات الشيطانية، وفي نفس الصيف انتقلت عدوى "الشيطان الخفية" إلى مدنية شنغهاي ثم إلى مدن أخرى، وسنة ١٩٢٢ بدءً من أعياد الميلاد وحتى نهاية الصيف، وقعت مدينة لندن ضحية لتلك العفاريت الخفية، فقد أخذت أياد خفية تحلق رؤوس النساء في الطرقات وعلى مرأى من المارة، وفي أوقات لاحقة مختلفة وقعت مثل تلك الحوادث في الولايات المتحدة وكندا وانكلترا واسكوتلندا وبعض الدول الاسكندنافية، والغريب في الأمر أن الشعر المحلوق أو المقصوص كثيرا ما كان يختفي بلا أثر.

عدا عما ذكرنا فإن الوثائق تتحدث عن حوادث أكثر جدية، ففي عام ١٩٢١ نشرت صحيفة نيويورك تايمز خبرا عن حادث وقع على ظهرالسفينة الألمانية "بريهزى" حين رست في مرفأ هوسينز الدانماركي، فقبيل المساء، بينما كان قبطان السفينة يقوم بجولته التفقدية الدورية، لاحظ أن أحد بحارته يتصرف وكأنه يصارع كائنا ما خفيا، وبعد برهة وعلى مرأى من القبطان، ظهر فجأة على جبين البحار جرح بطول ١٠ سم، كذلك الذي ينتج عن طعن بسكين أو خنجر، ثم وقع البحار فاقدا الوعي، فدعي الأطباء لفحصه، لكن ما إن بدأ هؤلاء الفحص حتى صعقوا لما رأوه: لقد بدأت جروح تتفتق الواحد تلو الآخر على جسد البحار مع أن ثيابه كانت سليمة وكأن أحدا لم يلمسها.

وفي اتلانت الواقعة في ولاية جورجيا الأميركية سجلت ملفات الشرطة حادثا وقع في ٢٣ ايلول من عام ١٩٥٧ فبينما كان الصبي جون ريد ابن الأربعة عشر ربيعا يقيم حفلة عزف على البيانو، أطبق غطاؤه على أصابعه مما أدى لاحقا إلى بتر أربعة منها،

عدا ذلك فإن كائنا ما خفيا أخذ يضرب الصبي ضربا مبرحا على وجهه افقده ثلاثة من أسنانه، وقد أكد جميع حضور الحفلة أنهم لم يروا أحدا قط قرب الصبي العازف، والحقيقة أن الكتب القديمة والحديثة مليئة بمثل هذه الحوادث، فالموسكوفيون مثلا، يعرفون حتى اليوم كنيسة قديمة تقع قرب محطة مترو "بولو شاد نوغينا" في الحي الذي كان يعرف سابقا بحي "كوليشكي"، وفي تلك الكنيسة أو بالأصح الدير عاش سابقا عجزة ويتامى من كل أنحاء اتحاد البلاد، غير أن "عفريتا" استوطن ذلك الدير عام ١٦٦٦ واتخذ لنفسه تسلية قذف الناس بالحجارة والتحدث معهم بلغتهم، بل كان يمارس السرقة من وقت لآخر، ولما وصل خبره قيصر روسيا طلب من القديس الشهير ايلاريون المساعدة في طرد ذلك "العفريت" فأقام الراهب خمسة أسابيع في الدير يقيم الصلاة ويرش الماء المقدس، وبعد الخمسة أسابيع تلك اختفى "العفريب" دون أن يترك وراءه أي أثر سوى المثل الشعبي الذي ولد آنذاك: "عند العفريت في كوليشكي".

كما تذكر وثائق الشرطة الروسية أن مدينة كورميش أضحت عام ١٨١٣ مسرحا لأحداث غريبة، فقد صارت بعض الاشياء تتطاير ذاتيا، والحجارة تلقى على رؤوس الناس دون مصدر محدد لها، وأصوات غريبة تنبعث من هنا وهناك وبعد البحث اتهمت الشرطة بما حدث فتاة يتيمة تسكن القلعة القريبة من المدينة، وسجلت في وثائقها أن تلك الفتاة متآخية مع العفاريت والجن، أي مع القوى غير النقية "كما سميت آنذاك، مثل هذا الاتهام كان خطيرا جدا تلك الأيام، وكاد يودي بحياة الفتاة لولا أنها مرضت فجأة واضطرت للاستلقاء في فراشها وعدم مغادرة غرفتها فترة طويلة، ومع ذلك فإن تلك القوى غير النقية تابعت تصرفاتها الغريبة، مما أبعد الشك عن الفتاة البريئة وبعد فترة اختفت تلك القوى تلقائيا دون أن تظهر بعد ذلك أبدا.

أما فيما يخص أيامنا هذه فقد نشرت صحيفة كورسكايا برافدا "السوفيتية، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٦/١٦ خبرا بأن أحد بيوت المدينة يعج فجأة بأصوات غريبة لا يعرف مصدرها، مما تطلب مساعدة رجال الشرطة وتدخلهم في الموضوع، لكن ما إن حضر مسؤول شرطة الحي للتحقيق في الأمر حتى ازدادت الأصوات صخبا، وأخذت تطعن بسمعة رجل الشرطة وتتهمه بأشياء منكرة، تبين لاحقا أنها صحيحة تماما، مع أن أحدا من محيط مسؤول شرطة الحي لم يكن يعرف عنه شيئا من تلك الاتهامات، وبالطبع عقدت الاتهامات الأمر، مما أدى إلى اتهام إحدى الجارات بإخفاء جهاز تسجيل في حائط البيت، غير أن البحث الدقيق نفى وجود أي جهاز في البيت أو في الشقق المجاورة، عدا عن ذلك لم تكن الجارة المتهمة ولا أصحاب البيت على صلة بمسؤول شرطة الحي ولم يكونوا على اطلاع بأموره وتصرفاته، فكيف حصل يا

سادة....؟ إن الكثيرين منا يتصورون مثل هذه الأمور على أساس بعض القوى الميتافيزيقية الخارقة، غير أن الواقع يقتضي الاعتراف بأنه ليس من الممكن دائما تفسير الحوادث بهذه الطريقة البدائية البسيطة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تُذكّر بظاهرة الطفلة المسكوفية ناتاشا التي تشير درجة حرارة الجو المحيط بها إلى ارتفاع عن الدرجة السائدة، وذلك حيثما وُجدت هذه الطفلة، كما أن المحيطين بها يشعرون بأعمدة من القوة حولهم طالما وجدت بالقرب منهم، فهل هذا أمر ميتافيزيقي؟

إنا نأخذ على عاتقنا مسؤولية نتائج تصنيف الحوادث التي ذكرناها وما يشبهها في عداد صف كبير من الظواهر التي من المتعارف على تسميتها بالأجسام الطائرة المجهولة، التسمية التي ظهرت لأول مرة عام ١٩٤٧ مع أن ما تشمله هذه الظواهر عرفه الإنسان منذ ظهر إلى هذا الكون، فالأجسام الطائرة المجهولة عرفت عند شعوب مختلفة وفي أوقات متغايرة، فسميت أحيانا بعربات الآلهة، وأحيانا بالدروع النارية، وأحيانا أخرى بالسفن السماوية، بل وحتى بالأسلحة السرية الألمانية وذلك خلال الحرب العالمية الثانية، وقد وصفت هذه الأجسام في الكثير من الكتب القديمة، فالكتاب الهندي "ماهابهاراتا" يقول فيها: "إن هذه السيارات الطائرة ذات شكل كروي، وهي تتحرك في الفراغ بواسطة الزئبق الذي يولد ريحا قوية تدفعها، أما من يمتطي أو يركب هذه السيارات فيستطيع قطع مسافات هائلة بزمن جد قصير..." بالطبع،ومع مرور الزمن وتطور الانسان والتكنولوجيا وخاصة في مجال الطيران، فإن أخبار الأجسام الطائرة المجهولة صارت أكثر انتشارا، وبدأ العلم يتعمق في البحث فيها أكثر فأكثر، إذ لا أحد يعرف حتى الآن من أين تأتي الينا، وإلى أين تنتهي بعد مغادرتنا، كما أن للكشف عن سرها أهمية خاصة بالنسبة للتكنولوجيا العسكرية وخاصة منها الطيران، لذلك يلاحظ اهتمام أكبر بها من قبل العسكريين وخاصة منذ الحرب العالمية الثانية، ففي ٢٦ شباط من سنة ١٩٤٢ أبلغ رئيس أركان الجيش الأميركي الجنرال مارشال الرئيس الأميركي روزفلت عن محاولة للإغارة جوا على مدينة لوس أنجلوس قامت بها مجموعة من خمسة عشر جسما طائرا مجهولة الهوية، فقد طارت المجموعة على ارتفاع يتراوح بين ثلاثة وستة آلاف متر، ومع أنها لم تطلق أية قذائف فإن وحدة الدفاع الجوي رقم ٣٧ أطلقت عليها ١٤٣٠ قذيفة من مدافعها المضادة للطائرات وفي عام ١٩٤٥ ضمن تعليقها على سير المعارك في أوروبا، نشرت مجلة "نيوزويك" في عددها الصادر في ١٥ كانون الثاني حديثا للملازم الأميركي دي. ميريس، تضمن وصفا للقاء له مع كرتين ناريتين يقول فيه: "كنت أقوم بهجوم جوي ليلي على المانيا عندما لمحت كرتين ناريتين عند جناحي طائرتي، فظننت في أنهما سلاح ألماني سري، وأني قد وقعت في فخه، لذلك مكثت أنتظر لحظة انفجار

طائرتي وبالطبع موتي، لكن الكرتين رافقتا طائرتي بضعة كيلو مترات ثم اختفتا بنفس الفجائية التي ظهرتا بها...»

أما خلال سنوات الحرب الباردة بين الشرق والغرب، فقد أعطيت الأجسام الطائرة المجهولة أهمية خاصة وصار ينظر إليها من مناظير متعاكسة تماما، وذلك استنادا الى هذه الحادثة أو تلك، ففي البداية اعتبرت الأجسام الطائرة المجهولة سلاحا روسيا سريا، بينما أعلن السياسي الأميركي غي. تايلور على موجات الأثير أولا ومن ثم على صفحات مجلة «ريدرس دايد جست» عام ١٩٥٠ أن الصحون الطائرة ليست إلا جزءً من تجربة علمية أميركية تعطي الولايات المتحدة في حال نجاحها مفتاح التحكم بمصير العالم والسيطرة عليه، ثم أضاف تايلور بأنه لا يستطيع تحديد الغرض النهائي الذي تستخدم من أجله الصحون الطائرة، غير أن الجميع سيصعقون عندما تكشف القوات المسلحة الأميركية سر هذ الصحون، لكن تايلور كان مخطئا على ما يبدو، ذلك أن الحق يقتضي الاعتراف بأن الولايات المتحدة الأميركية بدأت دراسة ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة جديا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وقد وضعت عام ١٩٤٧ ـ وبرعاية قائد القوات الجوية الأميركية ـ خطة لمراقبة الأجسام الطائرة المجهولة ودراستها.

فترأس مجموعة العمل في هذه الخطة التي سميت بخطة «الإشارة» الرائد أي. روبلت، ومولها ماديا مركز الجاسوسية الجوية التقنية، غير أن وضع صحون طائرة قيد العمل في الجو لم يدخل ضمن أهداف تلك الخطة أبدا، وقد عملت مجموعة العمل بجدية خلال السنوات اللاحقة، مما يدل عليه تصريح ممثل قوات الدفاع الجوية الأميركية عام ١٩٥٣ بأن لدى قواته كمية هائلة من المعلومات عن الصحون الطائرة، وأنهم في القوات الجوية ينظرون بجدية وحزم إلى هذا الموضوع، وذلك لأنهم فقدوا بالفعل الكثير من الرجال والعتاد خلال محاولاتهم مهاجمة الأجسام الطائرة المجهولة(٦)

وفي فرنسا وايطاليا وبعض الدول الأوروبية الأخرى شكلت القوات الجوية مجموعات بحث بغرض معرفة سر الأجسام الطائرة المجهولة، لكن الضجيج الكبير والعلانية اللذين أحيط بهما هذا الأمر أدى إلى تخلي العسكر عن متابعة البحث، فوضعت المسألة بين أيدي المنظمات الشعبية المدنية منذ بداية ستينات هذا القرن، هذا في الوقت الذي بقيت فيه رئاسة المنظمات تلك في ايدي العسكريين المتقاعدين: الرائد المتقاعد دي كيهوس من منظمة NICAP في واشنطن، وزميله الرائد المتقاعد أيضا جي، بيترسن من منظمة IGAP في مدينة ملهولم الدانماركية....

وفي الستينات اتسعت دائرة الباحثين في هذا الحقل، فتشكلت منظمات في كندا وفنلندا وبريطانيا واليابان وبلغاريا ونيوزلندا ويوغسلافيا والبيرو وغيرها، وفي نهاية

الستينات وخلال سبعينات قرننا الحالي عقدت عدة مؤتمرات لبحث هذا الموضوع، كمؤتمر ماينتس عام ١٩٦٧ ولينكولن غود عام ١٩٧٦ وشيكاغو عام ١٩٧٧ وعام ١٩٧٨ بلغ البحث ذروته عندما قام المجلس السياسي الأول التابع للأمم المتحدة بدراسة إمكانية تنظيم حلقة بحث دولية حول الأجسام الطائرة المجهولة، وقد ركز أساسا على ناحيتين هامتين هما الناحية العسكرية التقنية والناحية العسكرية ـ السياسية للمسألة، غير أن الوثائق التي قدمت آنذاك وكذلك كلمات المشاركين خلت من أية اقتراحات جدية في مجال التعامل مع كمية المعلومات المتراكمة حول الأجسام الطائرة المجهولة، مما أضعف الرغبة في متابعة البحث.

أما في الاتحاد السوفياتي فقد تشكلت عام ١٩٥٨ مجموعة من بعض المتحمسين لموضوع الصحون الطائرة، وترأس تلك المجموعة الأستاذ المساعد في معهد موسكو للطيران مؤسس علم الاوفولوجيا (العلم الذي يبحث في مثل هذه الظاهرة) اف.زيفل، وقد اعتمدت المجموعة على التطور السوفيتي الكبير في مجال ارتياد الفضاء، مما وسع دائرة معارفها، وساعد على جذب عدد لا بأس به من الباحثين اليها، بل ساعد على التوصل إلى أفكار يمكن القول بأنها جريئة جداً كفرضية رواد الفضاء القدماء التي أطلقتها مجموعة العمل، ولاقت أنصاراً كثراً بين صفوف الباحثين، وقد استمر عمل تلك المجموعة حتى عام ١٩٧٦ عندما حلت وشكل اف زيفل الآنف الذكر بالتعاون مع الجنرال ستوليروف مجموعة عمل جديدة في قصر الطيران والفضاء في موسكو، لكن المجموعة الجديدة هذه لم تستمر في عملها إلا سنة واحدة. بعد ذلك وتحديدا في السبعينات لاقت فرضيات وجود عوالم أخرى غير عالمنا الأرضي رواجا وتطورا كبيرين، ساعد على التعمق أكثر فأكثر في بحث ودراسة الأجسام الطائرة المجهولة، فعقد عام ١٩٧١ مؤتمر لهذا الغرض شارك فيه علماء أميركيون، وبعد ثلاثة أعوام أدخلت أكاديمية العلوم السوفيتية في خطتها مشروعا لدراسة احتمال وجود عوالم أخرى حية في الكون، وبعد فترة بدأ العمل في هذا المجال في معهد المغنطة الأرضية، وترأس العمل الأكاديمي السوفيتي ماغولي، ثم تشكلت مجموعات عمل متفرقة، ترأس إحداها الأكاديمي في. توتسكي، وعقدت عدة ندوات للبحث في هذا المجال في كييف وتالين وموسكو وغوركي وبتروزافورسك وغيرها، وفي نيسان من عام ١٩٨٨ عقد مؤتمر في مدينة تومسك، ترأسه الأكاديمي في. زديف، وبحث في موضوع الظواهر اللادورية والفجائية في الكون، فانتهى ذلك المؤتمر الى وضع برنامج متكامل لدراسة هذه المسألة. إذن، وعلى ضوء ما أوردناه، يمكن القول: إن ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة تشغل بال البشرية منذ قديم الأزل، وإن العلم يحاول إيجاد تفسير لها منذ وقت غير قريب، لكن ماذا نملك

اليوم في هذا المضمار؟ إننا لا نملك سوى اعترافا ضمنيا بأن الفرضيات العديدة التي أطلقت في السنوات الأخيرة لا تعطي تفسيرا مقنعا لهذه الظاهرة، بل دأب البعض منذ مدة على القول بعبثية البحث في هذا المجال، وانعدام الدواعي لمتابعته مستقبليا، لكن هذا قول عبث بالفعل، لأن المنطق يقتضي الاعتراف بالعلاقة المتبادلة بين هذه الظاهرة والكثير من المسائل الحياتية الملحة، ولذلك لابد من البحث حتى الوصول إلى الحقيقة، وستثبت الحوادث التي سنذكرها لاحقا أهمية متابعةالبحث والتمحيص في كنه وسر الأجسام الطائرة المجهولة.

.... في ١٦ حزيران من عام ١٩٤٨ وخلال طيرانه على ارتفاع حوالي عشرة كيلومترات، لاحظ الطيار الأميركي ابراكسين هدفا مجهولا له شكل "الخيارة"، يطير بمسار عمودي على مسار طيران الضابط الأميركي وبسرعة متباطئة، ولما لم يستطع الطيار تحديد ماهية الهدف، اتصل بالأرض للإبلاغ فتلقى أمرا مباشرا بمراقبة الهدف، وعرف أنه - أي الهدف قد التقط على شاشات الرادار، لذا اتجه ابراكسين بطائرته نحو الهدف، لكن ماإن قاربت المسافة بينهما عشرة كيلو مترات، حتى وجه الهدف حزمة شعاعية قوية نحو الطائرة، فاخترقتها، وأعمت الطيار لبضعة ثوان، ثم تعطلت بعد ذلك كل أجهزة التحكم بالطائرة، غير أن ابراكسين استطاع بعد منورات معقدة الهبوط بسلام في قاعدته، وبعد عام تقريبا من الحادث قام ابراكسين نفسه بطيران تجريبي على متن طائرة جديدة، وما إن بلغ بالطائرة علو عشرة كيلو مترات حتى ظهر له نفس الهدف الذي رآه العام المنصرم، ومن جديد اقترب الطيار منه، ومرة أخرى على مسافة عشرة كيلو مترات، أطلق الهدف حزمة شعاعية أعمت الطيار لبضعة ثوان، وعطلت أجهزة التحكم في الطائرة وأصابت حجرة القيادة ببعض الخلل، غير أن ابراكسين استطاع من جديد الهبوط بطائرته، لكن وكما قال نفسه: بعد أن رأيت الموت بعيني"

وعام ١٩٥٦ في الولايات المتحدة الأميركية أيضا أقلعت طائرتان في الثاني من تموز لملاحقة جسم طائر مجهول، وما إن اقتربت الطائرتان منه حتى أطلق الجسم حزمة "شعاعية" اخترقت الطائرة الأقرب اليه وأحرقتها مباشرة، غير أن الطيار ومراقب الرادار تمكنا من القفز بالمظلات وفي وقت لاحق بالتحديد يوم ٢٨ تشرين الأول من عام ١٩٧٣ جرت حادثة مثيرة للطيار العقيد الجوي كوين، الذي كشف سر ما حدث معه خلال إلقائه كلمة عام ١٩٨٧ في الجلسة الخامسة والثلاثين للمجلس السياسي الخاص التابع للأمم المتحدة، ففي التاريخ المذكور أعلاه ارتفع العقيد كوين بحوامته من مطار

كولومبوس حوالي الساعة العاشرة ليلا، حاملا معه طاقما من ثلاثة أشخاص غيره، ومتجها نحو قاعدة كليفلندي في ولاية أوهايوا، كانت الحالة الجوية آنذاك جيدة مما سمح بالرؤية لمسافات بعيدة نسبيا، بالفعل بعد فترة من الطيران شاهد العقيد كوين جسما طائرا مزودا بأضواء جانبية حمراء، يطير بسرعة كبيرة باتجاه الحوامة، لذا اتصل العقيد فورا بقسم المراقبة الأرضية، رغم إرسال ذلك القسم إشارة تلقّي سؤال العقيد، وعدم حدوث أي عطل في أجهزة الاتصال بعد تلقّي الإشارة، خلال ذلك اقترب الجسم الطائر من الحوامة واتخذ مسارا بالقرب منها، فظهر واضحا أن طوله يبلغ حوالي ٦٠ قدما، ومعدنه رمادي اللون، وفي مقدمته يلمع ضوء أحمر فاقع، ثم بعد ثوان من توضعه قرب الحوامة أطلق الجسم الطائر من جزئه السفلي شعاعاً أخضر باتجاه الحوامة، ثم انعطف ذلك الشعاع بزاوية ٩٠ درجة، وأنار غرفة قيادة الحوامة، وعندما لاحظ العقيد كوين أن عقرب البوصلة المغناطيسية بدأ يتذبذب ويغير اتجاهه عشوائيا، تخوف العقيد من الأمر، وحاول الاتصال بالأرض من جديد بواسطة الموجة المخصصة لحالات الطوارئ، لكن دون جدوى، ثم لم تمض بضع ثوان حتى أخذت الحوامة ترتفع نحو قبة السماء ذاتيا وبسرعة ١٠٠٠ قدم في الدقيقة، ولم يُجدِ أبدا محاولات طاقمها وقف ارتفاعها، وذلك بالسعي للهبوط بها بسرعة ٢٠٠٠ قدم في الدقيقة، وعلى ارتفاع ٣٥٠٠ قدم غير الجسم الطائر استطاعة محرك الطائرة فأخذت تهبط نحو الأسفل، بينما ابتعد عنها الجسم باتجاه الغرب جارا وراءه شعاعه الأخضر، وظهر في داخله ضوء أبيض ناصع، وبعد حوالي النصف دقيقة غير الجسم اتجاهه نحوالشمال الغربي، ثم زاد من سرعته واختفى عن أنظار الطاقم، وفي لحظة اختفائه عن الأنظار عاد الاتصال مع الأرض يعمل كسابق حالته، وقد أكد أعضاء الطاقم أن ذلك الجسم لم يكن مزودا بأجنحة أو محور، ومع ذلك فقد تميز بقدرة عظيمة على المناورة والحفاظ على علوه وسرعته واتجاهه.

بالطبع لم تكن الطائرات هي الوحيدة التي قدر لها الالتقاء بالأجسام الطائرة، بل كثيرا ما حصل ذلك على الأرض وفي البحر أيضا، ففي ٢٥ آب من عام ١٩٦٦ مثلا، لاحظ الضابط القائم على خدمة صواريخ "مينيتمن" في داكونا الشمالية أن جهاز الاتصال قد تعطل فجأة، وبما أن الضابط والجهاز كانا في سرداب على عمق ١٨ متراً، فان الضابط اضطر للطلوع إلى السطح لطلب المساعدة، وهنا عرف من رفاقه أنه في نفس لحظة تعطل جهاز الاتصال ظهر في قبة السماء جسم طائر مجهول، ثم رأى الضابط نفسه الجسم يعلو ويهبط في السماء، ثم بدأ يهبط بعد فترة فأرسل فريق

الالتقاط، فما كاد الفريق يقترب من مكان توقع هبوط الجسم إلى مسافة ١٦ كم حتى تعطلت الاتصالات من جديد، عدا عن ذلك فإن مسحا دقيقا للمنطقة قد جرى دون العثور على الجسم الطائر أو على أية آثار لهبوطه، رغم أن كل من رآه أكد أنه هبط في تلك المنطقة لا محالة، إن عدد الحوادث المماثلة كثير لدرجة أننا نحتاج إلى وقت وإمكانية كبيرين لتعدادها، لذا وحرصا على عدم الإطالة في الموضوع، فإننا سنكتفي بإيراد حادثة واحدة جرت في ظروف مغايرة لتلك التي ذكرناها، وقد نشرت حولها مقالا مجلة "ساينس" العلمية الشهيرة، وذلك في عددها عن شهر ايلول لعام ١٩٨٨ يقول ذلك المقال: إن طاقم سفينة كابي - مارو" اليابانية المخصصة لصيد الأسماك التقى مرتين وجها لوجه مع جسم طائر مجهول، فقد تم اللقاء الأول في ١٨ كانون أول من عام ١٩٨٤ في الجزء الجنوبي الغربي من المحيط الاطلسي، قرب جزر الفوكلاند، بينما حصل اللقاء الثاني في ٢١ كانون أول من عام ١٩٨٦ في وسط المحيط الهادي، وفي كلا اللقائين ظهر في البداية جسم متطاول الشكل على شاشة الرادار، وعلى مسافة حوالي ٥ كم من السفينة، ثم أخذ يتحرك ببطء حتى اقترب من السفينة لمسافة ٢،٥ كم، دار عندها حول السفينة مرتين ثم اختفى، وبعد ثوان ظهر من جديد وطار فوق السفينة مباشرة مصدرا هديرا قويا، هنا علينا أن نلاحظ أن رؤية الأجسام الطائرة المجهولة لاتقتصر دائما على شخص واحد أو مجموعة قليلة من الأشخاص، فنحن نعرف آلاف الحالات التي قدر فيها لسكان مدن ودول بكاملها أن يكونوا شهود عيان على طيران أجسام طائرة مجهولة، فصيف عام ١٩٨٣ مثلا، رأى جميع سكان مدينة تشيمبوني (في شمال البيرو) جسما طائرا مجهولا، له شكل متطاول يعلو وينخفض في قبة سماء مدينتهم، كمن يقوم بحركات بهلوانية، ثم طار ذلك الجسم فوق شوارع المدينة لمدة أربع دقائق بمسار متعرج، ومشعا ضوءا قويا ناصعا كأضواء البروجكتورات الكبيرة، وقد أضيئت المدينة كلها بشعاعه رغم انقطاع التيار الكهربائي آنذاك بسبب الأمطار الغزيرة، التي استمرت في الهطول عدة أيام بلا توقف، وبعد طيرانه فوق شوارع المدينة ابتعد الجسم الطائرباتجاه المحيط الهادي ثم اختفى وراء الأفق.

كما ويُقدر أحيانا لأشخاص لا يشك بصدقهم أن يروا بأم أعينهم أجساما طائرة مجهولة، وهذا ما حصل مع مراسل صحيفة "ايزفيستيا" السوفيتية في مابوتو، فقد أرسل ذلك المراسل في ٢٧ شباط ١٩٨٨ خبرا إلى الصحيفة، يُعلمها فيه رؤيته لجسم طائر مجهول خلال طيرانه من مدينة بييرا، وفي اليوم التالي أرسل ذلك الصحفي خبرا آخر للصحيفة يقول فيه: إن نبأ مشاهدة الجسم الطائر المجهول قد نشر أيضا في صحيفة

"ديابودي موازمبيك"، وبأن سكان المدينة قد رأوه بوضوح تام، فبدا لهم على شكل جسم مشع معلق في سماء مدينة بييرا، وقد أكدت المحطة الجوية المحلية بأن ذلك الجسم لم يكن قمرا صناعيا ولا انعكاسا ضوئيا، وبدا أن شكله يميل إلى التطاول، وأنه مزود "بشارين" و "عينين" واضحتين، وقد أكد قبطان طائرة البوينغ ٧٣٧ التابعة لشركة ال.ا.ام، والذي كان يطير فوق المدينة آنذاك أكد أنه رأى الجسم الطائر فأشعل أنواره كي يجلب انتباهه، لكن الجسم أطفأ "عينيه " الضوئيتين فوراً وابتعد باتجاه الجنوب.

إن المطلع على الأمور يستنتج مما سبق أن الأجسام الطائرة المجهولة حقيقة واقعة لا مجال لنفيها، لذا يحاول المختصون ـ كل حسب امكانياته وأسلوبه ـ تفسير هذه الظاهرة، غير أن الظواهر الغريبة مازالت ـ للأسف الشديد ـ تفسر سطحيا مما يؤدي إلى استنتاجات خالية نهائيا من المنطق، فمثل هذه التفسيرات أدى إلى اعتبار حادثة جزيرة هونس مثلا، عمل جسم سماوي ضخم جاءنا من الفضاء البعيد ليعرض لنا إمكانياته. وحادثة الباخرة اليابانية "كايي ـ مارو" فسرت على أساس انعكاسات مشوهة لطائرات التقطتها شاشات الرادار، إلا أن الواقع يقتضي عدم الأخذ بهذه التفسيرات لأن تكرار ظهور الجسم الطائر واستقرار سرعة طيرانه ومساره يؤكدان عكس هذا، أما بعض العسكريين فيتصورون أن هذه الظاهرة ربما تنشأ نظريا نتيجة تجربة لسلاح الكتروني يملك القدرة على تشويه انعكاسات الأجسام على شاشات الرادارات، وهذه الفكرة تفرض علينا اهتماما خاصا بالأمر، فنحن نعرف أن عملا حثيثا يجري اليوم لوضع نظام فضائي مضاد للصواريخ، تُعرف مبادرته باسم المبادرة الفضائية والجوية والأرضية، وهذا النظام لن يجدي نفعا مالم يزود بأجهزة تحكم الكترونية معقدة وذاتية التشغيل، أي الكترونية تحتفظ بداخلها بمعلومات تمكن النظام من تحديد الأهداف أولا، ثم ملاحقتها وتدميرها وتسجيل الواقعة وتاريخها في نهاية المطاف، والعنصر الأهم هنا هو عملية تحديد الهدف، فهذا يقتضي تزويد الذاكرة بمعلومات عن مواصفات وإشارات وإرساليات الجسم المراقب، ليتم على ضوئها تحديد ما إذا كان الهدف معاديا أم لا، لهذا، إذا لم تؤخذ معلومات كاملة عن مواصفات وتأثيرات الأجسام الطائرة المجهولة بعين الاعتبار، فإن خطأً قاتلاً قد يقع خلال عملية تحديد الأهداف المعادية وتعريفها، فقد يحصل مثلا أن تفسر ذاكرة النظام الدفاعي طيران جسم طائر مجهول على أنه طيران لصاروخ معاد، فيقع مالم يكن بالحسبان، وقد عرف تاريخ البشرية مثل هذا الحادث، ففي خريف عام ١٩٦٠ وضعت قاذفات القاعدة الجوية الأميركية ترفييس (كاليفورنيا الشمالية) على أهبة الاستعداد لمهاجمة الاتحاد السوفييتي، فقد التقطت شاشات الرادارات مجموعة كبيرة من الأهداف الطائرة باتجاه

الولايات المتحدة عبر القطب، لكن - ولحسن حظ البشريةاختفت تلك الأهداف عن شاشات الرادارات قبل أن تنطلق القاذفات نحو الاتحاد السوفييتي، وبعد بحث وتدقيق توصل المختصون إلى أن ذلك حصل نتيجة انعكاس راداري للقمر أو التقاط الرادارات لانعكاسات سرب كبير من الإوز الطائر.

إنه بالفعل لتفسير ساذج، والمؤسف في الأمر أنه يتكرر باستمرار وعناد، إليكم مثالا آخر عن مثل هذه التفسيرات والتعليلات: في أواخر آب من عام ١٩٨٧ شاهد سكان شين سي الصينية جسما طائرا له شكل جندول، أثناء طيرانه ترك ذلك الجسم وراءه خطا لامعا كشعاع، وقطع التيار الكهربائي، وأوقف ساعات السكان، مما فتح عبقرية ممثل المحطة الكونية في شنغهاي، وأوصله إلى نتيجة حتمية مفادها أن ذلك الجسم الطائر لم يكن سوى حطام لصاروخ فضائي أو نتيجة لظاهرة جوية صرفة، لكننا نعرف أن القائمين على مبادرة الدفاع الاستراتيجية لن يتقبلوا أبدا مثل هذا التفسير، مما يزيد احتمال إعطاء أمر آني وذاتي بتدمير الهدف أو الأهداف المرئية بأشعة الليزر، مما يعني تفجير شحنة نووية هائلة وبداية ضربة صاروخية مقابلة، لذا تُدرس اليوم ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة دراسة جادة في الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول الأخرى، حتى أن الأميركيين اقترحوا عند مناقشة الحد من الصواريخ القصيرة المدى (اتفاقية او.اس.في -١) مع السوفييت، اقترحوا إدخال بند فيها يلزم الطرفين بتبادل المعلومات المتوفرة لديهما عن الأجسام الطائرة المجهولة، كما اقترح الرئيس الأميركي ريغن على نظيره السوفييتي غورباتشييف استخدام نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي من أجل الصراع ضد التدخل الكوني في شؤون الأرض؛ وهذا يعني بالطبع قناعة ريغن بالأصل غير الارضي للاجسام الطائرة المجهولة.

أما بين الدول الأوروبية فتحتل فرنسا مركزا متقدما في مجال دراسة الأجسام الطائرة المجهولة، فهناك وضع منذ عدة سنوات نظام متميز من أجل البحث في أصل الأجسام الطائرة المجهولة ودراستها، عرف بنظام "اوفيني بيز"، ويضع نصب عينيه مسألة اتمته تحاليل المعلومات المتوفرة والتي ستتوفر حول الأجسام الطائرة المجهولة، وكذلك غربلة هذه المعلومات وعزل الصالح منها عن الطالح، غير أن نسبة الخطأ التي يتميز بها نظام عزل المعلومات الصحيحة عن الخاطئة تقارب ٢٥٪ مما يعني بالنسبة لمبادرة الدفاع الاستراتيجية الآنفة الذكر احتمالا باستخدام الكابوس الذي يعادل ٢٥٪ أيضا، وهذا الأمر خطيرا جدا، لأن البشرية لن تستطيع بعد وقوع الكابوس إعادة حساباتها من

جديد، وهذا مالمح إليه واضع علم الاوفولوجيا السوفييتي زيفل عندما قال: "إن ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة من الأهمية بحيث يجب علينا إعطاؤها كل اهتمامنا وإمكانياتنا، وهذا بالطبع يجعل التعاون الدولي مسألة حياتيه ملحة، "لكن لنعد إلى التفسيرات، فمن بين الفرضيات الكثيرة حول الأجسام الطائرة المجهولة، تعتبر تلك التي تأخذ بأصل هذه الاجسام غير الأرضي أو الكوني أشهرها وأقربها إلى المنطق، وهذا ما يؤكده المقال المنشور في مجلة "بشيكروي" البولندية (عدد شهر أيار من عام ١٩٨٧)، والذي يتحدث عن حادثة غامضة وقعت عام ١٩٤٨ في صحراء موهابي في ولاية كاليفورنيا الأميركية، فآنذاك حاصرت القوات الأميركية تلك المنطقة بعد وقوع الحادثة مباشرة، وصادرت كل أفلام التصوير التي كانت بحوزة شهود عيان الحادث، لكن القوات الأميركية لم تستطع منع البروفيسور ار. كادر. الذي وُجد آنذاك بالقرب من المنطقة المذكورة، لم تستطيع منعه من إبداء رأيه في الحادثة، فقد صرح البروفيسور كادر بأن الحادثة مرتبطة بجسم طائر مجهول، وهذا ما أكده له شهود العيان وأحد جنرالات أركان القوات الجوية الأميركية، ثم تابع البروفيسور حديثه قائلا بأن القوات الجوية الأميركية عثرت على مركبة فضائية غريبة تحمل على متنها ستة عشر مخلوقا وجدوا أمواتا، يبلغ طول الواحد منهم بين ٩٠ و ١٢٠ سم، أما سبب موتهم فقد علله الخبراء بانخفاض ضغط الهواء، الذي نتج عن عطل في إحدى فوهات المركبة، لأولئك المخلوقات نفس تركيب الدم الذي لدى الإنسان غير أن تشريح جثثهم أثبت أن عمر أدمغتهم تتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ سنة، وأن هذه الأدمغة أدخلت صناعيا في أجساد لا يتجاوز عمر الواحد منها ثلاثين عاما، غير أن ما تسرب بعد ذلك من المعلومات متواضع جدا، ويشير فقط إلى أنه بعد انتهاء تلك المخلوقات ومركبتهم نقلوا إلى دايتون وحفظوا هناك بالجليد، ثم نقلت المركبة إلى مكان سري يعتقد أنه يقع في قاعدة رايت باترسون الجوية (ولاية اوهايوا)، وقد لقب ذلك المبنى بالهنكار (العنبر) ١٨ - ١ ، وبعد فترة نقلت محتويات ذاك المبنى إلى مقر البنتاغون الأميركي في لينفلي في ولاية فرجينيا، وكذلك إلى قاعدة ماك - ديل الجوية في فلوريدا.

بالنسبة لي شخصيا أتصور أن الفيلم الأميركي الشهير الهنكار ١٨ قد وضع على أساس تلك الحادثة، وقد ازدادت قناعتي هذه بعد سماعي نبأ أذيع من تلفزيون لينينغراد يقول: بأن العلماء الأميركيين قد توصلوا أخيرا الى حل لغز «الرؤوس» وهذا لقب اطلق على مجموعة المعلومات عن الأماكن الخاصة التي حفظت فيها منذ الأربعينات أجساد طياري المركبة الفضائية المجهولة، والتي ذكرناها للتو .

إذن، هل يعني كل هذا أننا في موقع المواجهة مع عقل كوني مجهول؟ تعالوا قبل الرد على هذا السؤال نطلع على ما يثبت أن الصحون الطائرة ليست الوحيدة التي تظهر في حياتنا وتختفي منها بلا أثر.

فمثلا تقع في شمال كينيا بحيرة تُعرف باسم رودولف وتتوسطها جزيرة انفاتنت، التي يعني اسمها في لغة قبيلة المولو التي تسكن سواحل البحيرة - تعني اللاعودة - وللحق نقول: إن السكان المحليين لا يسكنون تلك الجزيرة، ويعتبرونها مكانا ملعونا، وللحق أيضا نقول: إن لاعتقادهم هذا أساس منطقي محض، ففي عام ١٩٣٥ ، وخلال قيام بعثة انكليزية بدراسة البحيرة، نزل عضوان منها إلى جزيرة "انفاتنت"، وبعد يومين من نزولهماالجزيرة ابلغا رفاقهما على شاطئ البحيرة بأن كل شيء على ما يرام، وقد قاما بذلك بواسطة الإشارات الضوئية، فكانت تلك الإشارات آخر أثر للعضوين، إذ اختفيا بعد ذلك ولم يعثر لهما على أثر رغم البحث الدقيق والطويل، وكذلك الجائزة الماديةالمغرية التي أعلن عن تقديمها لمن يعثر لهما على أثر، والتي حدت بمائتي شخص من السكان المحليين إلى تنقيب الجزيرة شبرا شبرا، لكن دون جدوى، ثم مرت الأيام والسنون ونسي السكان المحليون تلك القصة، وقطنت الجزيرة بضع عائلات من قبيلة المولو هربا من هجمات جيرانهم الرعاة، فتأقلم القاطنون الجدد مع ظروف الجزيرة، وصاروا يبحرون إلى شواطئ البحيرة لتبادل البضائع والمنتوجات مع سكان الساحل، وكذلك لزيارة أقربائهم الذين بقوا هناك، ثم مرت فترة من الزمن لم يشاهد فيها أحد من قاطني الجزيرة على شواطئ البحيرة، مما بث القلق في صدور أقربائهم، ولذلك أرسلت مجموعة من القوارب من نوى انكلاني للبت في الأمر، فلم تجد تلك القوارب أثراً لسكان الجزيرة سوى بعض السمك المتعفن والبيوت الفارغة، التي كان فيها كل شيء في مكانه المعتاد، أين اختفى سكان الجزيرة يا سادتي؟ من جديد لا أثر لهم ولا بصيص أمل في تفسير ما حدث، بالطبع بعد تلك الحادثة لم يسكن أحد تلك الجزيرةإلا قطيع من الماعز البري الذي لا يعرف مصدره أيضا.

إن هذه الحادثة ليست الوحيدة في مجالها، إذ نعرف كثيرا من حوادث اختفاء لأشخاص على مرأى من أشخاص آخرين، وهذا ما يؤكده المقال المنشور في جريدة "سوفيتسكاريا روسيا" بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٨٣ ، والمنقول عن وكالتي فرانس بريس ورويتر وكذلك مجلة بارى مانش الفرنسية، يقول ذاك الخبر: إن الفرنسي فرانك فونتيه الذي يقطن إحدى ضواحي باريس، التقى وصديقه جان بيير بريفو وسولومون انديه صباح أحد الأيام استعداداً لنقل بالة من الملابس القديمة لبيعها في السوق، فجلس فرانك وراء مقود السيارة (بيك آب) بينما بدأ صديقاه بوضع الملابس في مؤخرتها، ولم يمض

وقت طويل حتى لاحظ الاصدقاء بقعة فاقعة اللون تنزلق من قبة السماء باتجاه الارض، مخلفه وراءها خطا مائلاولامعا، فظن الأصدقاء بأن طائرة قد أصيبت بعطل، وأنها قد تقع وتنفجر في أية لحظة، لذلك انطلق فرانك بالسيارة صارخاً بزميليه بأن يلحقا به، فإنه سيرى ما سيحدث للطائرة، أما سولومون فأسرع إلى البيت لإحضار آلة التصوير، لكن للأسف الشديد لم تكن مزودة بفيلم، وخلال ذلك تابع جان بيير تصفيف البالة على الرصيف، أما السيارة وبعد ثوان من انطلاق فرانك بها رآها الصديقان على مسافة حوالي ٢٠٠ م محاطة بغيمة ضوئية ضبابية تلمع داخلها أربع كرات صغيرة، بعد ذلك اتخذت الغيمة شكلا اسطوانيا أخذ يتعالى في الجو حتى اختفى نهائيا، فاقترب الصديقان من السيارة كي يستطلعا الأمر من فرانك، لكن فرانك لم يكن بداخلها، ورغم بحث الصديقين حول السيارة فإنهما لم يجدا أي أثر لصديقهما، لذلك أبلغا الشرطة بالحادث، فقام رجالها بالبحث عن فرانك عدة أيام متواصلة أيضا دون جدوى، لكن، وبعد مرور أسبوع على الحادث، قرع جرس باب بيت سولومون، وعندما فتح الباب رأى أمامه فرانك ـ صديقه المختفي، والأعجب في الأمر أن فرانك أخذ يلوم صديقه قائلا: "مالك لبست بيجامة النوم؟ لقد كنا منذ دقائق نستعد للذهاب إلى السوق"، وهذا ما اضطر سولومون إلى إبلاغ الشرطة مرة ثانية، فحققت مع الأصدقاء الثلاثة طويلا، ثم حولتهم إلى المدعي العام الذي أطال بدوره التحقيق معهم، لكن دون أن يعثر على ما يشير الى كذب أو اختلاف في قصتهم، لذا أغلقت القضية في الدوائر القانونية، بينما بدأت تدرسها المراجع المهتمة بالظواهر الكونية، فأخضع أخصائيوها فرانك طويلا لعلاج نفسي في محاولةمنهم لتنشيط ذاكرته، لكنه لم يستطع أن يتذكر شيئا مما حدث له بعد مضي أسبوعين على الحادثة، لكن، في بداية الأسبوع الثالث، أخذت ذاكرته تعود إليه شيئا فشيئا فحدث المختصين بما جرى له: "لقد جرت الأمور كما في الحلم ـ قال فرانك في حديثه ـ إني أتذكر أن محرك السيارة توقف عن العمل عند اقترابي من محطة الكهرباء، ثم ظهرت كرة صغيرة على هيكل السيارة، غاصت بعدها في ضباب كثيف فلم أعد أرى شيئا، ثم شعرت بحكة في عيني، وأخذني النوم، لا أعرف كم من الوقت نمت، أعرف فقط أني استيقظت في غرفة تشبه المخابر، فجدرانها بيضاء نظيفة، وعلى طاولاتها المصفوفة بنظام تتوضع أجهزة لم أر مثلها في حياتي، وعلى جدران الغرفة تضيء من فترة لأخرى شاشات الكترونية، لقد رأيت كل ذلك وأنا مستلق، أما عندما جلست فقد رأيت كرات ضوئية بحجم البرتقال، تروح وتجيء في الغرفة متحدثه معي لا أدري بأي لغة، لكني كنت أفهم ما تقوله، إنها مخلوقات ذكية جدا وكبيرة الحكمة، أتعرفون لماذا لا يرغبون بالاتصال معنا نحن البشر؟

لأنهم يخشون أن تُستغل علومهم ومعارفهم لأغراض خبيثة، لا أدري كم مكثت في تلك الغرفة، لكني وجدت نفسي في المكان ذاته الذي اختفيت فيه، وشعور يغمرني بأني قد سهرت لبضعة دقائق أو أكثر بقليل".

والآن بعد كل ما ذكرناه وتحدثنا عنه، أظن أن الأوان قد حان للرد على الأسئلة التي طرحناها، وكذلك تلك التي قد تكون تبادرت لأذهانكم خلال قراءتكم لما قدمناه لكم.

* * * * *

عوالم متوازية أم....؟

محاولة للبت في الأشكـال الحـياتـيـة الممكنة الموجود في الفضاء وعلى الأرض

كيف يمكنْ بكلمة مختصرة أو بدفعة واحدة أو بشكل عام تفسير الظواهر الغريبة في الكون المحيط بنا والتي ذكرناها آنفا؟ اسمحوا لي أن أنطلق للرد على هذا السؤال من عمق التاريخ. في الماضي السحيق فسرت مسألة تكوين العالم ببساطة، فقد جدٌ الخالق لمدة أسبوع فخلق كل ما هو ضروري بل وبعض ماهو غير ضروري، أو بكلمات أخرى، بعض الزوائد والمضرات، غير أن هذه الزوائد والمضرات لم تسجل على حساب الخالق بل على حساب عدوه اللدود (انتيبوده) ملك مملكة الشر التي تعرف أيضا بالجحيم أو بجهنم.

أما الأرض المسطحة كشريحة الزلابية فتقبع ساكنة على ظهور ثلاثة حيتان أو ثلاثة فيلة أو سلاحف أو على أظهرها كلها، فهنا اختلفت الأساطير باختلاف الشعوب، غير أن هذا الاختلاف أمر تافه لا يذكر بالمقارنة مع الصعوبات التي اعترضت مهندسي الكون عند بحثهم لاحقا لهذه المسألة، فقد تبين فجأة ودون سابق حساب أو انتظار أن الأرض ليست مسطحة بل دائرية الشكل كالجبسة (البطيخ)، لذا شغل بال الناس السؤال الملح عن سبب عدم وقوعنا من على سطحها، وهذا ما أرغم نيوتن على الجلوس طويلا تحت شجرة تفاح كي تقع تفاحة على رأسه، فتفتق فيه عبقرية فجائية يكشف معها سر عدم وقوعنا، ويضرب بهذا الاكتشاف على رؤوس أقرانه ويشغل تفكيرهم طويلا بنظرية الجاذبية، وبعد نظرية الجاذبية خرج إلينا نيوتن بنظريات أخرى لخبطت مع ما قاله من سبقه من العلماء ـ الكون، وأضاعته في متاهات نفسه. فصار ملحا جدا إشراك "كباب الصوف" في نظام واحد مع الأرض ومن ثم إعطاء هذه الجوقة دفعة قوية تجعلها تدور جميعها بحركة دائمة حول الشمس.

إنكم لمخطئون جدا إذ تعتقدون أن الأمر انتهى عند هذا الحد، فالبشرية الملحاحة وغير المقتنعة كليا بقصة خلق الرب للكون بسبعة أيام، أخذت تخط لنفسها نظرياتها

الخاصة حول مسألة الخلق والتكوين، فبرعت وبالغت حتى وصلت إلى نظرية الكارثة الكونية أو ما تسمى أيضا نظرية الانفجار الكبير، تقول هذه النظرية، إن انفجاراً وقع يوما ما، وكان من القوة بحيث بقيت أشلاء اليابسة الناتجة عنه تسبح في الفضاء حتى يومنا هذا، على شكل نجوم وكواكب وشهب وغيرها من الأجسام السماويةالصغيرة والكبيرة، وكذلك على شكل أنواع عديدة من الإشعاعات، وبعد هذه النظرية جاءت أبحاث اينشتين وماكسويل لتخلط الحابل بالنابل بحيث لاتكفي اليوم عشرات المجلدات العلمية لفهم حقيقة الأمر. أما نحن فلا يبقىأمامنا سوى تذكيركم ببعض المراجع المفيدة (٨)، ثم إنهاء حديثنا الحر عن التكوين بكلمات برونو التي تعكس بتصورنا ما يجري حولنا وفي داخلنا:

"لاهدوء أبدا، فالكل يتحرك ويدور
حيثما وجد على الأرض أم في السماء
وما من شيء قريب أو بعيد
ثقيل آو خفيف
إلا والحركة كنهه وخاصيته".

والآن تعالوا نترك هذه اللهجة المرحة ونحاول الوصول إلى نتائج محددة مستعينين بآراء العارفين، يقول العالم النظري الشهير بلوخينتسيف في أحد أعماله: "لقد اشتغلت طويلا بتحليل نموذج الكون المتمدد أو الملتهب لفريد مان، ذلك النموذج الذي يُدعم اليوم بكثير من البراهين، وتوصلت إلى أن الكون (الميتاغالاكتيك) المرئي لنا لا يمكن أن يكون قد نشأ في حدود العالم الرباعي الأبعاد أو الإحداثيات"

تعالوا نمعن النظر والتفكير في هذا الرأي قبل متابعة حديثنا، لأن له أهمية خاصة، فالعالم السابق الذكر يقول (اذا ما بسطنا رأيه) إن العالم المحيط بنا لا يمكن أن يتأطر في حدود الطول والعرض والارتفاع والزمان ـ وهذه هي الابعاد التي نستقبلها ونتحسس بها أحساسيسنا، بل إن عالمنا لابد أن يتأطر ضمن حدود من التعددية الاحداثية أو البعدية أكبر وأوسع بكثير من الأبعاد الأربعة المعروفة، وقد ينتهي عدد الأبعاد إلى اللانهاية، لهذا الرأي بالطبع نتائج ذات أبعاد جد هامة، إليكم واحدة منها:يقول في.ا.باراشنيكوف، الدكتور في العلوم الفيزيائية والرياضية: "تدل حسابات العلماء النظرية على احتمال أن يكون الكون مؤلفا من عالمين متوضعين الواحد على الآخر، وضعيفي الاتصال ببعضهما وشفافين تقريبا الواحد بالنسبة للآخر، وهكذا يكون للمادة عالمان: واحد عادي وآخر

ضعيف الاتصال به والتفاعل معه يعرف "بعالم الظل" أو "العالم الظليلي"، وقد وصل بينهما في مرحلة تشكلهما جسم كبير ووحيد سمح لهما بالتفاعل مع بعضهما دون عوائق، فاختلطت لذلك أشكال المادة المختلفة وامتزجت ببعضها بقوة كبيرة مما أدى لتشكل عالم واحد، لكن التمدد اللاحق للكون، والذي ترافق مع نقصان في كثافة المادة وضعف لقوى الجاذبية، أدى إلى انقسام ذلك العالم الواحد إلى عالمين اثنين لا اتصال ولا ارتباط بينهما، لذلك قد يكون بجوارنا، وفي حدود نفس إحداثيات الفراغ- الزمان، عالم آخر مواز أو مرافق لعالمنا وغير مرئي له. كما أن احتمالي تشابه العالمين أو اختلافهما متساويان عمليا، لأنه ورغم تطابق القوانين الفيزيائية - فإن الشروط والظروف الحقيقية تختلف باختلاف الكواكب، فما بالكم بعالمين تمددا أو انفصلا عن بعضهما منذ ١٥ - ٢٠ مليار سنة خلت" (٩)

بالطبع ليست الحسابات النظرية هي الوحيدة التي تشير إلى احتمال وجود عالمين في الكون، بل وفي حوزة العلم الكثير من الوقائع التي تؤكد ذلك، كما أن كثيرا من شهادات الناس تؤكد رؤية أصحابها لصور أو مقاطع من "حياة موازية" وذلك في ظروف محددة، إليكم على سبيل المثال وصف لما رآه عام ١٩٣١ الأميركي فاي كلارك العامل في شركة كهرباء الولايات الشمالية:

"ما إن بدأ المرجل يعمل بأعلى طاقته حتى ظهر بعض الضباب فوق المدخنة ثم أخذ يتحول إلى غيمة، فظننا أن درجة حرارة العنفة قد ارتفعت كثيرا، مما سيؤدي إلى انفجارها في أية لحظة، لذلك أخذنا ندقق بالأجهزة، فلم نجد أي انحراف عن المعدلات الطبيعية، مما أثار الاستغراب والدهشة في نفوسنا، لكن بعد برهة زادت دهشتنا، بل وصعق بعضنا لما رآه، لقد ظهرت وسط الغمامة امرأة مستلقية على متكأ ويداها وأصابعها مزينة بنفائس وخواتم، لقد رأينا تلك المرأة جميعا ولمدة تزيد عن عشرين ثانية، اختفت بعدها هي والغيمة" (١٠)

مما لا شك فيه أن بعضنا سيقول: إن هذا ضرب من ضروب السراب، فالسراب فعلا يتميز بقدرة كبيرة على خداع النظر، لذلك نورد حادثة أخرى ذكرها بي. ستايفرفي كتابه" أحجيات الفراغ والزمان" يقول ستايفر: إن إحدى نساء مينيسوتا، ممن لا يهتممن أبدا بالظواهر الخارقة أو الفوق طبيعية ولا بالاتصال بالعوالم الأخرى، لاحظت يدا بشرية إحدى المرات تطير في بيتها خلال أعياد ميلاد عام ١٩٦٧ غير أن ذلك الحادث لم يتكرر بعد ذلك، لهذا نسيت المرأة الحادثة تماما، لكن بعد مضي عام كامل، أي خلال أعياد ميلاد عام ١٩٦٨ بينما كانت تلتقط تلك المرأة صورة لزوجها ظهرت اليد البشرية من جديد في معين آلة التصوير، وبعد تحميض الفيلم وطبعه ظهرت

اليد البشرية واضحة على الصورة، لقد ظهرت وكأنها مطبوعة على شاشة التلفاز الذي لم يكن يعمل آنذاك.

تعالوا نطلع على حادثة أخرى لعبت فيها آلة التصوير دورا رئيسيا أيضا. فعام ١٩٨٣ خرج شابان هاويا تصوير من قرية روجد يستفنسكوي ليلتقطا بعض الصور لفترة الغروب وحلول الظلام، فصورا ما أعجبهما دون أن يلاحظا أي شيء غريب، لكن ماإن أظهرا الصور حتى صعقا: لقد كانت الصور مليئة بأشكال بشرية تسير بخطى عريضة، بل وظهرت تلك الأشكال أساسية في الصور وليس على خلفية شيء ما، بالرغم من أن الهاويان لم يريا ولم يصورا أحدا من الناس يومها أبدا، لذلك أرسلا الصور إلى إحدى المجلات المحترمة التي أجابتهما بعد مدة، بأن سوء نوعية آلات التصوير الوطنية قادرة على أكثر مما حصل عليه الهاويان.

هكذا إذن يحاول البعض تفسير ما هو غريب، ببضعة كلمات لاذعة لا تقدم ولا تؤخر، ودون تحمل أية مسؤولية، مما لا يمكن قوله عن كاتب القصص الخيالية الشهير ارتور كلارك الذي تعود منذ نعومة أظفاره عدم المرور مرور الكرام قرب ما هو غريب أو عجيب، لذلك يحتفظ كلارك منذ مدة بصورة يظهر فيها شكل بشري يسبح في الهواء برداء أبيض اللون، هذا في الوقت الذي أثبت فيه خلو المكان الذي التقطت فيه الصورة من الناس تماما، أرتور كلارك يبحث منذ حصل على تلك الصورة عن الحقيقة، فهل ظهرت تلك الهيئة البشرية نتيجة خلل في آلة التصوير أو سوء في نوعيتها؟ هل هذا ضرب من ضروب اللعب الضوئية أم أنه؟..."

تعالوا نبحث في هذا الـ"أم أنه" ببعض التفصيل، لقد ذكرنا آنفا احتمال وجود نموذج لبناء في الفراغ متعدد الأبعاد، خصص بناؤنا الأرضي فيه بأربعة أبعاد فقط، أي إذا شبهنا هذا النموذج بكتاب سميك للطبيعة، فإن لنا فيه أربع صفحات فقط، وعلى هذا يجب التساؤل عما تحتويه الصفحات الأخرى، وعن إمكانية النظر اليها والتمعن فيها، فهل نستطيع فعلا النظر إلى تلك الصفحات التي لم تخصص لنا؟ نعم يحصل هذا من وقت لآخر وبطرق عدة سنحدثكم عن واحدة منها، لنفترض أن من صفات الطبيعة - طابعة الكتاب ومؤلفته -أن تخطىء أحياناً فيطبع نص ما على بعض الصفحات مرتين: مرة بألوان الطباعة التي نعرفها وأخرى بالحليب أو الفازيلين مثلا. لذلك نرى في الأحوال العادية ونقرأ فقط النص المطبوع بالألوان المعهودة، غير أننا إذا، عرضنا الصفحة للأشعة ما فوق البنفسجية أو سخناها فإن النص المطبوع بالحليب أو الفازيلين سيظهر ويقرأ، لكن بما أننا لم نكتشف حتى الآن السر الذي تطبع فيه الطبيعة الصفحات غير المخصصة لنا فإننا نعتبر علمية قراءة هذه الصفحات أمرا صدفيا بحتا يحدث عند تعرض الصفحات

للأشعة ما فوق البنفسجية أو للتسخين، لأن هذين العاملين يظهران النص غير المخصص لنا.

إن هذا التشبيه ليس إلا مثلا مبسطا عن القياسات والمناظرات، إذ بامكاننا افتراض أن الصفحات المخصصة لعوالم أخرى غير عالمنا ليست مصنوعة من الورق بل من مادة سريعة الزوال كالأشعة الكهرمغناطيسية مثلا، لكن قد يقول قائل منكم: إن هذا غير معقول، لذا نقول لهذا القائل: تذكر أن الانسان قد قال نفس هذه العبارة في بداية القرن العشرين عندما قيل بإمكانية نقل المعلومات باللاسلكي، أما اليوم فإننا جميعا نستمع إلى المذياع ونشاهد التلفاز دون أن نجد هذا عجبا، فاليوم صار حقيقة واقعة ما كان بالأمس خيالا، هذا واحتمال كون الصفحات الأخرى مصنوعة بالفعل من مادة غير معهودة لدينا أمر مدعوم بحقيقة أن الأشكال والهيئات الغريبة تظهر على أفلام التصوير فقط، وإذا ما عرفنا أن أفلام التصوير التي تستعمل قادرة على التقاط وتسجيل الأشعة الفوق بنفسجية والأمواج الكهرومغناطيسية التي لا تلتقطها العين البشرية ولا تشعر بها، فإن كل شيء سيتوضح في مكانه.

وخاصية أفلام التصوير هذه عرفت في بدايات هذا القرن، واستفاد منها بعض الباحثين كعالمة البصريات رون دراون التي أجرت عليها العديد من التجارب، مما أوصلها إلى نظريتها الشهيرة القائلة بأن حقلا ما أو مجالا حياتيا "فلوايداويا" يخترق الكون، مطلقا قدرة ومتخذا لنفسه أشكالا لكل منها درجة اهتزاز وذبذبة معينة، وكل من هذه الاشكال يخلق مواد وعناصر تكون بمجموعها العالم المادي.

ماذا يعني كلام روت دراون على الواقع؟ إن دراون نفسها لم تستطع الإجابة على هذا السؤال، لذلك لجأت كالكثير من الباحثين إلى التعبير عن رأيها بأسلوب منمق وغير مفهوم، وذلكعلى حساب صلب الموضوع وكنهه. على كل يبقى المهم لنا شيء آخر: فإذا ما صدقنا المرجع (١٢) فإن دراون استحصلت على صورة إنسان بواسطة إدخال نقاط دم بشري متييس في الدارة الكهربائية لجهاز راديو - تلفزيوني، وقد أعلنت دراون أيضا أن للأجهزة الراديو - تلفزيونية قدرة على اكتشاف المعادن الدفينة،ويمكن استغلالها أيضا لأغراض زراعية، وفي مجالي الفيزياء النووية وتكنولوجيا الفضاء.

لكن لنعد إلى موضوعنا الرئيسي، فقد ابتعدنا عنه قليلا، لكتاب الطبيعية اذن صفحات مصنوعة من مواد مختلفة، وقد يحصل أن تتوضع نصوص هذا الكتاب على بعضها أحيانا، وهذا التوضع يسمح لنا برؤية أشكال مختلفة من عالم آخر أحيانا، وبالوقوع في هذا العالم الآخر أحيانا أخرى.

إن هذه الفرضية هي الوحيدة القادرة مثلا على تفسير حادثة اختفاء سكان جزيرة

"اللاعودة" التي تتوسط بحيرة رودلف، كما وتمكننا من معرفة منشأ غيلان وكائنات حية أخرى غريبة عنا، لكننا نصادفها أحيانا على سطح كوكبنا الأرضي، فمنشأ هذه الكائنات وموطنها هو صفحات كتاب الطبيعة غير المخصصة لعالمنا، وهذه الفرضية تدلنا أين تختفي الكائنات الغريبة فجأة مثلما تظهر، إنها تختفي إلى مواطنها إلى صفحات كتاب الطبيعة غير المخصص لعالمنا، هذا وتشير معلوماتنا إلى أن الكثيرمن الوقائع يؤكد احتمال حدوث مثل هذه الرحلات غير المخطط لها، أي الرحلات من الصفحات الأخرى إلى صفحاتنا وبالعكس، ففي حال تلامس "الصفحات الفراغية" أو تطابق نصوصها تصبح محتملة الحركة الانسية في الفراغ، وفي حال تلامس "الصفحات الزمانية" تصبح الرحلات الزمانية، أي بتعبير آخر ليس مستبعدا نهائيا قيام البعض منا بتنقلات فراغية أو زمانية آنية أو برحلات في إطار بعدي الفراغ والزمان، ولا تتصوروا أبدا أن هذا ضرب من ضروب الخيال، فالأدلة تشير إلى وقوع العديد من الحوادث التي تثبت ما نقوله، لكننا ـ وكيلا نطيل الحديث ـ سنكتفي بواقعة واحدة تبرهن على ماورد للتو، ففي عام ١٩٥٨ وفي طريق عودتهم إلى بوينس آيرس من رحلة في ضواحي المدينة، لاحظ صديقا المحامي الأرجنتيني جيرالد فيدال اختفاء سيارة صديقهما من مرآة سيارتهما التي كانت تسير في المقدمة، لذلك توقف الصديقان وانتظرا بعض الوقت كي يلحق بهما المحامي وزوجته، غير أن ذلك لم يحصل مما اضطرهما للعودة بنفس الطريق التي سلكاها، وذلك للبحث عن السيارة المفقودة، ومن جديد لم ينالا مطلبهما، فلا أثر للسيارة ولا للمحامي وزوجته، مما أقنعهما أن هذين الآخرين قد غيرا طريقهما فجأة وسلكا دربا فرعيا، ولذا قد يكونا وصلا إلى بوينس أيرس، لكن خيبة أمل ثالثة كانت بانتظار الصديقين، فعند وصولهما إلى بيت المحامي وجداه فارغا، ولدى سؤال الجيران أكدوا أن أحدا مالم ير السيارة ولا المحامي أو زوجته طيلة اليوم تقريبا، فاضطر الصديقان إلى إبلاغ الشرطة بالأمر، فقامت عناصرها المختصة بالبحث مدة يومين دون جدوى ولربما طال البحث أكثر لولا اتصالا هاتفيا من نيوميكسيكو بأحد الصديقين، فبعد يومين من اختفاء المحامي وزوجته رن جرس الهاتف عند أحد الصديقين، ولما رفع السماعة جاءه صوت بعيد يقول: ـ أنا القنصل الأرجنتيني في نيوميكسيكو أحب أن أطمئنك عن الدكتور فيدال وزوجته، فهما عندي هنا وأمورهما جيدة..."

أما بعد عودتهما من تلك الرحلة الفجائية من بوينس آيرس إلى نيوميكسيكوالتي قطعا خلالها مسافة تقارب خمسة آلاف كيلو متر فقد حدث المحامي عما جرى معهما قائلا: ".... ما كدنا نعبر أحد مفارق الطريق حتى لفنا ضباب على شكل غيمة كثيفة، ثم فقدنا وعينا لبعض الوقت، وجدنا أنفسنا بعده في سيارتنا، لكن في مكان نراه لأول

مرة، وعند السؤال تبين أننا موجودان في ضواحي مدينة نيوميكسيكو، لذا أبلغنا الجهات المختصة بالأمر ثم نقلنا إلى بيت القنصل الأرجنتيني هناك..."

فما رأيك اذن عزيزي القارئ؟ إني لن أعلق على هذه الواقعة بل ساكتفي بالقول: إنها وحادثة اختفاء الطيار لمدة عشر دقائق من شاشات رادارات مطار ميامي تؤكدان وقوع تلامس أو تماس بين صفحات زمنية عائدة لعوالم مختلفة.

لكن هل يعني هذا إمكانية التوصل إلى اختراع آلة الزمن؟ أنا شخصيا مقتنع بقدرة البشرية على هذا، كما لا أنفي احتمال أن تكون حضارة ما غير أرضية قد توصلت أو ربما ستتوصل إلى هذا الاختراع. فالبشرية، وربما غيرها أيضا، تسعى نحو هذا الهدف، وقد حققت بعض النجاحات الملموسة في طريقها الوعر والموصل حتما للغاية المرجوة، ففي معهد كاليفورنيا التكنولوجي وضع ثلاثة فيزيائيين سيناريو للقفز أو الوثب عبر الزمن، سأحاول أن أطلعكم عليه بشكل مبسط: إننا نعرف أن اينشتين سبق وبرهن على أن الزمن لا يجري في الكون بشكل واحد، بل يتعلق مجراه بشكل محدد بالسرعة، فهو مثلا يتباطأ في مركبة فضائية تطير بسرعة عالية، وكلما ازدادت سرعتها كلما "تخلف طاقمها عن الحياة" بالنسبة لمراقب جانبي، لهذا ليس من المستحيل بروز حالة يظهر فيها رجل فضاء عائد من رحلته الفضائية أصغر سنا من أخيه التوأم الذي لم يطر في الفضاء، وهذا ما يعرف بالتناقض الظاهري للتوائم، فما يعني هذا في نهاية المطاف؟ إن هذا يعني إمكانية الانتقال عبر المستقبل، لكن ماذا عن الماضي؟ لقد درس الفيزيائيون الأميركيون واضعو سيناريو القفز عبر الزمن هذا السؤال انطلاقا من نظرية اينشتين، أي على أساس قدرة الجاذبية على تمويج وتلوية الفراغ، تعالوا نشرح هذا الأمر بمثال بسيط: لنفترض دودة صغيرة تزحف على سطح تفاحة كبيرة، فتكون التفاحة بالنسبة لها من الكبر بحيث يخيل لها بأن سطحها مسطح بالفعل، تماما كما تبدو لنا الأرض، ولكي تزحف الدودة من نقطة على سطح التفاحة إلى نقطة أخرى، فإن عليها قطع مسافة كبيرة، لكن إذا ما كانت تلك الدودة حكيمة فإنها لابد ستكتشف بأن لعالمها الخاص (عالم الدودة ـ التفاحة) وذي البعدين بعدا ثالثا هو العمق، فاذا ما نهشت الدودة التفاحة عبر عمقها، أي اخترقتها، فإن الوصول إلى الطرف الآخر للتفاحة يستغرق وقتا أقل بكثير مما لو زحفت الدودة عبر سطحها، لذلك وعلى هذا الأساس واستنادا إلى النظرية النسبية وبنفس الطريقة السابقة تقريبا، يمكن القيام بعملية "اختراق بواسطة نفق "فينتهي بهذا فراغنا الرباعي الأبعاد إلى آخر لم نعرفه سابقا، كما سيوصلنا ذلك النفق إلى صفحات أخرى من كتاب الطبيعة، وعندها يصبح الانتقال ممكنا ليس عبر الزمان فقط بل وعبر الفراغ أيضا، وستتلامس المناطق البعيدة جدا عن بعضها وتتصل بممر أو نفق قصير عبر

بعد آخر، وعدا عن هذا فإن العلماء يتوقعون أن ينتهي أحد أطراف مسير الدودة إلى عالم آخر يجري فيه الوقت ابطأ ما يجري فيه وقتنا، أو أنهما يجريان باتجاه بعضهما حيث يمكن أن يلتقيا في نقطة ما، وعندها تكفي بضعة لحظات من الوجود في هذا العالم كي ينتقل المرء نحو الماضي أو ينطلق منعكسا نحو المستقبل، أما في حالة عدم وجود عوالم ذات مجرى مختلف للزمان عن مجرى زماننا، فإنه من الممكن تنظيم مثل هذا المجرى صناعيا. بل إن العلماء النظريين الأميركيين شبه متأكدين من مقدرة أحفادنا ذوي التطور التقني العالي على تطويع الجاذبية والتحكم بها، وعلى حل أربعة مسائل بوقت واحد: مسألة تلوية أو تطويع الفراغ، ثم حفر ممر أو نفق فيه، وأخيرا إعطاء أحد أطراف النفق حركة عالية السرعة وتثبيت طرفه الآخر في مكانه، وعند ذلك سيتباطئ الزمن في القسم المتحرك ويتسارع في القسم الثابت، أي سنحصل، بكلمات أخرى على آلة الزمن الفراغية التي ستمنحنا القدرة على صنع الأعاجيب التي كنا وسنكون لاحقاً شهود عيان عليها.

اذن، وعلى ضوء ما سبق ترون أن فرضية العوالم العديدة غنية جدا، رغم أننا لم نبحث إلا في جزء ضئيل من نماذجها، فنحن نفترض حتى الآن أن للعوالم الأخرى نفس تركيب عالمنا تقريبا، إلا أن سكانها يختلفون نوعا ما عنا بالشكل الخارجي، وإن الزمن الذي تعيشه هو زمن ما قبل التاريخ وعلى العكس سابق لزمننا ببضعة قرون... غير أن تركيب وتكوين العوالم الأخرى ربما مخالف تماما لتركيب وتكوين عالمنا، فهاهي صحيفة "سوفيتسكايا روسيا" تنشر في عددها الصادر في ١٩٨٨/٧/١٧ مقالا علميا، يتحدث عن لغز تشكل الصواعق الكروية الذي نوقش طويلا في لقاء علمي تم في جامعة فاسيدا اليابانية، وقد توصل العلماء من خلال جدلهم إلى أن الظواهر التي تُعرف في الطبيعة بـ "الصواعق الكروية" قد تكون مرتبطة ببعض الأشكال الجيلانية (البلازمية)، أو الغازات المؤينة غير المعروفة، ولهذه التشكلات الجيلانية ملامح سلوك منتظم (عاقل)، وهي لاترى بالعين المجردة، بل تسجل على أفلام خاصة وأحيانا على أفلام التصوير العادية.

إن هذا الرأي يعيدنا إلى فكرة طرحها في وقته تسيولكوفسكي حيث قال: "ما كان للمادة أن تكون سابقا على هذا القدر من الكثافة التي هي عليه اليوم، فهي لابد أن تكون قد مرت بمراحل كانت فيها مفرغة أكثر.

كما وكان بإمكانها تشكيل كائنات أو تكونات لانراها ولا نصل إليها، فمن ورائنا تمتد لانهاية الزمن، ونحن لا نعرف كم من العصور والحقب قد مرت، وكم ظهرت حالات ملائمة لتشكل مخلوقات عاقله نجهلها تماما، كما أننا نجهل تأثير هذه المخلوقات

علينا، وكنه العلاقات بينها نعم إننا نجهل هذا، وقد لا نعرفه أبدا إذا ماتابعنا ابتعادنا عن البحث في الوقائع الغامضة على مبدأ: "هذا مستحيل، لأنه مستحيل دائما"، أما إذا ما ألقينا نظرة على العالم أو العوالم المحيطة بنا بأعين غير أعيننا فإن الأمر سيبدو مغايرا.

أما زلتم تذكرون حادثتي الكرات المضيئة التي بحجم البرتقال؟ لقد جرت هاتيك الحادثتان مع شخصين تفصل بينهما مسافة كبيرة، بل وربما مفاهيم وتقاليد مختلفة، فالحادثة الأولى وقعت لمواطنة سوفييتية في مدينة لينينغراد، والأخرى لمواطن فرنسي من ضواحي مدينة باريس، لهذا ينعدم تماماً احتمال تآمر الشخصين على تلفيق القصتين.

كما وفي الحالتين لا يلعب المرء دور البطل، بل الكرات المضيئة التي تحدثت مع الشخصيتين وأجرت تجارب عليهما، وهذا أمر طالما قال العلماء بامكانية وقوعه، فهؤلاء مازالوا يتحدثون حتى الساعة عن احتمال وجود مثل نمط الحياة ذاك على شكل تخثرات للقدرة، لقد قال تسيولكوفسكي مرة في معرض حديثه مع تشيجيفسكي: "هل تظنون فعلا أني بلغت من السذاجة مبلغا صرت معه ـ وأنا مقتنع بتطور البشرية ـ أتصورها على الشكل الذي هو عليه المرء الآن: بيدين ورجلين وما إلى ذلك؟ إني بعيد عن مثل هذا التصور تماما، ولو لم أكن هكذا لصح نعتي بالسذاجة، فالتطور ليس إلا حركة نحو الأمام، والبشرية ـ كموضوع وهدف التطور الأوحد ـ تتبدل وتتغير، وفي نهايةالمطاف ربما بعد بضعة مليارات من السنين، ستتحول إلى شكل أوحد من القدرة المشعة..."(١٣)

بالطبع ليس تسيولكوفسكي وحيدا .في مجال رأيه، بل هناك الكثيرمن العلماء الذين يشاركونه ذلك،فالعالم بي. ديفس (١٤) مثلا يعتقد أنه ليس مستبعدا ـمع أنه ليس إلزاميا أيضا ـ وجود أشكال أخرى للحياة، تقوم على اساس عمليات فيزيائية مختلفة تماما عن تلك التي تقوم على أساسها الحياة الزلالية التي نعرفها، كما ومن المحتمل جدا أن يكون قادرا على النشوء والتكوين في مجال من الشروط والظروف أوسع بكثيرمما يعتقد به حتى الآن، والعالم جون كيل لم يبتعد عن رأي تسيولكوفسكي إذ أطلق نظريته بالطريقة التالية في معرض تعليقه على ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة، يقول كيل:

"إني اقترب باطراد من الاقتناع التام بأن هذه الظاهرة الكهرومغناطيسية الأساس، وأن لها قدرة على التحكم بإشعاعات القدرة الكهرومغناطيسية في جميع مجالات تذبذبها: ـ ابتداء من إشارات الراديو الفوق سمعية المستخدمة في المجالات الفضائية، وانتهاء بأدنى الذبذبات التي لا تلتقط إلا بأجهزة خاصة، كما لها قدرة أيضاً على التقاط الذبذبات التحت سمعية الشبيهة بالحقول المغناطيسية، وتتميز بمرونة عالية، وتستطيع

العمل والتحرك ضمن مجالات الحقول الكهرومغناطيسية القابعة خارج حدود إدراكنا وإحساسنا، وخارج إمكانية ومقدرة الأجهزة التي نستخدم، إنها ـ أي الظاهرة ـ غير مرئية بالنسبة لنا غالب الأحيان، لهذا نعتبر أنها تتكون وتتشكل من القدرة وليس من شيء ما مادي جامد، ونراها من وقت لآخر، أو بالأصح تظهر لنا بسبب تبدل في مجال ذبذبات عملها، وهي قادرة على اتخاذ أشكال مختلفة بدءً من شكل منطاد أو سفينة فضائية عملاقة، وانتهاءً بهيئة كائن حي كطفل صغير أو غول فظيع.

لكن هذه الأشكال ليست الحقيقية بالنسبة للظاهرة، لذلك أعتقد أن الصحون الطائرة لا تأتي إلينا من كوكب بعيد ولا من حضارة مجهولة، إنها ـ بالحقيقة ـ جيراننا القريبون الذين يشكلون بعدا فراغيا ـ زمنيا آخر من عالمنا، يتميز بحياة ومادة وقدرة تختلف جذريا عن تلك التي نعرفها..."(١٥)

إذن فالأمر كما ترون على قدر كبير من البساطة، فما تعرفه الأمم المختلفة عن الأجسام الطائرة المجهولة يمكن أن يصنف في إطار النظام الذي توصلنا إليه، وهذا النظام جد بسيط على رأي جون كيل: ـ "لقد عرفت البشرية سابقا كل هذا، وأقرت بهذه الحقيقة...".

لهذا اعتقد قدماء الهنود والهنود الحمر بأن العالم نشأ من الأثير، أي غير مادي، كما ومن المحتمل أن العلاقات بين العوالم كانت يوما ما أقرب لبعضها وأوثق مما نتصوره اليوم، ولربما دلت رسومات الأقدمين على رجال فضاء بالشكل الذي نعرفه اليوم، استنادا على أساس حقيقي وحقيقة واقعة عن وجود رجال الفضاء آنذاك.

وهذا ما يؤكد من جديد أن المسألة هذه تحتاج لقدر كبير من الاهتمام والدراسة، عدا عن هذا فإنه لابد من الاهتمام الخاص والكبير بالميزة التالية للعالم المحيط بنا: فنحن نعتقد حتى الآن أن مقاييس العوالم المتصلة بنا متطابقة بشكل أو بآخر مع مقاييسنا ومعاييرنا، لكن قد يكون هذا الاعتقاد خاطئا، فها هو لينين مثلا يقول بعد م نفاذية (استنفاذية) الألكترون، وهاهو فاليري بريوسوف يعبر عن رأيه بهذا الأمر بالأبيات التالية:

ربما هذه الالكترونات
عالم يحوي القارات الخمس
والفن والمعرفة والحروب والعروش
وذاكرة قرون أربعين.
وربما لكل ذرة
كون فيه مائة كوكب

وكل ما هو هنا
وكل مالا نعرف..."

مما لا شك فيه أنه من الصعب جدا الموافقة كليا وفورا على هذا الرأي، ذلك لأننا اعتدنا على شيء آخر مغاير، لكن العلماء طالما أثبتوا أن مفاهيم "كبير و"صغير" نسبية في عالمنا، وقد فهم الحكماء القدماء هذه الحقيقة منذ الأزل، فها هو أحد حكماء الإغريق يقول في القرن الخامس قبل الميلاد: "إن كل جزيئة مهما صغر حجمها تحوي مدنا مأهولة، وحقولا محروثة وفيها تسطع شمس، وينير قمر، وتلمع نجوم تماماكمافي كوننا"

هذا ما قيل في القرن الخامس قبل الميلاد، أما القرن العشرين فقد وضع بين أيدينا اكتشافات تدوخ الرأس، فعام ١٩٢٢ أحدث العالم اللينينغرادي آ.آ فريد مان ثورة علمية خلال تحليله لمعادلات نظرية اينشتين النسبية، فقد اكتشف فريدمان أن لمعادلات اينشتين حلولا تخص أو بالأصح تعتبرإحداثياتلعالم متقوقع (عالم مغلق)، أي بتعبير آخر: يمكن للمادة في بعض مناطق الكون، وتحت تأثير قوى الجاذبية، أن "تغلق الباب على نفسها مشكلة بذلك فراغا ذاتي التقوقع أو الانغلاق، وهذا ما يمكن فهمه من خلال المثال المبسط التالي: لنتصور أنفسنا وقد تحولنا من بشر إلى كائنات أخرى ثنائية الأبعاد، تزحف على سطح كرة عادية دون أن يخطر ببالها وجود بعد ثالث، في هذه الحالة تعتبر الكرة بالنسبة لنا ـ أي للكائنات الثنائية الأبعاد ـ عالما ثنائي الأبعاد، وخاصا، مغلقا من ناحية، وبلا حدود من ناحية أخرى، في نفس الوقت، ذلك لأن هذه الكائنات تستطيع التحرك على سطح الكرة بكل الاتجاهات ودون أي خوف من الاصطدام بعوائق ما، ولنفترض أيضا أن أحد حكماء هذا العالم الجديد المفترض قرر التأكد من أن عالمه بلا حدود بالفعل، لذلك بدأ يقيس من وقت لآخر طول الدائرة بمحيط خط عرضها، متنقلا بنفس الوقت بخط طولها، بعد مدة سيصاب هذا الحكيم بدهشة واستغراب، ذلك لأنه تصور في البداية أن طول الدائرة يزداد باطراد (فهو كان يسير باتجاه خط الاستواء)، لكن بعد بلوغه القمة أخذ الطول يتناقص باطراد أيضا حتى بلغ الصفر، وهذا بالتالي أكد له أن عالمه مغلق لا محالة.

وعالم فريد مان الذاتي الانغلاق يتمتع بنفس تكوين عالمنا، مع فرق واحد يكمن في احتمال أن نكون ـ نحن البشر ـ نزحف دون أن نعي ذلك ـ على سطح كرة ليست ثلاثية الأبعاد بل رباعيتها...

بالطبع لم تبق نظرية فريد مان دون شرح أو تطوير، بل طالما تعرضت لمثل هذا،

فالأكاديمي ماركوف مثلا طورها متوصلا لفكرة تقول: باحتمال أن يكون كوننا بمجراته وملايين نجومه وكواكبه عبارة عن جزيئة صغيرة، ابعادها كأبعاد الكترون، وقد لقب ماركوف مثل هذه الجزيئات بـ"الفريدمانات" نسبة للعالم فريد مان، ثم اثبت حسابيا منطقية فكرته وخلوها التام من المجازات والاستعارات الأدبية، ولعلم الفيزياء المعاصر مجال رحب للعمليات التي تربط بعقدة واحدة العالمين الماكروو الميكرو (العالمين الأكبر والأصغر)، وهذه العقدة تفسح أمامنا المجال لإيجاد حل لنظرية الجزيئات الدقيقة وذلك على اساس طرق كونية واختبارات وتجارب مبنية على الأسس العلمية المعهودة.

لكننا لا نستطيع اليوم القول سوى أنه مما لاشك فيه أن الفريد مانات ليست إلا رؤية مستقبلية لعالم نظري، فالعلم عاجز الآن عن الرد عن السؤال عن تجانس الفريد مانات وتطابقها، مع ما نعرفه اليوم من الجزيئات الدقيقة كالبروتونات مثلا، أو أن الأمر يحتاج في البداية إلى اكتشافها ثم بحث مسألة التجانس هذه، ومع هذا فإن نظرية الفريد مانات قد اغنت العلم جدا، فهي:

أولا ـ أرغمت العلماء على إعطاء الجاذبية حق قدرها من الدراسة. فالمختصون بالجزئيات الدقيقة طالما اعتبروا أنه يجب أخذ الجاذبية بعين الاعتبار في علم الميكانيكا الكونية والفلك فقط، أما في العالم ـ الميكرو فلا داعي لذلك، لأن قوة الجاذبية هنا أصغر من القوى الكهربائية بـ ١٠ مرات، وقياس هذه القوة الضئيلة القيمة غير ممكن الآن حتى في حدود الذرة، لكن في الأنظمة ذات الكتل الكبيرة لهذه القوة تصرف مغاير، وهي تحديدا الوحيدة القادرة على الأخذ بزمام أمور النظام النجمي الهائل، وإرغامه على الانغلاق على نفسه.

وثانيا: ـ استطاع العالم ماركوف الإثبات حسابيا أنه اذا ماخُرب نظام ما مغلق، وذلك بإدخال شحنة كهربائية فيه، فإن هذا النظام يفقد قدرته على الانغلاق الذاتي الكلي، والعالم نصف المغلق يختلف عن العالم المغلق كليا بامتلاكه قناة اتصال مع الفراغ الخارجي، على شكل "بوتقة" أو "نفق" يستطيع بواسطتها مبدئيا التنقل آنيا في الفراغ والزمان.

على كل الأحوال تعالوا نسهل على أنفسنا تصور عالم الفريد مانات، الذي قد يكون كوكبنا الأرضي أحد أجزائه أو جزيئاته، لهذا علينا أن نتذكر وضع ماكسويل لكائن خيالي بإمرة التركيبات الفيزيائية الفرضية النظرية، فآنذاك سمي ذلك الكائن "بشيطان ماكسويل"، لأنه قادر على فعل الكثير: كمراقبة حياة ذرة ما، أو الطيران بسرعة أعلى من سرعة الضوء، أو الخروج سليما من خلال العوائق أو أشكال التحولات المختلفة وغير ذلك... إذن وبعد أن تذكرنا شيطان ماكسويل، تعالوا نتصور أننا نرافقه في

رحلة بين العوالم، انطلاقا من مركز كوننا الذي تبين أنه "فريد مانة مخربة"، ونطلق له العنان، ولنعطه كامل الحرية في التصرف، بالطبع سيصادف هذا الشيطان في بداية رحلته النجوم والمجرات وغيرها من التشكلات النجمية، التي قد توجد على بعضها حياة ما ذات أشكال لا نستطيع تصورها، لكن بعد فترة سيقترب الشيطان من "البوتقة"، وما إن يخرج منها حتى يصاب بالدهشة، لأن الكون الذي هو موطنه سيبدو له آنذاك هائل الصغر، أي واحدة من أصغر جزيئات عالم آخر، ونحن البشر قد نكون بانطلاقنا نحو الفضاء نرتقي سلما يؤدي إلى الأسفل، هل هذا مستحيل يا عباد الله؟

بالطبع ليس من السهل الاعتياد على متاهات هكذا منطق والتأقلم معها، ومع هذا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن هذه المتاهات تفتح أمامنا مجالات واسعة، فبواسطتها نستطيع ليس فقط إيجاد تفسير منطقي لوجود ايتي ونيسي والأجسام الطائرة المجهولة، وغير ذلك من الظواهر الغامضة على كوكبنا الأرضي هذا التفسير الذي يقتضي انها تأتي إلينا من عوالم مجاورة وترحل عنا عائدة إلى هناك حاملة معها أحيانا بعض البشر، بل ونستطيع أيضا بواسطتها - وبمنطق متكامل - توقع ما سيحدث نتيجة لمثل هذه الجيرة، وإذا ما أصدقنا أنفسنا القول فإن علينا أن نتوقع من هذه الجيرة أي شيء وكل شيء، فربما يكون منطق الخير والشر في العوالم الأخرى غير ما هو في عالمنا، والدليل على ذلك ما أوردنا عن الجروح والرضوض وغيرها من الإشكالات التي تعرض لها بعض البشر نتيجة مطاردتهم لجسم طائر مجهول، أو التقائهم بايتي وأمثالها من محتلي العوالم الأخرى، وكذلك عند الاقتراب من بعض الأماكن الغامضة التي ربما تكون مداخل للبواتق التي تحدثنا عنها، وبرأينا يبقى الشيء الوحيد المستحيل هو وضع الأشياء الذي تصوره العالم الفيزيائي الكوني الشهير فريد هويل بقوله: - "ما البشر إلا بيادق في لعبة الشطرنج يديرها عقل غريب عنا، وهذا العقل يتحكم بكل خطوة تخطوها البشرية، منشؤه كوكب آخر خماسي الأبعاد، كما ولهذا العقل خبرة كبيرة في كيفية ازاحة حواجز الزمان والفراغ المحيطة بنا، ولأننا لا نعرف حتى اليوم أساس وتركيب هذه الكائنات فإننا نسميها بالماهيات، وهذه الماهيات الفائقة الذكاء تختلفت عنا لدرجة نقف عاجزين تماما عن فهمها أو وصفها بمفاهيم بشرية، هذا وإنها على ما يبدو لا تعرف الحدود الفيزيائية التي تقيد الأجسام المادية، وتشبه أكثر ما تشبه العقل التام النقي، وهي تترحل من نقطة في الكون إلى أخرى آنيا، وموجودة في كل مكان من السماء والبحر والأرض، إنها موجودة منذ دهور وقرون لا تحصى، وربما تتحكم تماما بتطور العقل الانساني "لكن لنعترف أننا - كما انتم - لا نشك أبدا في أن المزاجات الانفعالية لا تساعد على اتخاذ الحلول الصحيحة، لهذا يجب علينا قبل ضرب نواقيس الخطر، القيام

بمحاولة لإيضاح الصورة الحقيقية للعالم، وهذه الصورة تبدو على الشكل التالي: - إذا ما كان العالم قد بدأ تطوره انطلاقا من نقطة واحدة للحساب، فإنه ليس لزاماً علينا اعتبار العوالم الأخرى سابقة لنا كثيرا من تطورها، فالكل انطلق بتطوره في اللحظة نفسها ومن نقطة واحدة... عدا عن ذلك لماذا علينا - نحن بالذات - لعب دور أرانب التجارب؟ إن العوالم كثيرة لاتحصى، ولذا ليس من المفهوم لماذا يعطينا عقل ما أفضلية أمام العوالم الاخرى. وحتى انطلاقا من نظرية الفريد مانات، فإن احتمال أن نكون حقل تجارب لعقول أخرى مساوٍ تماما لنفس احتمال أن نكون نحن من يجري الاختبارات على أحد ما غيرنا، كما نجريها على الميكروبات في وعاء بيتري "او كما على الجزيئات في جهاز فصل النوى... لذا تعالوا نكن صادقين مع أنفسنا وواقعيين، ونقول: إن ما بين أيدينا من بحث يستحق ويوجب التفكير به جديا، كما يوجد ألف سبب يدعونا إلى عدم التهرب مما لا نستطيع فهمه يرغمنا على المحاولة المرة تلو المرة لتسجيل هذا اللا مفهوم ومن ثم البحث فيه وفهمه، وما دامت مسألة الأجسام الطائرة المجهولة قائمة وملحة فإنه يجب علينا إيجاد تفسير لها، فهي تنتظر علماءها من أمثال اينشتين وما كسويل وفريد مان وماركوف وغيرهم...

وبما أننا قد خطونا أولى الخطوات في طريق التوغل في بحث الظواهر الغريبة التي تصادف، وإذا ماكنتم توافقوننا الرأي في لزومية البحث، فإننا ندعوكم إلى غياهب ظاهرة غريبة أخرى، ونحن على ثقة تامة بأنها ستشدكم إلى نفسها وستثير اهتمامكم كما ظاهرة الأجسام المجهولة وربما أكثر منها، فشدوا الهمم - اعزائي القراء - وابقوا معنا على الخط.

* * * * * *

العوالم في داخلنا

م . آ . دميتروك

تومن مجموعة من الديانات الشرقية بالتقمص أو إنتقال الروح، فحسب هذه الديانات تنتقل روح المرء بعد موته إلى امرىء آخر أو حيوان أو حتى نبته،وتتكرر عملية الانتقال هذه حتى بلوغ مرحلة الكمال، حيث تنغلق آنذاك دورة الحياة والموت، أي تذوب الحياة الفردية أو الذاتية في الحياة الكلية، وهذه العقائد ليست وليدة اليوم أو الأمس، بل رافقت الإنسان منذ العصور الغابرة وحتى الساعة.

والاطلاع على هذه العقائد يرغمنا على التساؤ ل عن كيفية نشوئها، وهل هي ضرب من الخيال أم هي مبنية على أساس منطقي؟، خاصة وأن بعض الناس الذين عاشوا في الآونة الأخيرة حالة أو لحظة الموت الاكلينيكي، قد وصف انفعالات وإحساسات عاشها لحظة الموت، تشبه إلى حد كبير وغريب عملية انتقال الروح التي تقول بها هذه العقائد، والموصوفة بشكل مفصل في "كتاب الأموات التبتي"، بالطبع يتبادر للذهن هنا سؤال عما إذا كان الموت الاكلينيكي هو الطريقة الوحيدة للغوص في بحار هذه الانفعالات والإحساسات، ورؤية عملية انتقال الروح، ومشاهدة حياة أخرى وربما حيوات، لقد تبين مؤخراً أن هذه الطريقة ليست الوحيدة في هذا المجال، فدون تعرض لأي خطر أو موت اكلينيكي يمكن للمرء رؤية كل هذا، إذا ماغاص في ما يسمى بالحالة غير العادية أو الحالة الفوق عادية للإدراك، وللانفعالات والإحساسات التي يعيشها المرء في حالة الإدراك غير العادية تأثيرٌ إيجابي على حالته النفسية، وربما تخلصه هذه الاحساسات من الكثير من الاضطرابات والأمراض، وهذا ماأكده العالم الأميركي الدكتور ستانيسلاف غروف في أبحاثه العديدة، وخلال زيارته الأخيرة للاتحاد السوفيتي، وعرضه على الباحثين السوفييت طريقته الخاصة للغوص في الحالة غير العادية للإدراك.

وقد قدر لكاتب هذا الكتيب ـ الصحفي الخاص لجريدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ـ أن يخضع لتجارب الدكتور غروف السابق الذكر، وأن يعيش إحساسات وانفعالات لاندركها في حياتنا العادية، ومن ثم استمع الكاتب إلى أقوال المتطوعين الآخرين الذين أجريت عليهم نفس التجارب محاولاً بحث الأمر وإيجاد التفسيرات العلمية المناسبة له، أما الدكتور غروف نفسه فيعتبر هذه المسألة أو الظاهرة جدلية ولن يحصل على جواب شافٍ لها إلا من خلال علم المستقبل.

أما ما يخص العلماء السوفييت فقد قطعوا شوطاً كبيراً في تفسير هذه الظاهرة،

وذلك رغم تأخرهم عن غيرهم من العلماء في البدء ببحث هذه المسألة، التي لم تكن أبحاثها معروفة لقطاع كبير من القراء السوفييت حتى السنوات الأخيرة.

لكن الوضع تغير اليوم، واستطاع علم الطاقة الحية "بيونرجيتيك" أن يفرض لنفسه وضعاً قانونياً في الاتحاد السوفييتي، وذلك بعد عشرات السنين من نفي العلم الأكاديمي له، وهذا ما ساعد في طرح الفرضيات المذكورة في هذا الكتيب، والتي يعتبر بعضها على درجة كبيرة من الجرأة، بل وربما خارجاً عن نطاق ماهو عادي، ومع ذلك فإن المسائل المطروحة هنا جد هامة، وتتطلب بحثاً عميقاً يعتمد على أحدث الطرق العلمية، لذلك وبعد هذه المقدمة القصيرة تعالوا نغُصْ معاً في مسألة الغوص في الحالة غير العادية للإدراك، ومسائل أخرى مرتبطة بها بشكل أو بآخر.

* * * * * * *

العوالم في داخلنا

إننا كثيراً ما نتباهى ونتفاخر بالنجاحات العقلانية التي حققناها، وذلك دون أن يتبادر لأذهاننا أن ما حققناه ليس إلا جزءاً ضئيلاً مما تقدر عليه إمكانياتنا العقلية، وطالما ألقينا اللوم على سوء الحظ المؤدي إلى فشل متلاحق، دون أن يخامرنا الشك بأن سبب هذا الفشل يكمن فينا غالب الأحيان، غير أنه يكفي أن نعي هذا الأمر بحق حتى تتغير الأمور نحو الأفضل، أليس هذاصحيحاً؟ بالطبع من الصعب القول بأن هذا صحيح، ذلك لأننا نتصور أنفسنا نعمل بكل طاقاتنا، بل وبأكبر منها في بعض الأحيان، فعن أي احتياط للطاقة يمكن التحدث؟.. إن هذا الكلام سليم حين نتحدث عن الحالة العادية للإدراك، إذ أننا غرفنا من احتياطي إدراكنا حتى بلغنا قاعه، غير أن للإدراك حالات غير عادية أو غير قياسية وغير معهودة تكتشف فيها القدرات الاحتياطية للحالة النفسية، وتزداد معها الإمكانيات البشرية بضع مرات.

وهذا ما تأكدنا منه بالتجربة التي أجريت على بعض المتطوعين المشاركين في البحث الأميركي السوفييتي، الذي نظم في موسكو في مركز علم الهرمونات (علم الافرازات الباطني) النفسي لعموم الاتحاد السوفييتي، والتابع لمعهد علم النفس التجريبي، وقد كان على رأس ذلك البحث العالم الأميركي رئيس رابطة علم النفس التواصلي الذاتي الدولية الدكتور ذو الشهرة العالمية ستانيسلاف غروف، فتعالوا نتحدث عن هذه التجارب .

تذكرة قبل الولادة

ها هي القاعة الكبيرة تفرغ من الكراسي، والستائر تسدل على النوافذ، وأجهزة ومعدات صوتية تأخذ مكانها في إحدى زوايا القاعة، التي أضحى جوها يومي بأن حفلة للرقص ستقام فيها، لكن بعد عدة دقائق أحضرت حصائر رياضية وفرشت على أرض القاعة، مما أوحي بالتحضير للعبة أو بضعة ألعاب رياضية، وزاد من هذا الإيحاء خروج عشرين شخصاً من المشالح الجانبية، والكل مرتد ألبسة رياضية، ثم جلس هؤلاء

الرياضيون" على الحصائر المفروشة بشكل دائري، وفي الوسط وقف الدكتور ستانيسلاف غروف، بينما اتخذت زوجته موقعاً لها خلف الأجهزة الصوتية.

غير أن ما بدأ بعد ذلك لايشبه الرقص ولا الرياضة، فقد استلقى الأشخاص العشرون على الحصائر ثم أغلقوا أعينهم واسترخوا بلا حركة طيلة الدرس، أو بالأصح طيلة جلسة الغوص في الحالات غير العادية للإدراك، وبدا أن كل المشاركين بالتجربة قد فهموا تماماً، ونفذوا تعليمات الدكتور غروف التي أعطاهم إياها قبيل الجلسة، فقد حدثهم الدكتور آنذاك عن الانفعالات الغريبة والإحساسات غير العادية التي يعيشها عادة المشاركون بالجلسة، وطلب منهم عدم تحريض أنفسهم على نوع معين من الانفعالات، لأن هذه تؤكد بشكل عفوي، وقد تختلف تماماً عن تلك التي توقعها الشخص أو حرض نفسه عليها، فالجسم البشري ـ نظام ذاتي التحريض، وإذا ما أضعفت الرقابة على الإدراك أو الوعي، فإن الجسم يختار دون أي خطأ تلك الانفعالات والإحساسات التي يحتاجها فعلاً في هذه اللحظة، ولابد من أن تعطي هذه الانفعالات تأثيراً إيجابياً وشافياً للجسم، فبعد الجلسة أو الجلسات يشفى المشاركون من الكثير من الاضطرابات والأمراض.

أما طريقة قيام الجلسة فجد بسيطة، إذ على المشاركين الاستلقاء والاسترخاء بعيون مغلقة، والاستماع إلى موسيقا إيقاعية محددة، فيتحرض المشارك ويتأثر بالموسيقا، مما يعطيه القدرة على التحكم بنفسه، وفي بداية الجلسة يلاحظ تسرع للتنفس عند كل المشاركين ومن ثم يختار كل مشارك ـ وبعفوية مطلقة ـ طريقة التنفس التي تناسبه، ثم تهتاج نفسه وتضطرب ويختار إدراكه بعفوية نوع الغوص المناسب له، وقد يحصل أحياناً أن يغوص أحد المشاركين في الجلسة أو بعضهم عميقاً جداً في عالمه الداخلي، مما يفقده السيطرة على جسده، فيقوم بحركات خطرة دون أن يعي ذلك، بل وربما تبدأ عنده ارتجافات عنيفة جداً، لذا لابد من أن يوجد حول كل مشارك شخص ما قادر على المساعدة في اللحظة الحرجة، وقد اصطلح على تسمية هذا الشخص بالكلمة الانكليزية "سيتر" أي الشخص الذي يعتني بشخص آخر.

وفي حالة فشل السيتر بمهمته فإن الدكتور غروف ، أو أحد معاونيه يأخذ على عاتقه هذه المهمة. لكن حتى عند فقدان التحكم بالجسد، فإن المشارك يبقى بكامل إدراكه وعلى إطلاع دائم بما يحدث له، لذلك يبقى قادراً دوماً على طلب المساعدة من

السيتر أو من أحد آخر كي ينتشله من حالة الإدراك غير العادية، وما عليه في هذه الحالة إلا أن يقول كلمة "توقف" وعند طلب التوقف يجب على المحيطين القيام بذلك، حتى لو تهيأ لهم بأن المشارك يعيش انفعالات إيجابية قد تفيده مستقبلاً، غير أني سأستبق الحوادث وأكشف لكم عن أن أحداً ما من المشاركين العشرين لم يطلب التوقف، وأن الكل كان سعيداً بما يعيشه، لكن لنعد إلى حديثنا الذي قطعناه: إذن، استلقى المشاركون الطوعيون على الحصائر، وتوضع " السيتر" كل في مكانه، ثم صدحت موسيقا إيقاعية عذبة سمعناها لأول مرة، وعرفنا بعدها بأن الدكتور غروف اختارها خصصياً للمشاركين السوفييت، وذلك كيلا تذكرهم بأي شيء من عالمهم العادي، فهي غير معروفة لهم من قبل، ولهذا يستطيع المشاركون الانتقال بخيالهم إلى العوالم غير المرئية، حيث اللاعادي واللامتوقع، دون أية تأثيرات خارجية محضرة مسسبقاً.

أما بالنسبة لي شخصياً فقد استلقيت منفذاً الأوامر المعطاة، وبعد برهة بدأت أتنفس بسرعة متهيئاً لي بأن الموجات الصوتية تنخر جسدي، ثم أخذت النغمات الموسيقية تولد عندي اهتزازات جوابية، أول ما ظهرت بين أصابع اليدين والرجلين، انتقلت بعدها باتجاه المركز، ثم تمركزت القدرة كلها في تيار واحد، وعند وصول الاهتزازات إلى رأسي أخذت تتراءى لي أشكال ناصعة. لقد رأيت نفسي ..... من جهة أخرى أو جهة حيادية، وشعلة نار بيضاء تتراقص حولي، ثم أحاطتني النار من كل صوب، غير أني لم أشعر بالخوف أو الألم، فالنار بدت لي باردة لطيفة، وبعد فترة أخذت النار تخترقني نحو العمق، وتحرق كل ما بدا لي مريضاً أو خبيثاً في جسدي وروحي، ولاتلمس أيا مما أتصوره سليماً معافى، لقد أحسست بأن عملية علاج هائلة القدرة تجري في داخلي، وتترافق باهتزازات وارتجافات كانت تقوى أحياناً لدرجة صرت أرتجف معها كالمحموم، لكن دون أي احساس بالألم أو الخوف، وبعد ذلك بدأ جسدي يغرق تلقائياً في تيار من القدرة والنار وارتجافات عنيفة تصفعني من جديد دون أية معاناة أو ألم، بل على العكس مترافقة بشعور لطيف طيب، لكن فجأة انتابتني رغبة في البكاء، حاولت مقاومتها لكن دون جدوى، فالدموع انسابت على خدي بعفوية مطلقة، ومرة أخرى دون أن تخلف عندي شعوراًبالمرارة أو العيب. لقد ترافقت تلك الدموع بنوع من السعادة والراحة، لكن ذلك الإحساس لم يدم طويلاً، لأنه بعد ذلك صارت التيارات النارية تعصف من جهات عديدة في جسدي وتصب في منطقة الحوض، ثم أخذت تلك التيارات تتمايل ببطء، وبدأت أشعر بأن زوبعة تتشكل في داخلي، وفي مركز تشكلها ظهرت اهتزازات وارتجافات عنيفة، ولدت لدى توتراً وألماً فظيعين أسفل بطني، فرغبت بالصراخ طالباً

المساعدة، غير أن فكيّ كانا مشلولين بسبب الارتجافات العنيفة، لذا حاولت التنفس بعمق، غير أني لم أستطع التنفس، فسألت نفسي: أليست هذه غيبوبة الموت؟ أليست هذه نفس اللحظة التي تسبق الموت ورحيل الروح؟ لكن عضلاتي لم تلبث أن تراخت فجاءة فأحسست بخفة كبيرة وبحالة من اللاوزن رائعة، ثم بدأت أتحرك عفوياً، وصار جسدي يلتوي تارة نحو الخلف وأخرى حول محوره، نافخاً بذلك بطني مرة ومقلصاً إياه مرة أخرى، وظهر ألم جديد في بطني وتكررت هذه العملية بضع مرات، لمع بعدها في ذهني إلهام أو خاطر بأني... نعم لابد أني أعيش مخاضاً، أني ألد لامحالة، فهذه الارتجافات والتقلصات ليست إلا المخاض بعينه، وهذه الآلام والتعصرات ليس إلا نفس ما تعانيه المرأة في المخاض.

لكن كيف يجري هذا؟ لقد توقعت قبل الجلسة أية إحساسات، لكن هذه لم تخطر أبداً ببالي، فأنا كرجل لا أملك تلك الأعضاء التي قد تولد مثل هذه الانفعالات، لذا تبادر لي أن ما عشته ليس إلا ضرباً من ضروب طيف الألم، فالمرء الذي فقد يده يوما ما، لايفقد أبدا الإحساس بالجرح الذي ضربها، وأدى إلى فقدانها، غير أن هذا يعني أني كنت أملك يوماً ما أعضاء أنثوية، نعم تساءلت عن ذلك ورغم سذاجة السؤال فإني لم أجد جواباً محدداً له، وبدا لي أني بقيت أطرح على نفسي نفس السؤال دهراً من الزمن، وفجأة قطع تسلسل أفكاري ذاك هجوم جديد للألم وعاودني الشعور بأني أعيش مخاضاً، ثم بدا لي أني أعرف هذه الانفعالات والإحساسات من زمن بعيد، لقد تذكرها جسدي تماماً فرحت أتساءل من جديد، كيف ولدت هذه الاحساسات فيّ ؟ وهل أكون استرجعت في ذاكرتي انفعالات وإحساسات والدتي عند ولادتها لي ؟ هذه الإحساسات التي انتقلت إلي وانطبعت في ذاكرتي على ما يبدو بطريقة لانعرف عنها شيئاً، أم أني قرأت بنوع من التخاطر أو التواصل معلومات مما تحت إدراك "السيتر" الخاص بي - فقد كانت امراءة متعددة البنين؟ أو قد أكون - حسب فلسفة الشرق - قد استرجعت ذكريات حياة من حيواتي السابقة والتي كنت فيها... امرأة؟

إن هذه التساؤلات كلها أرغمتني على التوجه لاحقاً بالسؤال إلى الدكتور غروف وزوجته كريستينا التي قالت بادئة الرد:

" - إن هذ الأمر قد يبدو مضحكاً لمراقب حيادي، غير أننا كمختصين كثيراً ما نلاحظ أن الرجال المشاركين بالجلسات يعيشون فعلاً مخاضاً حقيقياً، وكثيراً منهم

يقولون إنهم شعروا بانصهار تام مع أمهاتهم، وقد يحدث ـ على مستوى آخر للإدراك ـ أن يولد تطابق تام بينهم وبين نسائهم، أو بينهم وبين النساء بشكل عام".

أما الدكتور غروف فقال راداً على تساؤلاتي:
ـ مكمن الأمر هنا في عدم وجود حدود فاصلة بين المولود الجديد وأمه عند الولادة، فهما كل واحد عضوياً وروحياً، والانفعالات والإحساسات عندهما واحدة، لذلك ليس غريباً أبداً أن تنطبع في ذاكرة الطفل إحساسات والدته، فمن المحتمل أن تكون ـ خلال الجلسة ـ قد استرجعت ذاكرتك إحساسات وانفعالات والدتك، فشعرت لذلك بوجود أعضاء أنثوية لديك، غير أن هذا لايستبعد أيضاً الاحتمال الآخر الذي ذكرته كريستينا، فربما ظهرت لديكم ما يعرف بمعلومات اللاوعي اليونغي الجماعي العتيق، فحسب يونغ: لكل امرىء قدرة على إعادة الحياة للذكريات عن الأجداد في ذاته، وليست هذه سوى تهيؤات وتصورات مطلقة عامة ذات بدايات ذكرية وأنثوية عن حالة الوالدة ومعاناة المخاض وغير ذلك.

وهناك تفسير ثالث للأمر، فالهنود يقولون: إن جميع الكائنات الحية تبدو في أعلى مستوى للإدراك، منصهرة في كل واحد، لذلك يعرف الفرد عن الكل والكل عن الفرد، غير أنه ـ وفي كل الأحوال يحصل المرء عند الولادة على معلومات عن معاناة والدته، ولذلك ليس من العجب أن يشعر بانه في مخاض عند استرجاعه لهذه العملية في ذاكرته، وبالطبع نستطيع الجدل حول المستويات العديدة للإدراك، ولكن شيئاً واحداً لايمكن الشك فيه، وهو حقيقة أن يشعر الرجال فعلاً بمعاناة المخاض والولادة عن أمهاتهم "هكذا الأمر إذن ـ حقيقة واقعية لكن دون تفسير مطلق، وهذا بالتحديد ما شدني نحو المشاركة مرة أخرى في جلسة جديدة، لكن هذه المرة تبادلت الأماكن و "السيتر" ـ فصار علي مساعدة الشخص الغائص في أعماق الأنا، وهذا الشخص كان إيلينا الكثيرة البنين، تعالوا أطلعكم على ما جرى أنذاك: لقد بدت لي إيلينا منفذة هادئة مطيعة، ذلك أنها استلقت على الحصيرة بهدوء تام، ولم تفقد ذلك الهدوء طوال الجلسة، لكن أصابع يديها كانت تتخذ أحياناً أوضاعاً غير عادية، وأحياناً تبدو لدرجة ملحوظة، وفي كل مرة كان يكفيني ملامستها حتى يعود إليها الدفء والمرونة، وقد فتحت إيلينا عينيها عدة مرات خلال الجلسة، ونظرت باستغراب إلى كفيها وكأنها تراهما لأول مرة، ففي حالات الإدراك غير العادية قد يتراءى للإنسان أي شيء، وقد يعيش أية إحساسات متوقعة أو غير متوقعة، لكن لنعد إلى موكلتي ففي لحظة ما تجعد وجه إيلينا وتكرش كما

عند مولود جديد، وانسالت الدموع على خديها، فظننت أنها تعيش لحظات ولادتها من جديد... لكن الحقيقة كانت شيئاً مغايراً تماماً. فقد حدثتني إيلينا بعد الجلسة قائلة:

"ـ لقد شعرت بأني رجل يقف على سطح هرم بلا قمة (لم تكن إيلينا تعرف قبل ذلك أبداً أن الهنود الحمر في أمريكا بنوا أهرامات قبل اكتشاف كولومبس لأميركا بزمن بعيد "ملاحظة المؤلف") ويداي مقيدتان، وأنا انتظر حتفي فمن المفروض أن ينتزعوا قلبي قرباناً، (لقد مارس الهنود الحمر فعلاً في الماضي طقس انتزاع القلوب من البشر وتقديمها لآلهتهم، غير أن إيلينا لم تكن دارية بمثل هذا الطقس ـ "ملاحظة المؤلف".

بعدئذ جاءني الموت ومت، لاأدري كيف، لكن بعد الموت رأيت نفسي أتبخر فوق الهرم فتساءلت: أتكون روحي قد انفصلت عن جسدي؟ ولم أجد جواباً ثم لفني ضباب ذهني رائع الجمال، وأخذت أسبح فيه مضاءة ومنارة بضوء غير الذي نعرفه في عالمنا، وفجأة رأيت نفسي في مكان آخر وعلى شاكلة أخرى، لقد تحولت إلى قطة برية بنية اللون تشبه لحد كبير الوشق، لكن بالتأكيد ليس وشقاً، (تطابق وصف إيلينا مع صفات النمر الأرقط وعاداته مع أنها لم تسمع عنه أو تراه من قبل ـ ملاحظة المؤلف)، ولم يدهشني ذلك التحول المفاجيء بقدر ما أدهشني شعور رائع بتماس خفيف بين قوائمي وسطح الأرض، لقد كان ذلك الإحساس غير عادي، ومع ذلك شعرت وكأني معتادة عليه منذ زمن طويل، فجسدي تذكره تماماً، ولهذا السبب طالما فتحت عيني لأنظر إلى كفي اللذين توقعت أن أرى مكانهما قوائم قطة برية، وحين أراهما في مكانهما أغلق عيني من جديد لأتابع الرؤية، رؤية المشهد التي تصورت أنه لم يطل أكثر من ثانية رغم كونه قد شكل لي عالماً كاملاً متكاملاً، وبعد تجول في الغابة خرجت منها نحو ضفة نهر، ورحت أسير على رملها بحذر، ثم اقتربت من الماء متلصصة متحفزة، ولما رأيت بضع سمكات فيه قفزت نحوه بلمح البصر واصطدت سمكة كبيرة بأسناني، لقد كان صيداً ناجحاً، عرفت ذلك من اختلاج جسد السمكة البارد في فمي، وكيلا أعطي السمكة فرصة للفرار ضغطت بفكي عليها فاخترقت أسناني حراشفها وطقطقت عظامها، فامتلأ فمي بطعم السمك الذي أحب وفجأة بعد ذلك مباشرة، أخذت الصور تتبادل الأماكن بين بعضها بتسلسل عكسي، فتبخرت من جديد سابحة فوق الهرم، ثم تحضرت للموت، وأخيراً عادت روحي إلى جسدي".

إن قراءة أولية لما رأته وحدثت عنه إيلينا بوضوح تظهر صعوبة تفسير مثل أحاسيسها حتى بنظرية يونغ، فما بالكم إذن بالنظريات التقليدية الأخرى؟ وصعوبة التفسير تكمن في أن إيلينا لم تر تصورات وتهيؤات عامة، بل حوادث محددة دقيقة، ولم تصف شيئاً عاماً أو عابراً بل حياة شعوب قديمة عريقة، وحيوانات لم تكن حتى سمعت بها مسبقاً، هنا يقول قائل: إنها ـ أي إيلينا ـ ربما وصفت ما شاهدته يوماً ما في فيلم سينمائي أو ما قرأته في كتاب ما ونسيته تماماً، ولما غاصت في حالة الإدراك غير العادية أعاد دماغها صياغة المعلومات التي حصل عليها من ذلك الفيلم أو الكتاب، وقدمها لها على هيئة أشكال غريبة، غير أن حكماء الشرق ما كانوا ليفسروا هذا الأمر إلا بظاهرة التقمص: فروح إيلينا كانت يوماً ما "تسكن" جسد نمر، ثم انتقلت إلى أحد الهنود الحمروهكذا دواليك،هذا بالنسبة للشرق، أما بالنسبة للغرب فيفترض شيئاً أخراً، فحكماؤه يقولون: بأن للأرض حقلاً معلوماتياً أوحدَ، يضم في طياته كل تاريخ الكوكب، (أحد مستويات هذا الحقل هو اللاوعي الجماعي الذي قال به يونغ ـ ملاحظة المؤلف)، وإذا ماتوصل المرء بهذا الحقل، فإنه يستطيع التزود منه بكل ما يحتاجه من المعلومات عن الماضي السحيق، المعلومات التي كانت شيئاً مستحيلاً بالنسبة له سابقاً.... أما ستانيسلاف غروف نفسه فلا يأخذ بهذه النظرية أو غيرها كواقع مطلق، لكنه لايشك أبداً بوجود ظاهرة نفسية، تتفتق كاشفة عن نفسها في الحالة غير العادية للإدراك، مؤدية إلى عيش البعض منا لحالة تقمص الروح وانتقالها مع أن هذا البعض لم يعرف هذه الظاهرة سابقاً، وحتى لم يسمع عنها شيئاً، فمثل هذه الأحاسيس تقبع دائماً في زاوية ما من زوايا خارطة الإدراك لدى المرء.

هذا بالنسبة للدكتور غروف، أما نحن فنستطيع القول على ضوء ما سبق: إنه لمن غير المشكوك فيه أن تفسير هذه الأحاسيس والانفعالات سيبقى موضوع جدل لزمن طويل، كما ويمكن أن نضيف بشكل محدد وسليم، بأن لهذه الأحاسيس والانفعالات تأثيراً كبيراً على حالة المرء النفسية، فآلاف التجارب المجراة تشير إلى تأثير إيجابي لعملية التواصل التي يعيشها المرء في حالة الإدراك غير العادية، وآخر من تأكد من صحة هذا الأمر العشرون مشاركاً في التجربة الأميركية ـ السوفيتية التي تحدثنا عنها، أما المحيطون بالمشاركين بجلسات الغوص "فكثيراً ما أصيبوا بالدهشة جراء التغيرات التي طرأت على زملائهم بعد تلك الجلسات، فالمشاركة فيرا، مثلاً حضرت إلى العمل بمزاج رائع رافقها طيلة اليوم، هذا في الوقت الذي عرفت فيه ببرودة أعصابها وبصعوبة إخراجها عن طورها، كما لم تفارقها البسمة، ولازمها النشاط والحيوية، وازدادت معاملتها للناس لطفاً

ورقة، لقد بدا وكأن وعيها قد أصيب بتغير مفاجيء ، هذا ما أكده كل المشاركين بجلسات "الغوص" في الحالة غير العادية للإدراك. إليكم ما قالته فيرا بعد الجلسة:

ـ في البداية شعرت بحالة اللاوزن رقيقة تلف بي، ثم بدا لي وكأن جسدي يغوص في سائل ما في وعاء بيضوي الشكل، ففهمت أن ذلك السائل ليس إلا ماء الرحم، وما جسدي إلا جنيناً يسبح فيه، وفجأة برزت لدي أحاسيس أخرى، إذ شعرت وكأني بثوب الغوص تحت الماء، وبجهد أحاول نزعه عن جسدي مع أن إحساساً رقيقاً يملأ نفسي، ثم ما لبثت أن عادت إلي حالة اللاوزن من جديد، وشعرت أني أتبخر في الهواء حيث ارتفع جسدي عن الأرض وببطء أخذ وضعية الاستلقاء، ولفني نور غير الذي رأيت وعرفت من قبل فتساءلتِ بعفوية: أيعقل أن يعي الطفل ويشعر بمثل هذه النعومة والرقة عند ولادته؟ لكني بعد ذلك لم أشعر بشيء ولم أر شيئاً، إلا أن شعوراً بالغبطة ومزاجاً رقيقاً لازمني طيلة شهر كامل بعد الجلسة.

هنا لابد من القول: إن ما حدث لفيرا حدث لسبب بسيط جداً، لقد تخلصت تلك المشاركة الطوعية من صدمة الولادة النفسية، وذلك من خلال "الغوص" في حالة الإدراك غير العادية، لكن قائلاً يقول: إنه من الصعب جداً التصديقبأن الجهد الضئيل الذي بذلته فيرا قد أعطى مثل ذلك النجاح الهائل، لهذا القائل أصرح بكل صدق إني تأكدت من ذلك شخصياً وبتجربتي الخاصة، لهذا تعالوا نتابع الحديث دون التوقف عند الشك بهذا القول أو ذلك.

الحياة بعد موت "الانا"

للحقيقة والتفصيل سأحكي لكم ما جرى لي قبل نصف سنة من تجارب ستانيسلاف غروف، إذ شاركت آنذاك بمثل جلساته لكن تحت قيادة مواطنه ساندراربي. وقد عانيت وقتها أحاسيس مأساوية، وعشت إحساسات صعبة، لكن النتيجة النهائية كانت إيجابية. فاستمعوا ـ إذا سمحتم لماجرى معي آنذاك، في بداية الجلسة سار كل شيء بشكل جيد، ثم أخذت أتنفس بعمق وظهرت اهتزازات في يدي ورجلي، ولسعتني تيارات من القدرة، وعانيت من بعض الارتجافات الضعيفة، ثم رأيت فجأة نوراً ساطعاً، فظننت أن مصباح السقف قد أشعل، لذلك فتحت عيني بعفوية، لكني لم أر شيئاً، لأن العتمة كانت تسود كل القاعة تماماً كما في بداية الجلسة، مما حدا بي إلى

إغلاق عيني من جديد، ومرة أخرى رأيت النور نفسه وبدت لي يدا "السيتر" الخاص بي - باتريك كولورد - ... تشعان نوراً لقد بدا لي ذلك بوضوح جلي على الخلفية المعتمة، فاشتد بي الفضول ورفعت يدي إلى مستوى عيني لأراهما تشعان نوراً أيضاً، مما أوحى لي أن ذلك ليس إلا نور الإلهام. فالأطفال الحديثو الولادة أو بالأصح الذين ولدوا للتو يرون خلال ولادتهم نور الإلهام حسب اعتقاد العالم السوفييتي اي . بي . تشاركوفسكي، أما بالنسبة لي، فإن نفس العالم يعتقد بأني استعدت بذاكرتي عملية ظهوري إلى الكون، لكن بتسلسل زمني عكسي أو معكوس: فهنا رأيت النور أولاً في دار التوليد، ثم شعرت بالتقلصات والتعصرات في جسدي والتي أحسست بها يوم ولادتي، وهذا ما دعاني للتفكير بأنه قد يكون هذا ما يجب أن يحصل بالفعل، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عمرنا يجري في تقهقر وتراجع مستمر، أي باتجاه معكوس كما رؤيتي خلال الجلسة.

لكن من ناحية أخرى ربما تكون هذه لعبة من لعب الخيال، فقد أكون قرأت يوماً ما عن الإلهام ونوره، أو فكرت بهما بعمق، ولذلك شكل لي وعيي ودماغي في الحالة غير العادية للإدراك - تلك التصورات التي رأيت والأحاسيس التي عشت، وذلك استناداً إلى المعلومات التي أخذتها يوم قرأت أو فكرت، غير أني لم أعرف قبل ذلك أن حديثي الولادة يمرون من خلال تجربة رؤية نور الإلهام، ومع هذا رأيت ذلك النور بوضوح تام، لذا لابد من التساؤل: هل من داع إلى النظر لإشعاع الأيادي والرؤوس على أنه ضرب من الخيال؟ لكن تعالوا، بعد هذا الابتعاد الاضطراري عن رؤيتي خلال الجلسة نعود إليها، فبعد التقلصات والتعصرات في جسدي اختفى النور فجأة ثم قويت الارتجافات وأحسست بجسدي تحت ثقل كبير، وكأنه - أي جسدي - حشي بمعدن الرصاص. وأخذت قوة غير مرئية تعصرني وتلويني كما لو أنها تريد تحطيمي، وقبع شيء ما جد ثقيل وضخم على صدري وأخذ يضغط عليه محاولاً سحقي، فتبادر لي فجأة أني أعيش نفس المآسي التي عشتها في أحلام الطفولة، فقد بقيت ذكريات ضبابية عن تلك الأحلام تقبع في ذاكرتي مترافقة بخوف من الموت، فالحق يقتضي الاعتراف بأني عشت هذا الشعور في طفولتي ومراهقتي، كما أنه طالما راودتني بسببه فكرة الإقدام على عمل ما خطر قد لاتحمد عقباه، وما الداعي له على الأرجح - سوى نزعتي اللا إراديةالهادفة إلى التغلب على ذلك الخوف والتخلص منه، ولتوضيح الأمر أقول إن من رأى - ولو لمرة واحدة - الشاطىء الجنوبي لشبه جزيرة القرم يعرف خطورة القفز عن صخوره إلى ماء البحر، لكن مع معرفتي بذلك كنت أختار أخطر تلك الصخور وأصعبها للقفز نحو ماء

البحر، والتي قد أتحطم فوق نتوءاتها البارزة، وأقفز من فوقها إلى البحر، وكنت أبحث عن المكان الذي لامجال فيه للقيام بركضة التحمية أو الاستعداد، فهناك لابد من إرغام الرجلين على دفع الجسد بقوة هائلة كيلا أقع على أحد النتوءات، ولم يحدث يوماً ما أن قفزت بوضع شاقولي، أي برأس متجهة نحو الأسفل، بل كنت بعد القفزة، أتقوقع مقرباً رجلي من ذقني وأسقط بتسارع نحو الماء.

لقد تساءلت بعد الجلسة: أليس لهذا السبب كنت أتخذ عند القفز نفس وضع الجنين في رحم الأم، وبلا إرادة أو سابق تصميم؟ أليس من خلال القفز المحفوف بالمخاطر، كنت بعفوية أستعيد تلك الأحاسيس التي رافقت عملية بروزي إلى النور؟

فالتشابهات مدهشة حقاً: فهنا وهناك خطر كبير في الطيران فوق القاع، وفي المكانين جسدي ينطوي ويتقوقع، ومن ثم يتلوى، ويحاول الاستقامة شاعراً بألم عنيف لايوصف، ومع ذلك كنت أعيد الكرّة، إني لم أستطع ولو مرة واحدة إرغام جسدي على الاستقامة ومن ثم القفز بشكل شاقولي، ولم ألامس الماء أبداً على شكل شمعة، بل دائماً منبسطاً أو جانبياً، وكثيراً كنت أنسى إغلاق عيني ووضع اليدين فوق الرأس مما كان يؤدي بي في الكثير من الأحيان إلى فقدان وعيي... ومع هذا كنت كلما سنحت لي الفرصة أرتقي الصخر لأقفز من جديد.

لقد كان علي أن أشعر بذلك الألم مرات ومرات، ربما لأنه يذكرني بأحاسيس ولادتي، وربما كان دماغي بعمله ذلك يقذف بتلك الأحاسيس خارج إدراكي ليعينني على التخلص من صدمة الولادة، لقد كان علي أن أعيش المرة تلو المرة فظاعة البروز إلى النور، وكان علي أيضاً أن أخرج من تلك المعمعة منتصراً كل مرة، وبلا إرادة كنت أعيد برمجة إدراكي فذكريات الولادة الثقيلة كانت تنتهي بأحاسيس من النشوة ممتعة، وبعد كل قفزة وخاصة عند ارتفاعي في الماء نحو سطحه مسترخياً تماماً، ومتمتعاً بأشعة الشمس المتكسرة فيه.

وسعيداً لأني بقيت من جديد على قيد الحياة، هكذا كانت تتكامل أحاسيس الصدمة لتتخلص أخيراً إلى نهايتها السعيدة، وبالنتيجة لم يعد هناك من داع للمرور بهذه التجربة فالآن امتنعت نهائياً عن القفز من فوق الصخور العالية.

غير أن أحاسيس الولادة الثقيلة قد بقي على ما يبدو قابعاً في ذاكرتي إنه ذلك

الإحساس الذي رافق تسممي جنينا في رحم والدتي بسبب الأدوية التي كانت تتعاطاها، ولذا لم ينتج عن عبث إحساس خلال الجلسة الثانية مع ساندراربي بتسمم مرير قاتل، فقد تهيأ لي أني أموت بالفعل، ولهذا قطعت على نفسي عهداً ألا أشارك بعد ذلك في جلسات الغوص أو ما شابهها من الاختبارات، لكن لم تمض بضعة أسابيع حتى حدثت تغيرات مثيرة في جسدي وروحي، كان أغربها زوال العلة التي صارعتها طويلاً دون جدوى، إنها الروماتيزم الذي عانيت منه طويلاً قبل الجلسة واختفى نهائياً بعدها.

واليوم رغبت من جديد في المشاركة بجلسات الغوص في الحالة غير العادية للإدراك وأتيحت لي الفرصة لحسن الحظ، لكن رغم حسن حظي هذا فإن شيئاً غريباً لايمت للحظ بصلة بقي يرافقني ، فقد كنت أتوقع أن أعيش شيئاً آخرَ مغايراً تماماً لما عشته بالفعل، فقد كنت أرغب أن أعيش تهيؤات وأشكالاً نورانية ناصعة، غير أني لم أحصل سوى على أحاسيس جسدية فقط، ومكان الحيوات الأخريات التي تمنيت أن أرى مقاطع منها، غصت في متاهات وآلام الولادة، نعم لم أكن أتوقع أبداً أن أعيش أحاسيس ولادتي، لكنني بعد ذلك استغربت الأمر، وفهمت أن تلك الأحاسيس بالتحديد هي المناسبة لي.

ومع أني أشك اليوم بقدرتي (فيما لو أعيدت الكرّة) على تحمل تلك المعاناة التي عشتها خلال آخر جلسة مع ساندراربي، لكن أعرف تماماً أنه لابد لتلك المعاناة أن تصل إلى نهايتها المنطقية، كي أستطيع التخلص من صدمة الولادة، فما العمل إذن؟ لقد وجد الجسد المخرج بنفسه، فقد عشت أحاسيس مثيلة لتلك المعاناة لكن دون أن أتعرض لأي خطر: فأنا أعيش أحاسيس والدتي ابتداءاً من آلامها خلال الولادة، ومروراً بعملية الولادة نفسها، وانتهاءً بحالة السعادة الرقيقة والمترافقة بدموع الفرح، والتي لفت ولادتي بعد بروزي إلى هذا العالم، هكذا إذن اكتملت تجربة الولادة، ولاداعيبعد اليوم لتكرارها، لقد فتح أمامي آنذاك طريق موصل إلى أعلى حالات الإدراك، وأستطيع القول اليوم: إني وصلت بالفعل إلى حالات الإدراك العليا خلال جلستي الثانية مع الدكتور غروف، وذلك لما لعبت دور "السيتر" الخاص بإيلينا خلال تنقلها في العوالم الداخلية، لقد رغبت جداً في أن تنجح التجربة، ولذا ساعدت إيلينا قدر المستطاع، فأدفأت باللمس أصابع يديها وعظامها، وذكرت - في اللحظات الحرجة - بالطريقة المثلى للتنفس، وحاولت جاهداً انتزاع الآلام من رأسها بتمريرات من التواصل عن بعد، فتوغلت بنفسي في الحالة غير العادية للإدراك، وصرت أخمن كل رغبات إيلينا الباطنية، فمثلاً شعرت بحاجتها الماسة للمواساة والعطف في اللحظة التي قدموها قرباناً للآلهة، واجتاحتني آنئذ رغبة

كبيرة في أن أمد يديّ إليها، ومددتهما بالفعل، فالتقطتهما إيلينا على الفور واحتضنتهما بين أصابعها، وبعد أن اختفت رؤيتها المخيفة باعدنا أيدينا عن بعضها أيضاً دون اتفاق بل بعفوية مطلقة، لقد دخلت إذن عالم التواصل، ولقد ولدت لدي قدرة باطنية على تقاسم الأحاسيس، فعندما انسابت دموع السعادة على خديَّ إيلينا بكيت حناناً، ولم أشعر بالعيب والخزي من ذلك، تماماً كما لم تشعر إيلينا بالعيب من تنقلها في الماضي ناسية حاضرها، وقد شاركتها تلك التنقلات، وعشت معها أحاسيسها وقاسمتها البسمة والدمعة على السواء، والأمر لم يقتصر على هذا فقط. فقد بدا لي وكأن إدراكي يتوسع ويتفتح، فصرت أشارك كل المجموعة أحاسيسها.

لكن كان علي البقاء في مكاني لرعاية المكلف بالوصاية عليها خلال الجلسة، لذا لم يكن أمامي سبيل سوى رجاء الخير والطمأنينة لكل المشاركين، وقد تبين لاحقاً أن مثل ذلك الرجاء لايقل أهمية ومفعولاً عن المساعدة الحقيقية التي تعطى في حالات الإدراك غير العادية، وقد تبين لي لاحقاً، أي بعد التجربة أنه وحتى إيلينا الغائصة في عوالمها الأخرى عاشت مثل رغبتي تلك، فعندما شعرت بعذاب جارتها المشاركة بالجلسة (فهذه كانت تعيش مأساة عجوز منسية تصارع نزعات الموت جوعاً) زودتها ذهنياً تخاطرياً بقدرة وقوة لغيمة الذهنية الدافئة التي لفت روح "الهندي القربان". فساعدت هذه القدرة الجارة كثيراً، وهذا ما يؤكد ما قلته آنفاً: إن المساعدة الذهنية أو التخاطرية لاتقل مفعولاً عن المساعدة الحقيقية في الحالة غير العادية للإدراك.

بالطبع قد يتبادر لبعضكم أن هذا ليس إلا ضرباً من ضروب الخيال، قد يكون ذلك، لكن ليس خيالاً صرفاً أو ليس خيالاً فقط، وإلا كيف نفسر إحساس شخص ما في قمة سعادته بمعاناة شخص آخر يعيش مأساة حقيقية، وليس بمعاناته فقط، بل ويرجو الخير ويحاول مساعدته ذهنياً بكل استطاعته، إذن ليس من ضروب العبث تحذير الدكتور غروف لنا من أنه في مستوى التواصل الذاتي يكون لأحاسيس كل مشارك في الجلسة تأثير كبير على المشاركين الآخرين، فسعادة أو معاناة الآخرين لاتشكل عائقاً في وجه ذلك الذي تجري عليه التجربة، بل تعمق تجربته، وعلى كل يبقى خارج حدود الشك ما قالته جارة إيلينا عن أنها ـ خلال معاناتها مأساة العجوز التي تصارع الموت ـ شعرت بنفسها في لحظة ما وكأنها إنسان جديد، إنسان ولد من جديد، وهذا ما يدعو للتساؤل عما إذا كان إحساسها ذاك قد خلقته القدرة الدافئة للغيمة الذهنية التي ذكرت آنفاً، وبعد التجربة أكدت لنا تلك المرأة بأنها تشعر وكأن كل مشاكلها التي أقلقتها سابقاً قد ولت إلى الأبد، وأنها قد ولدت بالفعل من جديد. وللحق علينا أن نعترف بأن مثل هذه التغيرات لم تخص واحداً من المشاركين دون الآخرين، بل شملت الجميع بلا

استثناء، وهذا ليس بالأمر الغريب، فقد خُلق خلال الجلسة جو نقي اتصف بصدق النية والرغبة العارمة في مساعدة الآخرين، وهذا الأمر يتقبل في حالات الإدراك غير العادية على أنه شيء حقيقي وذو تأثير إيجابي على الحالة النفسية للمرء، ففي مثل ذلك الجو تختفي الفوارق والحدود ويتساوى الرئيس والمرؤوس والشهير والمغمور، ويعيش الكل رغبة عارمة في مساعدة الآخرين والوصول إلى قمة وذروة نقاوة النفس الإنسانية، إن كل مشارك في تلك الجلسات قد عبر بعدها عن سروره لمشاركته فيها، وأكد أن نتائجها كانت إيجابية جداً بالنسبة له.

أما بالنسبة لي شخصياً فقد غمرني أيضاً شعور عارم بالسعادة لاشتراكي بعيد الحنان والمواساة ذاك، ولقد تأكدت من أن الآخرين جميعاً قد عاشوا مثل أحاسيسي تلك.

وهذا أبان لي بأن حدود الذات قد اختفت، وأن المشاركين بالتجربة انصهروا روحياً في كل واحد، رغم بقاء الظاهر أو الجو العام على حالته السابقة، فالمشاركون بقوا مستلقين على الحصائر و "السيتر" والقائمون على التجربة يروحون ويجيئون في القاعة متأهبين لتقديم المساعدة والعون، وهذا الجو وهذه الحالة أوحت لمواطني دول مختلفة بأنهم أخوة من والدين واحدين، وقد تكون هذه الأحاسيس هي بالتحديد ما يصبو إليها الهنود من خلال ممارستهم لليوغا: فهذه تلغي حدود الذات، وتوسع الإدراك وتوحي للمرء بوحدته مع البشرية جمعاء، حين يطفو هذا الشعور، تبرز إلى السطح الحقائق الأزلية القائلة بأخوة ووحدة الناس أجمعين، ويحب الخير للأخرين كما للنفس وبطلب الرحمة للعدو كما للذات.... فنحن جميعاً كل واحد في مستوى التواصل الذاتي، ولهذا السبب قد يكون السوفييتي فاليري افدييف، المختص في أمور التواصل عن بعد، محقاً إذ يقول في نظرته للعالم في الحالات غير العادية للإدراك: "إننا نشبه خلايا صغيرة في جسم ضخم يتصف ويتميز بإبادته لكل من يسيء للآخرين: أي الكل الواحد، هذا في الوقت الذي يمنح فيه الصحة والسعادة لمن يعيش من أجل الأخرين".

عائداً من تجسيدات الماضي

بعد التجربة كان لي حديث مطول مع الدكتور ستانيسلاف غروف، وكانت البداية بالسؤال التالي: - إنكم تدرسون الحالات غير العادية للإدراك منذ عشرين سنة، وقد أجريتم تجاربكم على ملايين الأشخاص في الغرب، هذا عدا عن الشرق الذي يعرف هذه الحالات منذ آلاف السنين علمياً، لذا لابد لنا اليوم من تحديد رأينا بهذا

الموضوع وعلاقتنا به، وهذا ما يدعو للتساؤل عن النتائج المرجوة من التطبيق العلمي لطريقتكم، فالمتحمسون الأميركيون يقولون بإيجابية هذه النتائج، بينما يعتقد بعض العلماء السوفييت بأن الأحاسيس والانفعالات الصوفية قد تؤدي إلى مرض نفسي اصطلح على تسميته "مرض السحرة"، فالمرء بعيشه الأحاسيس يجد نفسه فجأة في عالم غريب عنه ومجهول له (يقصد هنا العالم الحقيقي الذي يعيش فيه المرء) فلا شيء يثير فضوله هنا، ولاأحد يحاول فهمه، مما يحدو به للسعي الدائم نحو الحالات غير العادية للإدراك، أي أنه يبحث هناك عن أشباهه...فأين الحقيقة هنا؟ ولمن ستكون الغلبة للضرر أم للفائدة؟

فرد الدكتور غروف قائلاً: - في الماضي كان ينظر إلى الأحاسيس غير العادية أو غير المعيارية من محتواها، ذلك أنه كان يكفي شعور المرء بوحدته مع الإنسانية أو بعيشه تجسيدات حياة سابقة كي يلقب بالمريض النفسي، وعلى الفوز يبدأ الأطباء بقتل هذه الأحاسيس فيه، أما أبحاثنا فأثبتت قدرة الناس العاديين على خوض غمار هذه الأحاسيس وعيشها ومعايشتها، دون أي داع لمنحها لقب "شاذين نفسيين".

إذن لابد لنا أن ننطلق من تحديد دقيق لماهية الباثولوجيا (علم الأمراض والشذوذ - م المترجم)، غير أنه - ومهما كان الأمر لايمكن تحديدها انطلاقاً من قرائن وسياقات الأحاسيس، فقد عرفت بعض الحضارات القديمة التي لم تنظر قط إلىالسحرة على أنهم أناس "غير طبيعيين" بل وعلى العكس كان السحرة فيها قدوة ومثلاً يحتذى، أما معارضو الحالات غير العادية للإدراك في الغرب فيصنفون السحرة اليوم في قائمة "المجانين"، هذا في الوقت الذي صار فيه بديهياً أن مثل هذا البت في الأمر خطأ فادح لايغتفر، فمصير الساحر مرتبط بما حوله، أي بالمحيط الذي يعيش فيه، لذا إما أن يتقبل المحيطون به "مرضه" ويسمونه ساحراً، وإما لايتقبلونه فيعتبرونه مريضاً نفسياً، وهذا الأمر يتعلق بالطبع بقدرة الإنسان على الانفتاح على التجربة الجديدة، وعدم التمسك بالتراكيب والتصورات القديمة الثابتة، وب (الأنا) العريقة الأزلية، فالمرء يبدأ فجأة عيش حالة الوحدة والتكامل مع البشرية جمعاء، دون التخلي عن تصوراته القديمة، وعن "الأنا" العتيقة فيه، سيشعر - لامحالة- بشذوذ واستثنائية يدفعان به للقيام بأعمال تدعو للريبة والشك، كتوجيه نصائح كتابية لرئيس دولته، أو محاولة تعليم وتربية جموع الناس وما شابه ذلك، بالطبع قد يتبادر إلى ذهنكم هنا أنه بالإمكان التنسيق بين الأنا الذاتية الخاصة وهذه الأحاسيس على أساس أن من يعيشها (المقصود هنا الأحاسيس) ليس إلا شخصاً فريداً ذاتياً وخاصاً، غير أن هذا غير سليم لأن الأحاسيس عامة وأبوابها مفتوحة لكل الناس، ولذا لابد لمن مر بتجربة الوحدة هذه من أن يعيد التفكير بقيمه ومبادئه

ويغير مفهومه للحياة كلها، وبالطبع ستخلو حياته آنذاك من تلك "الأنا" الذاتية الخاصة.

وبعد رد الدكتور غروف المفصل، طرحت عليه السؤال التالي مواصلاً الحديث عن نفس الموضوع: ـ إن الكثيرين منا يعيشون مثل الأحاسيس التي نتحدث عنها، وهذه قد تبرز إلى السطح تلقائياً أحياناً، لكن في أغلب الأحيان يحضر لها عن سابق عمد وتصميم وبطرق مختلفة، مما يقوي الجدل بين أنصار فرضيتين للواقعية، ويجرف المفاهيم عن سلامة العقل البشري بتخبط وفوضوية، وهذا يسمح بالتالي بالتحدث عن حالة ثورية في الإدراك لهذا لابد أن نسألكم: أية إمكانيات وأية صعوبات ستتفتق في وجه البشرية لقاء هذا الأمر؟

فرد الدكتور غروف بنفس ما عرف عنه من التفصيل قائلاً:

إن علماء النفس المختصين بالتواصل أو التخاطر الذاتي يبحثون في هذه المسألة جادين، وقد خصصوا لها أبحاثاً وعقدوا اجتماعات وندوات كانت إحداها تحت شعار: "التحول الذاتي والواجب الاجتماعي"، ومع ذلك فإن إشاعة قوية انتشرت في صفوف الناس متهمة المهتمين بأحاسيس التواصل الذاتي بالابتعاد عن الأمور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للناس، وعدم إعطائها أية أهمية، أما أنا فأرى هذا محض إشاعة بعيدة جداً عن الحقيقة، إذ لابد ـ كما قلت سابقاً ـ لمن عاش حالة الوحدة أو التواصل مع البشرية كلها ـ ولو مرة واحدة ـ لابد له من التصرف بعد ذلك بشكل مغاير تماماً لتصرفه قبل التجربة، حيث سينمو لديه إحساس قوي بضرورة عمل الخير على أساس قناعته بأن الناس جميعاً أخوة، ولمعرفته بأن من عاش هذه التجربة لابد أن يمارس بعدها سياسة التواصلية الذاتية الخاصة.

أما ما يخص النظرة التقليدية إلى المشاكل الاجتماعية فيمكن وصفها بالتالي:

مادامت أموري جيدة فلا علاقة لي بسعادة أو رفاهية المحيطين بي، لأن هاتين مرتبطتان بالآخرين لابي. لذا لندع الآخرين يهتمون بالمحيطين بي وبهم، أما إذا ما دعت الحاجة، فإني قادر على إرغامهم على خدمتي... "إن هذه النظرة للأمور تُخلف ما يعرف بظاهرة "البندول" ـ إذ يوجد البعض على رأس السلطة بينما يوجد الآخرون في صف المعارضة غير الراضية عن السلطة والغاضبة عليها، ثم بعد وقت يتبادل هؤلاء الأدوار وهكذا دواليك على مر العصور، أما النظرة التواصلية لهذا الأمر فمغايرة تماماً، فهنا يسعى المرء جاهداً لتغيير ذاته ويربط بين تصرفاته الظاهرية وتحوله الداخلي، مما يستبعد بقاء أمور ما بعيداً عن مجالات اهتمامه".

هنا تبادر لذهني السؤال التالي الذي سرعان ما طرحته على الدكتور غروف: ـ إن الخروج من المأزق يتطلب أضاحي وقرابين، ونحن نعرف من خلال دراسة تاريخ المجتمع

البشري، فداحة الثمن الذي دفع ويدفع أحياناً من أجل إيجاد حل للمشاكل الداخلية عند بعض الشخصيات، لذا إذا ما أخذ الساسة بمبدأ الخروج من المآزق الروحية بواسطة طريقة التواصل الذاتي، فإن عواقب ونتائج ستنجم عن ذلك وتؤثر على المجتمع عامة، فهل لكم بالتحدث عن ذلك؟.

فرد الدكتور غروف قائلاً: ـ لقد بينت أبحاث الوعي والإدراك أن أي إنسان يتميز بتوضع خاص لحالته النفسية تتمركز فيه مختلف المشاكل والأحاسيس الدرامية، ففي الأحوال العادية تقوم الأنظمة الدفاعية بعملها بشكل سليم جداً، فلا تسمح لهذه الأحاسيس بالبروز إلى السطح، أما إذا ما وقع أمر طارىء أو عارض فإن الوضع سيختلف وتتحرر الانفعالات الدفينة، غير أن هذا الطارىء أو العارض لايظهر المرض فقط، بل ويساعد على الشفاء منه، ذلك لأنه ـ أي الطارىء ـ ليس إلا نتيجة لخروج من مأزق روحي، وهذه بالتالي عملية مداواة وشفاء ذاتية، لكن ومع ذلك، لابد للمرء ممن يساعده ويقوده من أجل تسريع حل مشكلته، ولكي تجري عملية تحوله الذاتي بوتيرة أعلى وكيلا يلحق الأذى بالمحيطين به نتيجة لهذه العملية.

هنا لم أستطع إلا وأن أتابع تشكيكي بالأمر فطرحت السؤال التالي: ـ دكتور غروف، ألا ينتابكم شعور بالخوف والهلع عند إدخالكم الناس في حالات الإدراك غير العادية للإدراك؟ تصوروا مثلاً، أطفالاً تعلموا كيف يخترقون الجسد البشري، فتسللوا إليه وأخذوا يعبثون بأعضائه: فهنا القلب وهنا الكبد...... وإذا ما ضغط طفل على عضو طفل آخر فإن الثاني قد يشعر فعلاً بالسعادة، ولكن قد يقع الخطر أيضاً، ألا ترون أننا تعلمنا الغوص في مجال لسنا فيه سوى أطفال سذج؟ مجال يمكن فيه للمسة عفوية لشيء ما أن تسبب انفجار الكون.

فأجاب الدكتور غروف: ـ لقد شعرت بهذا بالفعل حين كنت أقوم بتجاربي على الحالات غير العادية للإدراك، غير أني تعلمت بالتدريج أنه من الواجب والمفروض تصديق حكمة الجسد والإيمان بها، وليس حكمة جسدي فقط، بل والجسد الذي أجري عليه التجربة، وهذه الحكمة عديمة الارتباط بالمعارف العلمية، والإيمان والعمل بها أقل خطراً من تصديق بصيرة وعقل الناس الغائصين في حالات الإدراك العادية، أولئك الذين يتلازمون مع "الأنا" الذاتية ويجدون توافقاً معها، وهذا ليس جديداً علينا أو حديثاً بالنسبة لنا، فقد عاش الناس ـ على مدى آلاف السنين ـ هذه الأحاسيس، وهي أعطتهم دفعاً وزاداً للتفكير في الأسئلة الخالدة للفلسفة، كما لم تسبب هذه الأحاسيس ضرراً

لأحد، بل على العكس طالما حملت المنفعة والفائدة، فجاء سؤالي التالي: - إنكم تستخدمون طرقاً خاصة للتنفش من أجل بلوغ الحالات غير العادية للإدراك، كيف توصلتم لذلك؟ أليس لطرقكم هذه أصول بدائية؟.

فأجاب الدكتور غروف: - إن الشرق يعرف بالفعل منذ آلاف السنين طريقة تسمح ببلوغ الحالات غير العادية للإدراك، وذلك بواسطة التمارين التنفسية، وتعرف هذه الطريقة ب "البرانایاما"، وهي تشفي عادة من العلل وتسمح للإنسان بلوغ درجة أعلى في سلم معرفة العالم والذات، لذا ليس من العبث أن يكون لكلمات " التنفس" و "النفس" و "الروح" جذوراً في الكثير من اللغات وقد حاولنا استخدام هذه الطريقة في البسيكوتيرابيا (علم الطب النفسي) فحصلنا على نتائج عظيمة.

فتساءلت على مسمع من الدكتور غروف: - ألا يمكن أن تشكل "البرانایاما" خطراً؟ فأنتم تختبرون علمياً تنفساً عميقاً وسريعاً، وقد أثبت المرشح في العلوم الطبية بي بي بوتيكا، أن هذا مضر بالصحة، وأن هذه االطريقة قد تؤدي إلى نوبات اختناق وتشنج للأوعية الدموية وربما نوبات من الهلوسة أيضاً..... فقال الدكتور غروف: - لاأعتقد أن ممارسي اليوغا الذين يستخدمون "البرانایاما" كانوا ليمارسوها على مدى آلاف السنين لو أضرت بصحتهم، كما أن أبحاثنا قد أثبتت أن فوائدها أكثر من ضررها بكثير، أما بالنسبة للهلوسة فالحالات غير العادية للإدراك تشبهها ظاهرياً فقط، هذا في الوقت الذي تبقى فيه طبيعتهما مختلفتين تماماً، فالهلوسة تظهر عند المرضى أو في بعض الحالات الشاذة، ولايمكن التحكم بها، وقد تثير بالفعل تصرفات جد خطيرة، أما نحن فقد وضعنا خارطة مفصلة للأحاسيس التي تبرز خلال جلسات التنفس السريع والعميق، ولذا لانواجه أية مفاجآت ولامن تُجرى عليهم التجربة، فنحن على معرفة تامة بكيفية التصرف في كل حالة من الحالات، فإذا ما ظهر ألم - مثلاً - عند من تجري عليه التجربة، فإنه تجب تقويته ومتابعة ذلك حتى "يحتج" المشارك، فهذا يسرع كثيراً عملية التخلص من السبب النفسي للعلة، وبالنتيجة فإن العلة - التي هي الألم من مثالنا، ستتراجع وتتقهقر، ولقد جربت وزوجي هذا الأمر على نفسينا وتأكدنا من ذلك، هذا عدا أن آلاف المشاركين من التجارب قد أكدوا القوة الوقائية الشفائية لحالات الإدراك غير العادية".

فتابعت أسئلتي للدكتور غروف قائلاً: - من المعروف أن الكحول والمخدرات قد تثير هلوسات تشبه تصرفات المرء في حالة الإدراك غير العادية ، لذا لابد من التساؤل : أليس

محتملاً تحول من تجري عليهم تجاربكم إلى مدمنين "هوائيين" أو مدمني تنفس؟.

فقال الدكتور غروف مبتسماً: ـ العكس هو الصحيح تماماً، فطريقتنا تساعد على التخلص من الإدمان، وكل إحصائياتنا تشير إلى تراجع الحاجة لتعاطي هذه السموم عند المدمنين على الكحول الذين بدؤوا يمارسون طريقة التنفس العميق، ويستطيع الكثيرون منهم التخلص من عروة الوصال هذه وقد أجرينا تجارب على ١٤٠ مدمناً على الكحول، أقلع منهم عن الشرب بعد بضعة جلسات اثنان وخمسون بالمائة، لقد حصل ذلك بعد شهر واحد من البدء بالتجربة، لكني لاأنكر أن بضعة أشخاص منهم قد عادوا للشرب من جديد بعد ذلك، غير أن نصف المشاركين تقريباً قد أقلعوا عن الشرب نهائياً، كما أجرينا تجارب على مدمني المخدرات، فترك الإدمان نهائياً ثلثا المشاركين، هذا في الوقت الذي لاتؤثر فيه الطرق العادية المتبعة إلا على شخص واحد وسطياً من أصل عشرة مدمنين، فيقلع هذا ويبقى تسعة يمارسون الإدمان.

فتابعت مشاكسة الدكتور غروف سائلاً: ـ ربما يكمن الأمر في أن الأحاسيس التي تحدثتم عنها تستفز وقوع عملية بناء عميقة للشخصية، لذا ألا يؤدي هذا مع مرور الزمن إلى نتائج سلبية، كأن يتحول المرء ـ مثلاً ـ إلى شخص مادي محض أو متدين متعصب أو أن يفقد عقله؟.

فرد الدكتور غروف: ـ لقد أثبتت الأبحاث أن الأحاسيس والمشاعر الصوفية التي يعيشها المرء في الحالة غير العادية للإدراك لاتخرب الشخصية، أبداً، فالمرء هنا يتخلص من علله النفسية، ويبتعد عن العدوانية، ويبدأ يشعر بانسجامه مع الناس والطبيعة، وهذا ما يضفي عليه شعوراً عارماً من السعادة، وتأكيداً لكلامي هذا كان البث التلفزيوني الأميركي منذ مدة حول عشرين من ملاحي الفضاء الأميركيين الذين عاشوا تجربة التواصل الذاتي، فرغم القواعد والأنظمة القاسية التي اختبر أولئك الملاحون على أساسها، ورغم تكرار التحربة فإن الأطباء لم يجدوا عندهم أي انحراف نفسي، بل على العكس تأكد الأطباء من إمكانيات الملاحين العالية ومن انسجام وتوافق تامين بينهم، وأنتم تعرفون ـ على ما أظن ـ أن رواد الفضاء المسؤولين طبياً ونفسياً أناس يمكن الوثوق بكلامهم، إذن وباختصار أستطيع القول: إننا نعمل على إدخال الناس ـ خلال نصف ساعة ـ في الحالة غير العادية للإدراك، بينما كان الناس سابقاً يبلغونها بمساعدة المواد الدوائية فقط، وأستطيع القول أيضاً: إن الناس في الحالة غير العادية للإدراك يعيشون تغييراً روحياً ذا قدرة شفائية عالية، وللحق أضيف: إننا لانسعى لاحتكار هذه الطريقة،

ولسنا من اكتشفها فالبوذية التبتية والصوفية وكل أشكال اليوغا طالما عرفت المدخل لهذه الطريقة، وكثيراً ما أعطت تقنيات عالية في هذا المجال، أي في مجال الانفتاح والتواصل الروحي.

فطلبت آنذاك من الدكتور غروف التحدث بتفصيل أكبر عن علاقته بالأنظمة الروحية والصوفية، فلبى بدوره طلبي قائلاً: ـ إن بعض العلماء ينتقد أحاسيس ومشاعر التواصل الذاتي، لمجرد أنها ذكرت ووضعت في المصطلحات والتعاليم الصوفية، أما نحن فنعتبر أن هناك فروقاً مبدئية بين الدينية والروحية، وأنا لست متأكداً من أن المصطلحين متعادلان أو متساويان، فنحن عندما نتحدث عن الروحية نشير خاصة إلى الأحاسيس الواقعية، لأنها تخص وقائع و حقائق يستطيع أي منا اختبارها، أما الدين فيفسر هذا بشكل مغاير تماماً لتلك التي ننطلق منها في رؤيتنا، وأحاسيس التواصل الذاتي مبنية على أساس تجربة مباشرة محددة، فهي عبارة عن بروز وشخوص للحالات النفسية، وهذه العملية معروفة للكثير من الاتجاهات الدينية ولكن ليس لها كل هذا، فعلى سبيل المثال لايوجد قاسم مشترك بين الديانة الأرثوذكسية والروحية بالمعنى الذي نفهمه، بينما توجد في الإسلام اتجاهات صوفية تعرف وتمارس عملياً حركات جسدية مختلفة لتستفز بذلك التواصل الذاتي العام، وفي اليهودية يوجد العهد القديم المعروف والمأخوذ به، لكن في نفس الوقت هناك "القابالا" التي تختلف جداً عن تعاليمه القياسية، وليس ما أقوله ضرباً من التلفيق أو الاختلاف ولايعبر عن رأيي الشخصي فقط، ذلك أن كتباً كثيرة ومنشورات عديدة طبعت ووزعت في الولايات المتحدة، تتحدث عن تطابقات كبيرة وغريبة بين التعاليم الصوفية كاليوغا والبوذية والتبتية والصوفية الإسلامية وغيرها وبين الاتجاهات العلمية الحديثة، كالميكانيكا الكمية (الكوانتومية) مثلاً. ولكن في نفس الوقت، لم تلاحظ أية تطابقات بين العلم والديانات المسيحية، ومع ذلك فإن الكثير من علماء الغرب يستمر في تصنيف هذه الأخيرة في مجموعة واحدة مع التعاليم الصوفية، وهذا ما يسيء بنظري إلى سمعة هؤلاء العلماء، ويعطي المسيحية صفة مصطنعة ملفقة، على كل يبقى الأهم في أحاسيس التواصل الذاتي العام هو غياب الحدود، والانصهار والتكامل والتوحد مع العالم كله، وهذا ما يقترحه العلم المعاصر تماماً."

فما كان لي بعد ذلك إلا أن أسأل الدكتور غروف:ـ أليس لهذا السبب تحديداً يستخدم الصوفيون نفس طرق التواصل الذاتي العام؟ أليس لأنها تعطيهم نتائج أعظم مما تعطيه التقاليد القديمة؟

وجاءني رد الدكتور غروف: ـ إن من الواجب عدم السعي للحصول على النتيجة الأكبر أو الأثر الأعظم، فنحن نعرف طرقاً إيجابية بنتائجها، لكنها خطرة جداً، وعن هذه الطرق تحديداً يتحدث في أحد كتبه العالم النفسي ديفيدروزن، فقد درس هذا العالم مجموعة كبيرة من حالات الانتحار الفاشلة التي جرت فوق جسر "غولدن غييت" في سان فرانسيسكو" فمن فوق ذلك الجسر كان المنتحرون يقفزون طائرين لمدة ثلاث ثوان فقط، غير أن هذه المدة القصيرة كانت كافية لإحداث تغييرات جذرية في حالتهم النفسية، فإذا كانوا قبل القفز يعيشون حالة من الكآبة والانقباض مرعبة، فإنهم بعد القفز والفشل في الانتحار تخلصوا تماماً منها، أي من حالة الكآبة والانقباض، من جميع أمراضهم بما فيها الاضطرابات النفسية التي دفعتهم إلى القفز من فوق الجسر.

لذا نتساءل هل يكون سبب بقاء أولئك الناجين على قيد الحياة هو حصول تغيرات جذرية وعميقة في حالتهم النفسية؟ أي أن الحياة أهديت بالفعل من جديد لمن عاش تلك التغيرات الجذرية، ومن الغريب في الأمر أنه لم يلاحظ قط أية آثار جروح أو خدوش أو رضوض على أجسام الناجين من الانتحار، تماماً وكأن قوى عليا رافقتهم خلال القفز وحفظتهم من كل سوء، إن المنتحرين الفاشلين واثقون من هذا الأمر تماماً.

لكني أملك رأياً خاصاً مغايراً، فأنا أعتقد أنه حُفظ وأنقذ ـ بالتحديد ـ ذلك الذي لامس الماء بزاوية تماس صحيحة، ومن ثم لم يتجمد في الماء الشديد البرودة، ذلك أن المنتحرين قد التقطوا أحياناً على بضعة كيلومترات من الجسر، أي في الخليج البحري حيث تتلاعب الأمواج ويتقاذفهم التيار، وهذا يمكن أن يقع في حالة واحدة من كل مائة حالة.

إننا نعرف جميعاً أن المرء يتمتع قبيل الموت برخاء وقدرة شديدة على التحكم بمرونة جسده، وأنه إذا ما عملت لديه أنظمة البقاء على قيد الحياة (غريزة البقاء) الاحتياطية فإنه سيقوم بكل شيء على أتم وجه، ولهذا يكون من الغريب، بل ومن الغباء أن يموت من عملت لديه تلك الأنظمة، فخلقت لديه تغيرات جذرية نفسية، هذا وكثيراً ما حدَّث من نجا من الموت بأنهم خلال الثواني الثلاث للقفز، عاشوا كمية هائلة من الأحداث والوقائع، فقد مر شريط حياتهم أمام أعينهم، لكن الإحساس بالبقاء على قيد الحياة لم يراود أحداً منهم قط، وكذلك الإحساس بوقوع تغيرات جذرية لهم، وذلك خلال القفز. فكل ما شاهدوه حدث فجأة وبشكل عفوي وطبيعي".

بعد كلمات الدكتور غروف هذه تعالوا نقطع الحديث ونتابع بحثنا بطريق آخر

ومن زاوية ثانية.

ماوراء حدود الإدراك

عند وضعه لخارطة الإدراك استنتج ستانيسلاف غروف ثلاثة مستويات للإدراك متتالية.

أولها: ـ المستوى النفسي الحركي أو مستوى سير الحياة: ففي حالات الإدراك غير العادية يعيش الناس أحداث حياتهم من جديد.

وثانيهما: ـ متعلق بذكريات الولادة التي انطبعت في الإدراك لحظات الخروج إلى النور.

ومن ثم تتوالى تهيؤات من مجال اللاوعي الجماعي العتيق التي وصفها يونغ في أعماله، أما إذا ماأخذت بالتصورات التقليدية حول الكون، فإنه يمكن تشبيه الإدراك باسطوانة الحاكي: فهنا القسم الأول من موسيقى لبالية "سبارتاك"، وهناك القسم الثاني، والثالث وهكذا دواليك، لكن الأبحاث الحديثة أكدت أنه نموذج مبسط جداً، لذا، وكي يتطابق مع الواقع، فإنه لابد من الاستمرار في المجازية، أي في أن نتصور في الحالة هذه بثاً صوتياً لذلك المقطع الموسيقي عن طريق قناة ستيريو، لكن ومع هذا يبقى النموذج بدائياً، إذ لابد على ما يبدو من التوصل إلى بث تلفزيوني هولوغرافي يعطي إضافة للصوت الحجمي ـ صورة للبالية ثلاثية الأبعاد، وهذا بالتحديد يشبه ما يراه الناس خلال غوصهم في الحالات غير العادية للإدراك، وفي لحظات الموت الاكلينكي، هذا إذن رأي الدكتور غروف، لكن ماذا يقول بقية العلماء؟ منذ مدة قريبة قام اولدوس هاكشلي ـ أحد رواد بحث الحالات غير العادية للإدراك، بمجموعة من التجارب على بعض المواد وخاصة منها الميسكالين ، فتوصل إلى نتيجة مفادها أن الدماغ لايعتبر مستقبلاً ولاقطاً للمعلومات التي يستطيع المرء التقاطها، بل هو على الغالب محدد ومحجم لهذه المعلومات، فنحن محاطون بكمية هائلة من الإشعاعات القصيرة الأمواج، ولكي نلتقط ولو القليل منها لابد لنا من التعيير على طول موجة محدد، ملقين بكل أطوال الموجات الأخرى خارجاً لفترة معينة، لكن ماذا سيحدث لو أضعفت أو "حجمت" المعلومات التي يلتقطها المرء؟ لقد درس البروفيسور يانغ ستيفنسون من جامعة فيرجينيا عشرين شخصاً عاشوا في الحالة غير العاددية للإدراك، ما يعرف بالتقمص أو انتقال الروح، وكان بين أولئك العشرين عدد لابأس به من الأطفال الذين حدثوا بعد التجربة أحاديث

غريبة عجيبة، فقد قال بعضهم: إنهم عاشوا يوماً ما في قرى شمالية وليس في المدن الجنوبية التي يعيشون بالفعل فيها، وإنهم كانوا في تلك القرى كباراً في السن، ووصف أولئك الأطفال أدق وصف حياة قبائل الهنود الحمر، وذكرواأسماء السكان الأصليين، وأعطوا صورة صادقة عن أشكال السكان الخارجية وأمزجتهم وعاداتهم، وأكدوا أن بعضاً ممن ذكروا مازال على قيد الحياة، فما كان أمام العالم ستيفسون إلا أن حدد المكان الذي وصفه الأطفال بناء على ما قالوه، فوجدوه في شمال الألاسكا، ولما قدم إلى هناك أصيب بدهشة كادت تبلغ حد الجنون، فقد وجد تلك القرى وسكانها على نفس الشاكلة التي وصفها الأطفال، رغم أن هؤلاء لم يزوروا تلك المناطق أبداً ولم يعرفوا عنهاأي شيء قبل عيشهم للتقمص في الحالة غير العادية للإدراك، أضف إلى ذلك أن سكان تلك القرى أناس متقوقعين على أنفسهم ومنعزلين عن العالم الخارجي تماماً، مما يمنع تسرب أية معلومات دقيقة عنهم، ومع ذلك لم يقتنع العالم بكل ذلك، فأخذ الأطفال إلى هناك لزيادة التأكد، فأصيب بالدهشة من جديد: إذ لم يختلف تصرف الأطفال عن تصرف السكان المحليين، كما أن الأطفال كانوا يدخلون الكوخ معرفين العالم على سكانه الذين لم تكن للأطفال معرفة سابقة بهم أبداً، أما بالنسبة للهنود فإن ذلك الأمر لم يدهشهم مطلقاً، ذلك لأنهم طالما أمنوا ويؤمنون بفكرة التقمص.

إذن الناس يعطون في الحالة غير العادية للإدراك، تفاصيل دقيقة جداً عن حضارات القدماء، التي لايعرف أحد عنها شيئاً سوى حفنة من علماء التاريخ والآثار، هذا بالرغم من كون من تجري عليهم التجارب أطفالاًصغاراً أو أناساً واعين لكن ذوومستوى ثقافي عادي جداً، مما يعني أنهم ليسوا على اطلاع مناسب على التاريخ آو علم الآثار، وهذا ما يؤكد أو بالأصح ما يسمح بالتكهن بأن لدى الإنسان مقدرة كبيرة على الغرف من بحور المعارف الخاصة أو الدقيقة، دون الاعتماد على المصادر المعلوماتية التقليدية وعلى الطرق المثبته علمياً، لكن، ألا يمكن أن يكون هذا شيئاً آخر غير الذكريات عن الحيوات السابقات"؟ فعلم النفس الذاتي التواصلي لاينفي على سبيل المثال - إمكانية التخاطر عن بعد، أو ما يسمى أيضاً بتبادل الشعور، فمن المحتمل أن المجرب عليهم يحصلون في الحالة غير العادية للإدراك، على المعلومات من هنود يعيشون بالفعل أو من علماء مختصين، وذلك تماماً كأنهم يقرؤون هذه المعلومات في ذاكرة الهنود أو العلماء، وإذا ما كان الأمر كذلك فإنه ليس من الغريب أن نسمع وصفاً لتفاصيل حياة وأمصار بعيدة وعهود قديمة، فهذه التفاصيل تبرز فجأة في إدراك المجرب عليهم على شكل هيئات وتصورات واضحة وناصعة بعد قراءتها في الذاكرة غير أن المسافة بيننا وبين الرد على هذا السؤال مازالت بعيدة، وعالم المستقبل الذي سيعطي الرد النهائي عليه، لذا تعالوا نعد إلى رأي محدثنا

الدكتور غروف حول الأمر، فالدكتور ستانيسلاف غروف شخصياً لايؤكد أو ينفي وجود "حيوات أخرى" غير أن أبحاثه في مجال الحالات غير العادية للإدراك تسمح لنا بفهم الكيفية التي ولد فيها الاعتقاد القديم بالتقمص، وكذلك اعتناق الملايين من الناس في عصرنا الحالي - بما فيهم الكثير من العلماء - لهذا الاعتقاد. فالناس يبلغون من خلال الصلوات واجاعة النفس وتعذيبها الطوعي وغير ذلك من الطقوس الدينية، يبلغون حالات تشبه الحالات غير العادية للإدراك، ولهذا فهم يعيشون مقاطع وحوادث من حيوات "الأرواح السابقةالمتجسدة" وربما تبدو هذه الأرواح أحياناً أكثر واقعية من تلك التي تسكن الآن هذا الجسد أو ذاك. أي أنه - بكلمات أخرى - لابد من الاعتراف بواقعية هذه الظاهرة النفسية، فهذه الأحاسيس موجودة بالفعل، لكن يبقى السؤال التالي مطروحاً: هل هذا منطقي وواقعي أم أنه شبيه بهما؟ إن الدين يجيب بأنه أمر واقعي، بينما بقي العلم حتى وقت قريب يجيب بالنفي، غير أن علم النفس التواصلي الذاتي قد جمع من الحقائق والوقائع ما يكفي لخلق الشك في صحة المواقف النافية نفياً قاطعاً للخبرة والتجربة الدينيتين، بل إن هاتين - الخبرة والتجربة - الدينيتين قد أثبتتا علمياً ومراراً عديدة على أرض الواقع، كما في تجارب يانغ ستيفنسون على سبيل المثال. ولايأخذن منكم هذا على أنه ردة دينية، فالدكتور غروف مسيحي، ومع ذلك فإنه أقرب بالفعل إلى الصوفية الإسلامية والتبتية، لابد بالطبع هنا من القول إن التنقلات الخالية في الفراغ والزمان ليست الصف الوحيد من الظواهر التي يدرسها علم النفس التواصلي الذاتي، فقد أثبتت آلاف التجارب أن للإنسان مقدرة هائلة على توسيع "الأنا" الذاتية وبثها وتوزيعها، تلك "الأنا" التي سماها ألان فوتس ب "الأنا المغروسة في الجلد"، وفي الحالات غير العادية للإدراك يمكن لحدود الشخصية أن تتحجم كما يمكنها أن تتوسع، فالواقع تحت التجربة يشعر فجأة أنه عضو من أعضاء جسده نفسه كالكبد مثلاً، ومن ثم يستطيع التحول بعد ذلك إلى خلية من خلاياه، لكن يبقى المهم في لأمر أن معطيات الطب وعلم الأحياء (التي ليس ذلك المرء الواقع تحت التجربة على إطلاع بها) تؤكد وتثبت وصفه وأقواله بشكل قاطع، لكن في نفس الوقت يمكن للواقع تحت التجربة أن يشعر بنفس الفجائية السابقة بوحدة وتكامل مع البشرية كلها وبتشابه تام بها، فهو يشعر بنفسه أسرة أو قبيلة أو أمة وربما الإنسانية برمتها، وممارسو اليوغا القدماء من الهنود يعرفون منذ الأزل هذا الشعور والتكامل مع البشرية جمعاء وهو - أي الشعور - يبرز إلى السطح في حالات معينة من النشوة، ومن المعتقد به أن مؤسسي الديانات القديمة قد استطاعوا إقناع الناس بأخوتهم جمعاء من خلال الغوص في مثل هذه الأحاسيس.

كما ويوجد صف آخر من الظواهر يثبت ـ في الحالات غير العادية للإدراك ـ حقيقة الأساطير حول التنبؤ ورؤية المستقبل المعروفين للبشرية منذ الأزل، وفي وقتنا الحاضر يعرض البعض مقدرته على التنبؤ بالمستقبل وعلم الغيب في الكثير من دول العالم، لكن لابد لهذا البعض قبل البدء بعمله من التمرن طويلاً وبعنف من أجل الوصول إلى السيطرة على هذه المقدرة، لذا ليس من العجيب أن يستطيع من يخضع لجلسة التنفس السريع رؤية ما يجري خارج حدود قاعة الاختبار، وربما المعهد والمدينة والدولة..... وبالطبع يمكن التحقق من صدق أقواله وأحاديثه. طالما يظهر أنه يقول الحقيقة المطلقة.

وفي الحقيقة يجب القول هنا إن العلوم المذكورة آنفاً ليست الوحيدة التي تدرس الظواهر ومثيلاتها، بل إن هناك علم آخر يدرسها هو المعروف ب "التيناتولوجيا" ـ أي علم الموت ـ والذي بدأ ينتشر اليوم في العديد من دول الغرب، هذا في الوقت الذي عرف فيه الشرق هذا العلم منذ آلاف السنين. وعلى اساسات هذا العلم أثبت وبشكل لايسمح بالشك أن من ينجو من الموت الاكلينكي يصف أدق وصف كل ما عمل له الأطباء في غرفة الإنعاش وغرفة العمليات، وكذلك ماجرى آنذاك في الجوار، وما كان يشتغل به أقرباؤه الموجودين آنذاك على مسافة عشرات وأحياناً مئات وآلاف الأميال عنه، إن هذا الأمر قد أثبت بالتجربة والتحقيق والتحليل، وكانت النتائج مبهرة بالفعل، وقد تحدث ومازال يتحدث اليوم مئات العلماء من أصقاع الأرض عن مثل هذه الحوادث، فعلى سبيل المثال حادثة وقعت مع رجل أعمى منذ الولادة فأدت إلى موته الاكلينكي، لكنه ما إن عاد إلى رشده وخرج من غرفة الإنعاش حتى حدث المحيطين به كل ما جرى وما عملوا معه هناك، مضيفاً أنه رأى كل ذلك بعيني صنوه أو شبيهه المعلوماتي القدراتي، فتطابق وصفه وأقواله تماماً وبكل دقة مع الواقع، رغم أنه لم ير النور قط في حياته، بالطبع يتميز العلم عن الدين بأنه لاتوجد حقائق نهائية بالنسبة له، فهو قد يشك بأية حقيقة، ولهذا تبقى مسألة التأويل والشرح العلميين لظواهر علم النفس التواصلي الذاتي مسألة جدلية، لكن شيئاً واحداً يبقى خارج إطار الشك هو كون إحساسات الناس في الحالات غير العادية للإدراك أمر واقع لاغبار عليه من وجهة نظر على النفس، والمشاركون في جلسات الغوص أو ما سميناهم آنفاً بالواقعين تحت التجربة يجدون أنفسهم أو يرونها بالفعل خارج إطار أجسادهم الفيزيائية، ووراء حدود مكانهم وزمانهم. ومما لاشك فيه اليوم أيضاً أن الإحساسات التي يعيشها المشارك في الجلسة تؤثر تأثيراً إيجابياً على حالة الإنسان بشكل عام، وما وضعت الدراسة حول الحالات غير

العادية للإدراك إلا من أجل مساعدة المرضى على التخلص من آمراضهم، وقد كانت نتائج تلك الدراسات عظيمة بالفعل، فكثيراً مااختفت عوارض الأمراض والعلل بعد جلسة أو بضع جلسات، لذا كانت ومازال هذه الأحاسيس - بغض النظر عن واقعيتها أو عدمها- الملجأ والخلاص الوحيد للكثيرين الذين يعانون من هذا المرض أو ذاك، فكثير من المرضى الذين شاركوا في جلسات الغوص في الحالات غير العادية للإدراك تخلصوا من الانقباضات النفسية والشقيقة والربو والخمول العصبي وغير ذلك من الأمراض، وقد حدث كل ذلك عبر عيش المشاركين لحالات ولادتهم من جديد أو عبر التجسدات القديمة، هذا مع أن كل الطرق الأخرى العلاجية لم تنفعهم شيئاً.

- ولقد أثبت بالفعل أن الجسد - منذ الحمل وحتى الولادة- يمر بعدة مراحل أو أطوار خلال عملية تطوره، وهو - أي الجسد - يحتفظ بذكريات عن هذه الأطوار طيلة حياته، لكن لاتعرف حتى اليوم ميكانيكية وآلية انطباع هذه الذكريات أو الأحاسيس في الذاكرة، ومع هذا فإنه ممالاشك فيه انها تنطبع في الذاكرة لامحالة، كما لاشك في أن لكل امرىء قدرة على تحريض هذه الأحاسيس على البروز إلى السطح في الحالات غير العادية للإدراك. وطالما ينطبق وصف المرء لهذه الأحاسيس مع شهادات الأطباء والأهل والعلماء، وهذه الأحاسيس تبرز إلى السطح عند أغلب الواقعين تحت التجربة بشكل مأساوي دراماتيكي، وهي بالتحديد ما يخلق لدى المرء الكثير من التغيرات النفسية، فما إن يستعيد المرء الماضي بذاكرته، حتى يتخلص من الثقل الفظيع الذي طالما كبته وسبب له حالة نفسية كئيبة وغير محتملة، كما أن هذه الأحاسيس تكتمل عملياً في دائرتها من الناحية النفسية، إذ أن التصورات والتهيؤات والتجسدات توصلها دائماً إلى النهاية السعيدة والمطلوبة، مما يظهر بالنتيجة وكأن المعلومات القديمة قد محيت وشطبت من الذاكرة، وانطبعت مكانها معلومات جديدة ذات تأثير إيجابي وشاف بالنسبة للحالة النفسية والفيزيائية للمرء... فعلى سبيل المثال قد يلتف الحبل السري على رقبة الجنين عند الولادة، مما يسبب له نوعاً من الاختناق، ثم بعد عشرين سنة أو أكثر أو أقل يصاب الجنين - الشاب الآن - بالربو ، لاتنجع أي من الطرق الطبية التقليدية في علاجه، ذلك لأن السبب الرئيسي أو العارض الأساسي لمرضه يبقى موجوداً ورغم تدخل الطب، وهذا العارض أو السبب هو صدمة الاختناق عند الولادة، ومع أنه لايمكن تحديد الخلايا العصبية التي ماتت خلال ذلك الاختناق، فإنه يمكن تحرير الإدراك من الأحاسيس المرهقة والمعاناة القاسية المرتبطة بصدمة الاختناق لحظة الولادة، فعبر جلسات الغوص في الحالات غير العادية للإدراك يمر المرء من جديد عبر آلام الاختناق ويعيش حالة من

الخوف من الموت والولادة، فتسبب هذه الذكريات لديه آلاماً في منطقتي رقبته وصدره، بل وقد تظهر على المنطقتين آثار كدمات، ويمكن أن يظهر الألم عند الصدغين إذا ماكان ملقط الطبيب أو القابلة قد ضغط عليهما عند الولادة، لكن الألم والخوف يزولان مباشرة عند عيش الواقع تحت التجربة حالة نشوة بعد الولادة، أي حالة التحرر من الآلام والمعاناة والاقتراب المباشر من الأم.

إن كل ما ذكرناه لايوقف الجدل النظري حول هذا الموضوع لكن التجارب على الحالات غير العادية للإدراك ستستمر قطعاً لأنها تساعد بالفعل على التخلص من الكثير من الأمراض والاضطرابات النفسية، التي اعتبرت في السابق مستعصية وغير قابلة للعلاج، والدكتور ستانيسلاف غروف مقتنع تماماً بهذا، ويتنبأ لهذه الطريقة بمستقبل باهر....

إن أبحاث وتجارب الدكتور غروف لاتعتبر بالطبع برهاناً على إمكانية تجسد الأرواح وانتقالها، أو على إمكانية التنبؤ وقراءة المستقبل،» وغير ذلك من الظواهر التي يدرسها علم النفس التواصلي الذاتي، غير أن مثل هذه الحقائق والوقائع لاتدخل في إطار العلم التقليدي، تدفع بنا إلى الشك في مقدرة هذا العلم التقليدي على الوصول إلى الحقيقة النهائية الكاملة، فهناك بالفعل الكثير من الظواهر التي لاتفسر إلا بطرق غير تقليدية كما ويمكن للفرضيات غير التقليدية أن تشكل أساساً وقاعدة لمقياس صرف جديد، يضم ويؤطر مجموعة المعارف الخاصة بالعلم والإنسان، وهذه المجموعة ستنمو وتتطور بحيث لايعود المقياس الصرف القديم قادراً على ضمها وتأخيرها، فذلك المقياس القديم لم يتغير أو يتعدل منذ نيوتن وديكارت، ولهذا لابد لمجموعة المعارف القديمة من أن تصبح جزءً من مجموعة القياس الجديدة.

عبر الأشواك إلى البواطن والدفائن

إذن وبعد كل ما ذكرناه، تعالوا نتساءل أعزائي القراء، ماالذي شاهده الواقعون تحت التجربة من خلال الغوص في الحالات غير العادية للإدراك - هلوسات أم أحداثاً حقيقية؟ إن الأمور تشير إلى قرب العلماء السوفييت من التوصل إلى الرد على هذا السؤال، وهذا الرد هام جداً ومبدئي بالنسبة للمقياس الصرف الجديد للعلم حول العالم والإنسان، والذي بدأ العلماء بوضع أساساته في قرننا العشرين، والذي لن ينتهي العمل

فيه إلا في القرن الحادي والعشرين أو الألف الثالث للميلاد.

ومع هذا لابد لنا من أن نحدثكم بالتفصيل عن بعض الأبحاث التي قد تلقي الضوء على الكثير من الأسرار والألغاز التي شغلت بال الناس طيلة قرون عديدة.

الباحثون عن الكنوز

إني أعترف في بدء حديثي بحضوري إلى لقاء العلماء بنوع من الحذر،وبعد أن نبشت ونقبت في الكثير من المراجع الدارسة لموضوع التنقيب عن الكنوز والآثار والدفائن بواسطة عود صفصاف، (تعالوا نتفق على تسمية هذه الطريقة بطريقة اللقط الحي) ، ولم أصل إلى تفسير لطريقة التنقيب هذه مع أنها معروفة، وتستخدم منذ آلاف السنين فهل عود الصفصاف خطأ إنساني عفوي، أم خرافة مثيولوجية؟ لقد بينت الفترة الأخيرة أن علماء محترمين من معهد محترم أيضاً (معهد البحوث الانتروسكوبية) يعملون في هذا المجال منذ عام تقريباً، وضمن خطة مفصلة وصفها المعهد نفسه، فأولئك العلماء يدرسون ظاهرة التنقيب عن الكمائن والدفائن والآثار بواسطة عود الصفصاف، وقد توصلوا إلى نتائج لابأس بها، ولهذا رغبت في التحدث مع علماء ذلك المعهد، وقدمت للقائهم، فاستهلني بوريس فالينتينوفيتش توروبوف أحد باحثي المعهد سائلاً:

ـإذن فأنتم لاتصدقون هذه الطريقة؟

فأجبته دون تردد: ـ لاتحاولوا إقناعي بأنكم تستطيعون اختراق الأرض بنظركم، وإيجاد كمائنها ودفائنها، فرد توروبوف قائلاً: ـ أنتم محقون فعلاً في إشارتكم أن عملية إيجاد الدفائن والكنوز في الأرض عملية صعبة جداً لكن إيجاد شيء ما مخفي لايشكل بالنسبة لنا أية صعوبة تذكر، فنحن نستطيع ايجاد محفظة نقودكم إذا أخفيتموها... لقد فكرت آنذاك بأن العلم أيضاً يتطلب قرابين وأضاحي يتمثلان الآن في محفظة نقودي، ومع ذلك قررت المشاركة في الاختبار، لذا خرجت إلى الغرفة المجاورة ووضعت محفظة نقودي في سلة قماشية، ثم علقت السلة في خزانة هناك، وأغلقت أبوابها بإحكام، ودعيت الباحثين إلي، ثم جلست في الزاوية المقابلة غير ناظر إلى مكان محفظة جيبي، غير أني ما لبثت أن أصبت بالدهشة، إذ رأيت بأم عيني كيف استدار إطار (له شكل ۞) بين يدي توروبوف، واتخذ جهة الخزانة التي فيها السلة ومحفظتي، ومن ثم استدار توربوف إلى المكان الذي أخفيت فيه نقودي، وكان محقاً إذ قال لي بعد أن رأى دهشتي:

- نحن أيضاً بقينا ننظر بشك إلى طريقة الكشف عن الدفائن هذه حتى استطعنا سبر أغوارها، ومن ثم تطويعها لخدمة الإنسان، فهذا الإطار قادر فعلاً على الاستدارة والإشارة إلى مكان الأشياء المخفية، لكن الخطأ في الكشف محتمل أيضاً إلا في حالة وجود مستقرىء بالقرب (المستقرىء شخص يعرف أين يجب البحث - وفي هذه الحالة أنتم تُعتبرون المستقرىء)، ذلك لأن هناك حقيقة أخرى لاتعرفونها، وتكمن في أن نتائج الاختبارات تتحسن كثيراً إذا ما جلس المستقرىء مديراً ظهره للباحث أو النقاب، أو إذا ما اختفى خلف الستائر مثلاً، لكن إذا ما خرج المستقرىء خارج المكان فإن نتيجة البحث ستكون جد سيئة، ولذلك افترض العلماء أنه في ظروف محددة يتعلق نجاح الاختبار فقط ببث للمعلومات من المستقرىء إلى النقاب، وللتأكد من هذا أجريت التجربة التالية: لم يقم المستقرىء بإخفاء أي شيء ، فكر فقط بمكان معين يمكن له أن يخفي فيه شيئاً ما، فأشار النقاب إلى ذلك المكان تحديداً، وأكد أن الشيء الوهمي مخفي هناك".

هنا تدخل في البحث البروفسور الدكتور في العلوم التقنية يولي يوسيفوفيتش ايوريش قائلاً: " - إن بعض العلماء يفسر مثل هذه التجارب بتأثير الحقول الحية (البيوحقول) المجهولة لنا، والتي لايمكننا لسبب ما الكشف عنها والتقاطها حتى باستخدام أدق الأجهزة وأكثرها حساسية، ومع ذلك فإن من اتفق على تسميتهم ب "الاكستراسينس" (الأناس ذوو القدرة على التواصل والتخاطر والتأثير على المحيط والمحيطين م - المترجم) قادرون على التقاط هذه الحقول التي تبدو فيها "الأشكال الفكرية" للماديات ترحل وتنتقل، وهذه "الأشكال الفكرية" تشبه غيوماً مشكلة من جزئيات دقيقة جداً وغير معروفة لنا من الناحية العلمية، أما وظيفة هذه الغيوم الجزئية فهي تركيز ذهن المستقرىء مما يؤدي إلى اصطدام ذهن النقاب بهذه الأفكار "المادية، وبالتالي يتقبلها هذا على أنها أشياء واقعية حقيقية، غير أن هذه النظرية بعيدة عن الجدية العلمية برأيي، كما ويمكن حسب اعتقادي - تفسير هذه الظاهرة دون أي تصوف، فإذا ما ركز النقاب نظره على الإطار المعدني، وتخيل في نفسه أنه - أي الإطار - يدور فإن هذا سيبدأ بعد برهة بالدوران فعلاً، فالأمر يكمن هنا في أن الزاوية المعدنية تكون في البدء متوضعة في اليد أواليدين في حالة من التوازن والاستقرار غير ثابتة، وكي يحافظ على هذا الوضع من التوازن والاستقرار يصير على الباحث أو النقاب (وليس على أحد غيره) تقوية تركيزه وتوتره، وفي هذه اللحظة، إذا ما قاطعت انتباهه أو دخلت به إشارة خارجية، فإن النبضات العصبية التي تتحكم بعضلات كفه ستتنشط، فيميل الكف بشكل غير ملحوظ، أو يميل ويدور الإطار بنفس هذه الشاكلة، أما بالنسبة لهذه الإشارة

فيرسلها عادة المستقرىء عندما تقترب يد النقاب من الشيء المخفي أو من مكان وجوده، وربما تكون هذه الإشارة على شكل حركة أو إشارة تعجب أو رفة عين أو غير ذلك، فليتقطها النقاب على الفور، غير أن البحث عن شيء ما مخفي لايعتبر تماماً عبارة عن فن البحث والتنقيب القديم، فمنذ الأزل يكتشف الناس الدفائن ومواضع تجمع المياه وكذلك المغارات التي كانت مجهولة سابقاً، وهذا كله كان يتم بواسطة عود الصفصاف، لذا لابد من التساؤل هنا عمن كان يرسل الإشارات الخارجية التي كان يلتقطها النقابون سابقاً خلال تنقيبهم".

ثم تابع يولي يوسفوفيتش قائلاً: على الأرجح إن للنقابين قدرة في مستوى ما من اللاوعي - على التقاط التشوهات الموضعية للحقول الفيزيائية المختلفة، كحقل الجاذبية والحقل الكهربائي والحقل المغناطيسي وحقل الراديو والحقل الصوتي، ففي العادة تبرز التشوهات قرب الشواذ الجيوفيزيائية الكبيرة، وعدا عن هذا فإن بعض الإشارات الأوضح من هذه تساعد النقابين أحياناً، فمن المعروف مثلاً أنه بالإمكان تحديد مكان وكيفية توزع المياه الجوفية في مكان ما وبدقة، بواسطة مراقبة كثافة الأعشاب في ذلك المكان، ذلك لأن لونها واتجاه انحناء جذوعها يعبران عن مكان وكيفية توزع المياه الجوفية تحتها، كما يلتقط النقابون إشارات أخرى عن تكوين المنطقة ونوع التربة ورطوبتها ورائحتها وغير ذلك، ويتم هذا الالتقاط بطريقة عفوية لاإرادية، فعندما يكون النقاب في حالة "استعداد ونشاط" للتنقيب، يصير بمقدور أي من العلائم التافهة جداً في الحالة العادية لفت انتباهه لبرهة من الزمن، فيؤدي هذا إلى اضطراب في نبضات الأعصاب مما يميل الكف، ويُدور الإطار المعدني أو شُعيب الصفصاف".

إذن فالعالم المذكور مقتنع تماماً بصعوبة إثبات مصداقية فن التنقيب هذا عملياً، أي بالطرق التجريبية، كما يؤكد أنه من أجل إجراء تجارب اختبار للمصداقية، لابد من إنشاء مدرجات تجريبية كبيرة تحتوي على كل ما نعرفه من دفائن الأرض.

فتصوروا على سبيل المثال منجماً للحديد مفتعلاً، كما يجب أن تحضر المدارج التجريبية دون تدخل الإنسان، أي آلياً وبواسطة العقول الالكترونية وذلك من أجل إلغاء احتمال التلقين أو الإيحاء من جهة المستقرئين.

والعالم المذكور لم يقف عند قناعته هذه، بل وتابع حديثه مؤكداً إياها: - تعالوا ننظر للأمور نظرة عقلانية، نتساءل هل من الضروري بالفعل في عصرنا هذا بذل جهود هائلة وإنفاق أموال كبيرة من أجل دراسة فن التنقيب بالصفصاف،؟ لقد كان هدف أبحاثنا هو تفسير الأسئلة المبدئية المتعلقة بطبيعة هذه الطريقة في التنقيب، ونحن مقتنعون اليوم بأن ما قمنا به كاف تماماً للرد على هذه الأسئلة، أما أولئك الذين لايفتؤون

يصرخون بأعلى صوتهم داعين لتطبيق طريقة التنقيب بالصفصاف على أوسع المجالات، فإنهم ضعيفو الاطلاع جداً على وظائف السبر الجيولوجي الملحة، وكذلك على المتطلبات العالية بالنسبة لدقة وأمانة هذا السبر وكذلك بالنسبة للأجهزة العلمية الحديثة، ففي التنقيب بالصفصاف أو بالأطر المعدنية لايمكن أن ينافس الطرق الجيوفيزيائية المتبعة في مجالات الكشف عن الدفائن، لكن وفي نفس الوقت، غير محرم على أحد ممارسة هواية التنقيب بواسطة الصفصاف، العجيب، شرط ألا يتخلى ممارس هذه الهواية عن التفكير النقدي المنطقي.."

إن من يقرأ رأي العالم الانف الذكر قد يتصور أنه بالإمكان اليوم إنهاء الحديث عن أسرار اللقط الحي (البيولاكيشن) ودفن هذا الفن تحت كومة من الحجج والاستهتارات، لكن بما أن ايوريش قد تطرق بحديثه إلى أولئك الضعيفي الاطلاع، والذين يصرخون بأعلى صوتهم داعين لتطبيق طريقة التنقيب بالصفصاف على نطاق واسع، فإنه من الواجب ابتغاء للعدل أن نعطي هؤلاء الضعفاء الاطلاع فرصة لشرح رأيهم، وبما أن ايوريش قد قصد بكلماته تلك أعضاء اللجنة المشتركة التي تبحث مسألة اللقط الحي، والتابعة لاتحاد الجمعيات العلمية الهندسية، وبما أن الجدل العلمي يدور عادة بلغة الوقائع الجافة، فإننا نورد بعضاً من هذه الوقائع التي نشرتها اللجنة المشتركة المذكورة أعلاه والتي تلقي الضوء على السؤال الأساسي عن جدوى هذه الطريقة.

أسرار اللقط الحي

عم تتحدث لغة الوقائع إذن؟ مؤسسة تشيلابنسك للإنشاءات المائية استخدمت طريقة اللقط الحي (هكذا يسمي العلم طريقة اللقط بالصفصاف والأطر المعدنية) بنجاح كبير في المناطق التي استحالت فيها إمكانية استخدام الطرق الجيوفيزيائية، فقام نقابوالمؤسسة المذكورة اينيوتين وسيتس وريفورماتسكي وكروغلي بالتنقيب بواسطة طريقة اللقط الحي عن أماكن تجمع المياه الجوفية، فكشفوا عن ألف وخمسمائة بئر، تبين أن نسبة الجافة فيها لم تتجاوز الثمانية بالمائة، أما في المناطق التي نقب فيها بواسطة الطرق الجيوفيزيائية فقد بلغت نسبة الآبار الجافةاثني عشر بالمائة، وبينت نتائج التنقيب بالطرق الجيولوجية المورفولوجية جفاف ثلاث عشرة بالمائة من الآبار، وقد انخفضت الخسارة الناجمة عن التنقيب عن آبار جافة في شركة واحدة من شركات مؤسسة تشيلابنسك بمقدار ٣٥ ـ ٥٠ ألف روبل سنوياً، وذلك بفضل اتباع طريقة اللقط الحي.

أما في سلسلة جبال نهر ينيسي فقد اكتشف النقاب بالصفصاف بروخودف

توضعات معدنية كبريتية كبيرة، في الوقت الذي لم تعط فيه الطرق التقليدية هناك أية نتائج، وتؤكد معطيات معهد سيبيريا للأبحاث الجيولوجية والجيوفيزيائية أن الفائدة من استخدام طريقة اللقط الحي في إحدى مناطق التنقيب عادلت سعر حفر مائة بئر، وفي منطقة ثانية ارتفعت نتائج الحفر من ٤٠ إلى ٩٠ بالمائة، ولم تخطىء هذه الطريقة مطلقاً في منطقة تنقيب ثالثة، ولذلك يحرص أخصائيو المعهد المذكور على استخدام هذه الطريقة ويؤكدون أنها تزيد من فعالية العمل، وترفع نتائج الأعمال الكشفية التنقيبية.

ومؤسسة تمديد الغاز بين مدن تورجوك ـ مينسك وايفاتسيفيتشي لم تتأخر عن زميلتها المذكورة أعلاه في استخدام طريقة اللقط الحي، فقد قام نقابها فيلومونوف بتحديد ناجح لستة عشر تقاطعاً بين خط تمديد الغاز وكوابل أرضية، وسبع تقاطعات للخط مع تمديدات أرضية، وفي الكيلومتر ٤٠٠ للخط اكتشف نفس النقاب وبنفس طريقة اللقط الحي منطقتي حت أرضي نشيط، وقد أثبتت الحفريات اللاحقة صحة اكتشافاته تماماً، ولهذا السبب يؤكد أخصائيو المعهد المسؤول عن عمليات تمديد الغاز أن طريقة الكشف باللقط الحي أكثر بساطة، وأنجح بكثير من غيرها من طرق الكشف والتنقيب، كما أنها لا تحتاج لمعدات وآليات كالطرق الأخرى، وهذا ما أكده النقاب سوتشيفانوف الذي حدد بكل دقة، وخلال بضع ساعات فقط مسار أنظمة تصريف المياة في منشأتين مبنيتين قبل الحرب العالمية الثانية، وتمتدان على مساحة حوالي أربعين هكتاراً، وقد قام بذلك الكشف مزوداً بعود من الصفصاف فقط، وبعد سوتشيفانوف قام النقابان كوزينشوف وفياتشيسلانوف بالكشف خلال بضعة أشهر عن أماكن الأعطال والتخريب في أنابيب التمديدات الأرضية، فما احتاجا ولامرة لأكثر من ٣٠ ـ ٥٠ دقيقة لتحديد مكان العطل، وبخطأ لم يتجاوز المتر الواحد، وذلك ما بينته وأثبتته الحفريات بعد ذلك، هذا مع العلم أنهما عملا بنفس النجاح في ظروف جوية مختلفة، أما في المناطق التي حددها النقابان مينينكا وبوندارنكو على أنها تحتوي على دفائن ما، فقد اكتشف تحتها أخصائيو جامعة لينيغراد الحكومية أساسات معبد مبني عام،١١٩٢ ويعود أصله إلى ما قبل المسيح، وهذا كله بواسطة طريقة اللقط الحي، التي أكد أخصائيو الجامعة المذكورة أن لها مستقبلاً باهراً في مجال الكشف عن الآثار، كما عبر عن مثل هذا الرأي القائمون على محمية كييفو ـ بتشارسكوى، التي قام أحد نقابيها بتحديد أماكن توضع الفراغات الأرضية بطريقة اللقط الحي، فكانت نسبة صحة تحديده حوالي ٧٨٪ ، هذا في الوقت الذي لم تعط فيه طريقة الكشف بالأمواج الصوتية سوى تحديداً واحداً صحيحاً بين كل أربعة تحديدات.

.... بالطبع يمكننا إيراد الكثير والكثير من الأمثلة الدالة على نجاعة طريقة

التنقيب باللقط الحي، لكننا نعتقد أن ما أوردناه وما سنحدثكم عنه لاحقاً كاف تماماً لتكوين قناعة ما حول هذا الموضوع.

حفلة شاي تحت الثلج

تعالوا نتحدث قليلاً عن التجارب التي يمكن أن تلقي الضوء على طبيعة طريقة التنقيب، والكشف باللقط الحي، والتي أجريت ـ لسوء حظ البعض ـ دون مصاريف هائلة وجهود عظيمة ومعدات ضخمة قيل أنه لابد منها، لو سأل أحدنا عمال خدمات الإنقاذ الجبلية لأجابوه على الفور بأنه من السهل إيجاد إبرة في كومة قش، من إيجاد جرف بانهيار ثلجي، ففي هذه الحالات لايتوفر للمنقذون حتى الوقت اللازم لإيجاد الشخص المجروف، ذلك لأن هذا الشخص لايمكن أن يصمد تحت الثلج أكثر من بضعة ساعات، لكن هل يمكن التحكم بعمليات البحث عمن جرفتهم الثلوج، وتوجيهها توجيهاً سليماً؟.

للرد على هذا السؤال أخرج فاليري نيكولايفتش سوتشيفانوف (الذي مر ذكره آنفاً) من كيس بضعة أشباه أطر معدنية مختلفة الأشكال، فمنها ماهو بزاوية قائمة ومنها ما هو بمقبضين، غير آن الشكل ليس مهماً هنا، إذ أن المهم هو أن هذه الأطر طالما ساعدت سوتشيفانوف في الكشف عن الفراغات الأرضية ودفائن الأرض والآثار ومجاري التصريف، وغيرها، لكن رئيس أحد أقسام معهد البحوث العلمي الشمالي للتقنيات المائية وتقنيات الري اختار أدواته هذه المرة بعناية شديدة، فالعمل المطلوب منه القيام به اليوم دقيق جداً، فهو مكلف بالكشف عن أناس طمروا عن سابق عمد بكتلة عارمة من الثلج، لكن لتوضيح الصورة تعالوا نبدأ من الصفر: افتعل الانهيار الثلجي على قاع واد عميق، فغطى مساحة تقارب ثمانية آلاف متر مربع، غير أن هذه المسافة الشاسعة لم تخف سوتشيفانوف مطلقاً، فهاهو يجوب المكان طولاً وعرضاً، مما يوحي بأن عملية التنقيب ستطول كثيراً، لكن لم تمض إلا ساعة واحدة حتى حدد سوتشيفانوف وعلّم بأعلام صغيرة خمس مناطق للشواذ الأرضي، استدار الإطار حول نفسه بالقرب منها، وبعد التحديد والتعليم، دعا رئيس القسم المنقذين الذين بقوا طيلة فترة البحث مرابطين بعيداً عنه يراقبون ما يحدث، إذن دعا سوتشيفانوف المنقذين فحضر هؤلاء وبدؤوا يحفرون في أول منطقة أشار إليها النقاب فعثروا على شخص على عمق ثلاثة أمتار، غير أن أية آثار للمعاناة لم تظهر على ذلك الشخص المنقذ، فقد استقام هذا لما كشفوا عنه الثلج، وخرج من الحفرة، ثم خلع عنه جهاز البث الذي كان مثبتاً

على ظهره، نزع عن رأسه قبعته الدافئة، وصافح بحرارة النقاب الذي كشف مكان اختبائه بكل دقة، ومن بعد قال لنا: إنه كان مرتاحاً جداً هناك تحت الثلج، وإنه شرب الشاي وأكل الشوكولا هناك، ثم تابع حديثه قائلاً:

في الحقيقة لم أكن أتوقع أن تجدوني بمثل هذه السرعة، لقد وفرتم علي نصف احتياطي من المؤونة، إذن فقد أخرج المنقذون من تحت الثلج زميلهم الذي كانوا قد دفنوه بأنفسهم هناك، ثم شوهوا كل المنطقة برفوشهم كي يمحوا آثار مكان الدفن، ولم تقتصر عملية الكشف على شخص واحد فقط، ذلك أن النقاب قد كشف مواقع أشخاص آخرين كانوا يتسلون أيضاً بشرب الشاي تحت الثلج، وعلى أعماق تراوحت بين متر وستة أمتار، وجد النقاب أيضاً حفراً أو بالأصح مدافن كاذبة حضرت خصصياً لتصعيب عملية التنقيب والكشف، غير أن النقاب لم يخطىء إلا عندما أشار إلى تلك المدافن الكاذبة وقال: إنها مكان وجود الأشخاص، والعملية لم تنتهِ عند هذا الحد، فقد حفر المنقذون حفرة بعمق أربعة أمتار ووصلوها بكومة صخرية بواسطة نفق حفروه على مستوى قاع الحفرة، ثم دفنوا زميلهم عند الكتلة الصخرية، ولما بدأ سوتشيفانوف بحثه لم يتوقف عند الحفرة ولم يعلم مكانها، مع أن الإطار قد استدار بين يديه، وتابع البحث حتى وجد بالفعل المكان الذي فيه الشخص، ولما سئل بعد ذلك عن عدم توقفه عند الحفرة، قال: إن استدارة الإطار دلته على تعرج تحت الثلج وليس على مكان وجود الشخص .

إذن فقد عثر النقاب على كل "المدفونين" دون خطأ، راحماً بذلك المنقذين ـ لو كان الأمر حقيقة ـ من حفر وتنظيف مساحة ثمانية آلاف متر مربع. بينما حفروا بناء على إرشاداته مساحة لم تتجاوز ستين متراً مربعاً، كما أن زمن البحث لم يتجاوز ساعة، بينما يستمر في الحالات العادية، ساعات عديدة وبدون نتيجة أحياناً، وأحياناً أخرى يعثر على المفقودين أمواتاً.

أمام هذه التجربة المذهلة ما كان لي بد من أن أسأل سوتشيفانوف: "ـ لقد أخفي الأشخاص بعناية وفي حفر عميقة، لذلك ربما يكون الإطار قد استدار بين يديكم مشيراً لوجود فراغات أرضية لاأشخاص؟"

فأجاب سوتشيفانوف قائلاً: "ـ إن الأمر ليس كما تتصورون، فالإطار كان يستدير دورة واحدة فوق الحفر الفارغة،ودورتين أو ثلاث دورات فوق الحفر المليئة أو المسكونة، لذلك كنت أحدد أماكن وجود الأشخاص حسب دورات الإطار، هذا عدا عن أني أكتشفت موقع شخص لم يكن يقبع في حفرة، بل وراء كتلة صخرية تحت الثلج، أي دون وجود فراغ أرضي قربه".

فسألته متابعاً الحديث معه: "ـ اليس من المحتمل أن تكونوا قد تفاعلتم أو تواصلتم عفوياً مع سلوك المشاركين في التجربة والذين راقبوا عملكم وهم على إطلاع على أماكن دفن زملائهم؟".

فرد سوتشيفانوف قائلاً: "ـ إني لأنفي مثل هذا الاحتمال مع أن القائمين على التجربة بذلوا جهداً كبيراً كي تكون نقية وصادقة، وقد سبق وأجريت تجارب مماثلة، كشفت خلالها عن أشخاص تحت الثلوج رغم عدم وجود أحد ما بالقرب مني، كما أخرجت سابقاً من تحت الثلوج حيوانات لم يكن أحد يعرف بوجودها هناك».

إذن فإن تجارب سوتشيفانوف صادقة فعلاً وبعيدة عن الشك، وقد أعلنت نتائجها رسمياً في الاجتماع الخاص بالانهيارات الثلجية، الذي نظمه فرع الجيوسيولوجيا التابع للجنة الجيوفيزيائية المشتركة في أكاديمية العلوم السوفيتية، وقد أبهرت نتائج سوتشيفانوف الحضور، لدرجة أن الفروع الأخرى قطعت أعمالها وحضر أخصائيوها جميعاً كلمة العالم والنقاب سوتشيفانوف، وبعد الاجتماع علق البروفيسور الجيولوجي رومانوفسكي من جامعة موسكو الحكومية على نتائج سوتشيفانوف قائلاً:

"ـ إني لأجد غرابة في هذا الأمر، ومثل هذه الأبحاث تفتح أمامنا منهجاً جديداً في عملنا أظن أنه سيكون ناجحاً وناجعاً، فالنقاب بطريقة اللقط الحي لايحتاج لأجهزة خاصة ولاتقنيات عالية، وفي الوقت نفسه يقوم بعمله بسرعة كبيرة، وهذا مهم جداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الانهيارات الثلجية تطيح سنوياً بالكثير من البشر، ولهذا إذا ما استخدمت طريقة اللقط الحي، فإن احتمال إنقاذ المطاح بهم سيكبر وينمو. ونجاعة هذه الطريقة لم تثبت في المناطق الجبلية فقط، بل وتحت الماء أيضاً، فقد أجريت تجارب استطاع خلالها النقاب الموجود على متن زورق إيجاد أناس تحت الماء،ولهذا كله لايبقى أمامنا إلا الأسف والأسف الشديد فعلاً، لأن العلماء لم يجدوا حتى اليوم تفسيراً نهائياً لطريقة التنقيب هذه".

فرضيات عن الصفصاف

إن من المبرهن عليه عملياً كون رادار الأفاعي الحراري يلتقط فرقاً في درجة الحرارة لاتتجاوز قيمته جزءاً من ألف من درجة مئوية واحدة، كما أن الكلب يميز نصف مليون رائحة مختلفة، وقناديل البحر تلتقط ذبذبات الأمواج التحت صوتية التي تتجاوز سعتها (مداها) البضعة هرتزات كما وأنها تشعر بقرب هبوب العواصف قبل ساعات من بدئها ويلتقط رادار الدلفين الفوق سمعي صوت رشة ماء خفيفة على بعد عشرات الأمتار، أما

جُعل الماء (خنفسة) فيشعر بالموج ذي المدى الذي لايتجاوز بضعة أجزاء من مائة ألف مليمتر واحد، من هنا نتساءل أيكون الإنسان ـ يا ترى ـ قد تمتع سابقاً بمثل هذه القدرات، ثم أضاعها على مدى آلاف السنين من تطور حضارته؟ وإذا ما كان الأمر كذلك، فماله ولهذه القدرات اليوم حيث سبقت فيه قدرة الأجهزة والمعدات جميع حواسه؟.

ماالذي يمكن قوله على ضوء هذه الأسئلة؟ بالطبع لاداعي مطلقاً لقدرات الإنسان تلك إذا ما اعتمد كلياً على التقنية، واكتفى بوجوده كمراقب حيادي لعملية انحطاط وانحسار سمعه وشمه وغيرهما، لكن إذا ما طور المرء نفسه تلك القدرات التي تمتع بها أجداده هل يصبح بمقدور حواسه منافسة الأجهزة والمعدات ذات التقنيات العالية؟ أم يكمل الفريقان بعضهما؟.

.....إن النقوش الحجرية المكتشفة في الصين تثبت بشكل لايترك مجالاً للشك أن البشرية عرفت قبل أربعة آلاف سنة طريقة التنقيب عن دفائن الأرض بشعيب من الصفصاف، هذه الطريقة التي انتشرت في القرون الوسطى بشكل واسع واستخدمت في مجالات عديدة في ألمانيا وفرنسا، أما في المناطق الجافة من آسيا وأفريقيا فقد استخدمت هذه الطريقة للكشف عن مجمعات المياه الجوفية، حتى أن ألمانيا قد احتفلت منذ مدة غير بعيدة بمرور مائة عام على اكتشاف منجم كبير للفضة بواسطة شعيب من الصفصاف، فصُك على شرف هذه الذكرى تالر (عملة ألمانية قديمة م للمترجم) يُزين أحد وجهيها رسم لشعيب من الصفصاف، الذي اكتشف بواسطته منجم الفضة، وفي روسيا، وبناءً على أمر من الامبراطورة ايكاتيرينا الثانية، زين شعار مدينة بتروزافودسك برسم لشعيب من الصفصاف. كما أن الجيش الأحمر السوفييتي، خلال مطاردته لفلول القوات الألمانية، وجد أن معظم آبار المياه قد دمر أو سمم مما تطلب العودة إلى طريقة الكشف عن الماء بعود الصفصاف لتلبية حاجة قواته من الماء، وقد ترأس مجموعة التنقيب بعيدان الصفصاف آنذاك المقدم غي بوغومولوف الذي توجه عام ١٩٤٤، ومن خلال الاجتماع الجيوفيزيائي الثاني لعموم الاتحاد السوفييتي برجاء إلى العلماء يعبر فيه عن رغبته في أن يصمموا جهازاً بديلاً للإنسان ولعود الصفصاف، ....لكن ذلك الرجاء لم يجد أذناً صاغية إلا بعد مضي أربعين سنة، وقد فسر هذا التأخير بعدم معرفة العلماء والمصممين آنذاك لطبيعة وكنه الصفصاف، وبالطبع لايمكن أبداً تصميم جهاز مجهول الغاية والطبيعة، فبالفعل كانت هاتان الخاصتان لغزاً مجهول الحل آنذاك، غير أننا اليوم نبدو وكأننا بدأنا نحصل على المعارف اللازمة، لذا تعالوا نتحدث عن هذا بالتسلسل: عام ١٩١٣، وخلال المؤتمر الثاني للنقابين بالصفصاف طرح الدكتور في.ايغز

فرضية جديدة تحاول شرح طبيعة هذه الظاهرة يقول فيها: إن تركيز الجزئيات المشحونة يكون عادة عاليًا فوق أماكن وجود دفائن الأرض، أي أن الجو المحيط بمواقع الدفائن يكون مشحوناً في العادة، أما الجزئيات المشحونة فعبارة عن أيونات بمقدور أعواد الصفصاف التقاطها، غير أن معطيات كثيرة لدى العلم تنفي صحة هذه الفرضية وبالتالي هذا التفسير، فخلال العواصف الرعدية مثلاً يرتفع التركيز الأيوني في الجو بشكل كبير، ومع ذلك فإن شعيب الصفصاف يستدير في يد النقاب بنفس القدر الذي يستديره في الظروف العادية، كما أن شعيب الصفصاف قد يستدير في مكان مغلق عند الاقتراب من شيء ما مع أن تركيز الأيونات ثابت لم يتغير...

ـ إذن هل الشحنات الكهربائية هي التي تؤثر على شعيب الصفصاف وليس الأيونات؟ إن رئيس اللجنة المشتركة المختصة باللقط الحي الذي ذكر آنفاً وكذلك أنصاره قد أخذوا بهذا الرأي قبل عشرين سنة، فقد قاس هؤلاء قيمة الحقل الكهربائي في مناطق مختلفة على سطح الأرض، آملين في إثبات أن تغيُّرَ هذه القيمة هو الذي يحرض شعيب الصفصاف أو الإطار المعدني على الدوران، غير أنه ما إن بدأت عمليات الحفر تحت الأرض، حيث لا وجود للحقل الكهربائي، حتى استدارت العيدان والأطر من جديد بين أيادي المنقبين، وهذا ما نفى تلك الفرضية وأبعد عنها العلماء بشكل نهائي، غير أن الأبحاث استمرت، فبعد تلك المحاولات طرحت فرضيات عديدة بدا بعضها متطرفاً جداً، كفرضية الدكتور في العلوم البيولوجية آ . دوبروف، الذي قال بإمكانية وجود قوى جاذبية حية لحقل فيزيائي يكونه الماء نتيجة عمليه العقلي والفيزيائي، وهذا الحقل يتفاعل مع حقل الجاذبية الأرضية، مما يبرز إلى السطح ويولد ظاهرة اللقط الحي، أي أن طبيعة الظاهرة ووظيفتها مرتبطتان مباشرة بتغيرات قيمة الجاذبية الأرضية، وقد دعم هذه الفرضية حصول العلماء على معلومات تفيد بأن قوى الجاذبية تتغير طفيفاً عند حدود الفراغات التحت أرضية وفوق مكامن الدفائن، كما سُجل تغير في قيمة قوة الجاذبية عند القيام بتفجير كبير لبعض الكتل الجبلية، وقد سجل في كل هذه الحالات مفعول أقوى وأثر أبرز لظاهرة اللقط الحي، مما كون تصوراً يربط هذه الظاهرة بالجاذبية الأرضية، غير أن سوتشيفانوف يؤكد أنه لا دخل للجاذبية أبداً هنا، ولإثبات ذلك وضع مكعباً ثقيلاً على الأرض (المكعب معدني)، ثم وقف بإطاره فوقه، فاستدار الإطار حول محوره العمودي ربع دورة، كما لو أنه اصطدم بعائق غير مرئي، ثم جاء العالم بمخروط ورقي كبير، ووقف من جديد وإطاره فوق المخروط، فاستدار الإطار دورتين كاملتين وللتأكد أعيدت التجربة عدة مرات فجاءت النتائج جميعاً متشابهة، مما أثبت أن للأشياء المخروطية الخفيفة مفعولاً على الإطار أقوى من المكعبات والكرات المعدنية. وقد شرح

سوتشيفانوف الأمر بعد التجارب قائلا:

" ـ لو كانت فرضية الجاذبية صحيحة لوقع العكس تماماً، أما في الحقيقة فيرز هنا أثر "رنيني" فالجريدة التي صنع منها المخروط تلعب دور هوائي له شكل البوتقة، ويبث إشارات يلتقطها النقاب، غير أنه مازال علينا تحديد طبيعة الإشارات التي يرسلها الهوائي..."

أما البروفسور الفرنسي أى. روكار فقال باحتمال التقاط النقابين لشذوذات في الحقل المغناطيسي، لكن الباحثين السوفييت سجلوا مفعولاً أقوى لطريقة اللقط الحي أو الرادار (كما يسميها البعض) في أماكن ذات حقول مغناطيسية متوازنة جداً، كما وتبين لهم أن الإطار يتحرض بوجود أشياء غير مغناطيسية كالخشب والنحاس والبلاستيك، مما ينفي هذه الفرضية كما نفيت الفرضيات الأخرى التي ذكرناها آنفاً، وكل هذه الفرضيات دفعت العالم الأميركي في . غارفاليك لمحاولة إيجاد تفسير وسط، فقال بأن تغيرات حقل الأرض المغناطيسي تؤثر على العمليات الجارية في دم الإنسان، فالدم عبارة عن الكتروليت، أي أنه ينحل بالكهرباء، وهذا التأثير على العمليات الدموية يسبب دوران الإطار في يد النقاب، وللحق نقول: إن هذه الفرضية قد سيطرت على العلماء السوفييت في البداية، فحاولوا إثباتها، وقد برهنوا بالتجربة على أن نبض النقاب يزداد بمقدار ٧ ـ ١٠ نبضات في الدقيقة عند استدارة الإطار أو عود الصفصاف بين يديه، كما أن نبض الإنسان الذي لم يمارس التنقيب قد يرتفع من ٥ إلى ٨ نبضات في الدقيقة عند وجوده في مناطق الشذوذات، وأما إذا قُرب مغناطيس قوي من ظهر النقاب فإن دوران الإطار يتباطأ في البداية، ثم يأخذ بالدروان بالاتجاه المعاكس لدورانه الأولي، فماذا يعني هذا على أرض الواقع وما هو رأي العلم فيه؟ بالطبع يؤثر الحقل المغناطيسي على العمليات الجارية في دم الإنسان، غير أن المختصين يقولون بعدم احتمال أن يكون هذا هو السبب لبروز ظاهرة اللقط الحي، فعدد النبضات قد يرتفع عن النقاب في مناطق لاشذوذ فيها، عدا عن أنه لايمكن بأي شكل من الأشكال رسم حدود توضعات دفائن الأرض بواسطة نبض الإنسان، ولهذا طلبنا من سوتشيفانوف التعليق على الأمر من جديد فقال:

" ـ عدا عما ذكرناه، هناك مجموعة أخرى من النظريات التي تتنافى ونتائج التجارب، فهناك مثلاً النظرية السببية النفسية لتفسير ظاهرة اللقط الحي، والتي أطلقها الراهب كيرهينر في القرن الثامن عشر، ونفس النظرية هذه عادت وظهرت إلى الوجود بعد مائتي سنة على لسان الدكتور ايوريش، ودون أن يعي هذا إلى أنها قد رفضت ونفيت من قبل العلماء السوفييت وغير السوفييت، وهذا ما تؤكده منشورات العلماء في

المجلة الدولية "النقاب بالصفصاف" التي تصدر في الولايات المتحدة الأميركية، فالعامل النفسي إذن لايمكن أن يكون السبب الوحيد الكامن وراء ظاهرة اللقط الحي، وهذا ما يمكن إثباته بالمثال البسيط التالي: إن المطلعين على طريقة اللقط الحي يعرفون أنه في أماكن الشذوذات الكبيرة يستطيع عود صفصاف ذو شعبين رفع ثقل يعادل كيلوغراماً، وذلك عند دورانه حول محوره الأفقي، وعلى آن يكون الثقل متوضعاً على مسافة عشرين سنتيمتراً من محور الإطار. وفي حالة محاولة النقاب إيقاف دوران العود قسراً فإن قشرته ستتطقطق، وربما ينكسر العود نفسه تحت تأثير الثقل، والمنطق الذي نفهمه جميعاً ينفي بشكل قاطع مقدرة محرك أو عامل نفسي على القيام بمثل هذه الحركة، هذا عداك عن أن أجهزة القياس لاتسجل أية تغيرات ملموسة في حقول الأرض: الكهربائي والمغناطيسي وحقل الجاذبية وغيرها، لذلك من الطبيعي الافتراض بأن قوى أخرى مجهولة هي التي تؤثر على النقاب وعود الصفصاف، والحق يقال، فإن هناك فرضية قادرة على إعطاء مفتاح الحل لهذا اللغز."

ولما سمى لي سوتشيفانوف هنا صاحب هذه الفرضية حددت موعداً معه فكان لي الحديث التالي مع المرشح للعلوم التقنية اناتولي فيود وروفيتش اخاترين:

اصطياد النييترينو

قال لي اخاترين بادئاً حديثه: "ـ لقد تنبأ بعض العلماء السوفييت والأجانب منذ مدة خلت بوجود ميكروجزيئات ذات كتلة أصغر بعدة مرات من كتلة الالكترون، فقمنا بوضع نماذج رياضية وفيزيائية، تسمح لنا بحساب مجموعة كاملة من مقاييس هذه الجزيئات ـ الميكرولبتونات، وقد بينت هذه الحسابات وجود حقول لقوى كمية (كوانتية) حول عناصر العالم المادي، وتتكون حقول القوى هذه من جزيئات تملأ الفراغ بين الأجسام الفيزيائية كما يفعل الغاز، لكن ما يميزها عن غيرها هو كون أكثف وجود لها يتحقق داخل الأجسام الفيزيائية نفسها وليس بينها، فإذا سخنا جسماً، أو ضغطنا عليه أو عرضناه لتيار كهربائي وما إلى ذلك، فإن الميكرولبتونات تتحرض وتتجمع حول هذا الجسم، متوضعة على هيئة أغشية طبقية مختلفة الأشكال والمقاييس، وعدد هذه الأغشية كبير، وتوضعها يتم على مسافة من الجسم تتراوح بين مليمتر واحد وبضع مئات من الأمتار، ونحن نعتقد على ضوء هذا أن النقابين يلتقطون بعفوية بعضاً من هذه الأغشية ـ الطبقات خلال عملية التنقيب، ومما يدعم هذا الرأي كون النقاب المستعد والمتأهب للقيام بعمله قادر بالفعل على التقاط أي إشارة ضعيفة، وهذه الإشارة تقوي لديه العمليات الفيزيائية، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى دوران عود الصفصاف، فهذا يلعب دورَ جهاز قياس وهوائي في آن واحد، وهو لايدور بسبب ردة الفعل الحركية النفسية،

بل تحت تأثير قوى خارجية، غير أن هذا يحدث على مسافات محددة من الأجسام، وعلى هذه المسافة تحديداً تتشكل الدوائر ذات الأغشية الطبيعية الميكرولبتونية، فيصطدم بها عود الصفصاف أو الإطار المعدني ويدور".

هنا سألت أخاترين: " ـ لكن هل تنفون إمكانية تفسير هذا بالعامل النفسي؟ فسبب معرفته المسبقة بالمكان الذي يجب أن يدور الشعيب أو الإطار فيه يحرك النقاب أو يُميل يده بشكل عفوي، خاصة وأننا نعرف أن الإيحاء الذاتي يخلق فعلاً حركياً نفسياً".

فرد أخاترين قائلاً: " ـ من أجل إعطاء رد سليم على هذا السؤال قمنا بإجراء تجارب استخدمت فيها موازين دوارة حساسة لايُشك بسلامتها ونتائجها، فقد ربطنا شعيباً رفيعاً من الصفصاف بخيط طويل، وعلقناه داخل وعاء زجاجي محكم الإغلاق وحركنا ذاك الوعاء فوق أشياء مختلفة، فمال عود الصفصاف في نفس الأماكن التي دار فيها الإطار في يد النقاب".

فسألت أخاترين: " ـ لكن ربما تكون حقول القائم بالتجربة هي التي أثرت على الجهاز؟"

فأجاب اخاترين: " ـ لقد نفينا هذا الاحتمال بالتجربة، إذ وضعنا الموازين الدوارة في أوعية خاصة عزلتها عن تأثير تيارات الهواء والحقول الخارجية جميعاً، وكانت النتائج نفسها كما في التجربة التي حدثتكم عنها للتو."

إذن ليست الأغشية الطبقية الميكرولبتونية ضرباً من خيال منظري طريقة اللقط الحي ـ تابعت الحديث مع اخاترين ـ لكن ما الوسيلة اللازمة لإقناع العلماء الآخرين بهذا؟ وهل من الممكن رؤية هذه الميكروجزيئات الأصغر مما يعرفه العلم ببضع درجات؟

فجاء رد اخاترين مباشرة: " ـ ولم لا؟ بالطبع ليس بالمستطاع رؤية جزيئات متفرقة ومنعزلة، لكن يمكن التمتع بمشاهدة تجمعها حول الأجسام المادية، هاكم هذه الصورة التي التقطها المهندس كاسيانوف الذي هو من مدينة ساراتوف".

فنظرت إلى الصورة لأرى حلقات ضوئية على خلفية مظلمة، وبالطبع لم أفهم شيئاً، غير أن هذه الحلقات الضوئية ليست حسب رأي العالم سوى تجمعات للغيوم الميكرولبتونية. لكن هذا لم يخفف من دهشتي ، مما دعا العالم لمتابعة حديثه قائلاً: " ـ إذا ما قمنا بإدارة مخروط مصنوع من الرصاص، فإن أغشية طبقية من الميكرولبتونات ستنشأ حوله، لكن كيف يمكننا جعلها مرئية؟ للرد على هذا السؤال وضعنا قرب المخروط مااتفق على تسميته بالصندوق الأسود أو العلبة السوداء، ـ وهو وعاء أو علبة ذات جدران داخلية ماصة للضوء ـ ثم سلطنا عليه ضوءً عبر ثقب ضيق فيه فتشكلت داخله حزمة ضوئية منبسطة، وما إن أدير المخروط خارج الصندوق حتى ظهرت الحلقات

المركزة في حزمة الضوء، وكان لها لون أبيض، وبدت واضحة تماماً على الخلفية المظلمة، وصورت بواسطة جهاز تصوير وضع خصصياً داخل الصندوق، ولقد كانت أقطار الحلقات تتغير دورياً، وهذا أمر عادي إذا ماعرفنا أن مجال وتذبذبات الأشكال الحلقية تتعلق بنوع المادة المصنع منها الجسم الدائر، وكذلك بالحشاشات الحاجزة الموضوعة بينها وبين الصندوق ، وكذلك بقوة الحقل المغناطيسيّ......"

بالطبع لابد أن يشكّ بعضكم بنزاهة هذه التجارب، غير أن المختصين باللقط الحي يستغلون نتائجها عملياً منذ زمن بعيد، ولذا أورد لكم مثلاً عن هذا: فقد نفيت سابقاً بشكل قاطع إمكانية تنقيب نقاب يجلس في سيارة أو طائرة، ذلك لأن المعدن يعزل عن الحقول الفيزيائية المعروفة، التي قد تؤدي إلى دوران شعيب الصفصاف أو الإطار المعدني، أما اليوم فلا أحد يشك بذلك لأن التجارب العلمية أثبتت أن السيارة أو الطيارة لاتشكل حاجزاً في وجه الميكرولبتونات التي لها نفاذية عالية لاتوصف.

سبر تحت مائي .... من على متن طائرة

يقول العلماء اليوم: إنه من السابق لأوانه استخلاص نتائج نهائية حول طريقة "اللقط الحي" ذلك لأن الحسابات والتجارب التي قاموا بها تحتاج إلى المزيد من التدقيق والتمحيص، وهذا مالايسمح بالنظر إليها كبراهين قائمة ومثبته، ونحن بدورنا لن نأخذ على عاتقنا مناقشة صحة هذا الأمر أو عدم صحته، وحديثنا الآتي سيدور حول شيء آخر يعتبر أمراً غير قابل للشك، وهو أنه لاأحد يستطيع نفي القيمة العملية لطريقة "اللقط الحي"، رغم أن العلماء لم يتفقوا على أي واحد بالنسبة لطبيعتها ولتفسيرها المؤدي بالتالي إلى تطويرها، فالحقيقة تتطلب الاعتراف بوجود بعض النواقص عند طريقة "اللقط الحي" فعند قيام النقابين بالبحث عن المياه الجوفية ـ على سبيل المثال ـ يظهر حوالي عشرة بالمائة من الآبار المحفورة بناءً على معطياتهم جافاً أو شبه جاف، وفي المجالات الأخرى كثيراً ما توصل معطياتهم إلى الكشف عن مناجم غير ذات نفع اقتصادي، ولهذا الأمر أسبابه التي أهمها المستوى التقني المتدني للنقاب، والخلل في طريقة التنقيب، والتفسير الخاطىء للمعلومات المستحصل عليها، ولهذا يعتبر مسسؤولو اللجان الخاصة بمشاكل طرق "اللقط الحي" أن استخدامها العام والشامل سابق لأوانه اليوم، غير أنه لابد للأخصائيين أن يكونوا بمستوى تقني عال كيلا يسمحوا بالتشهير بهذه الطرق وبنزع الثقة منها، كما ولهذه الطريقة حسناتها الكبيرة بالمقارنة مع الطرق الأخرى. فعدا ذلك عما ذكرناه آنفاً لابد من التذكيربحسنتين جدٌّ أساسيتين: أولاهما تكمن في قدرة هذه

الطريقة على الكشف عن الكثير من الدفائن المفيدة على أعماق كبيرة، بل حتى ولو كانت هذه الدفائن مغطاة بتوضعات من الدفائن الحديثة التكوين، وهذا يحدث في الوقت الذي تقف فيه الأجهزة الحديثة عاجزة عن مثل هذا الكشف، أما الحسنة الثانية فتكمن في قدرة النقابين على تحديد مكونات الدفائن، وذلك بإيصال أنواع معينة من الشظايا المعدنية وغيرها بالإطار المعدني أو بعود الصفصاف، فهذا يؤدي إلى دوران أقوى للإطار أو العود في حال وجود عنصر من المكمن مشابه لما على الإطار أو العود، كما يمكن بواسطة قطعة قماش مبللة بالنفط تقدير حجم النفط الموجود في التركيبات الجيولوجية...″

بعد هذا الحديث المفصل اتجهت إلى الدكتور في العلوم التقنية البروفسور في معهد موسكو للطيران بوريس اناتوليفيتش كراسيوك، راجياً التعليق على هذه الأبحاث فتفضل مجيباً:

″ ـ لقد كان يبدو للوهلة الأولى أن هذا الأمر غير جاد، فالتنقيب بعود الصفصاف طريقة معروفة منذ قديم الأزل، لكنها لم تجد لنفسها قط انتشاراً واسعاً في مجال الاستخدام، وهذا ما سببه عيبها الأساسي الكامن في عدم مقدرة جميع الناس على استخدامها ، لكن لو كان بالإمكان تصميم جهاز يعمل بنفس مبدأ عود الصفصاف ودون تدخل الإنسان، أي جهاز قادر على التقاط الحقول الفيزيائية الخاصة بالتراكيب الجيولوجية، أو جهاز يستطيع التقاط التغيرات الخاصة داخل جسم الإنسان نتيجة تأثير مناطق الشذوذ الرادارية، فإن الأمر سيتغير حتماً وستنتشر هذه الطريقة أوسع انتشار. وفي هاتين الحالتين سيقوم الجهاز بالتقاط وتسجيل غيوم الميكرو جزيئات الخفيفة جداً، أي بكلمات أخرى نفس الجزيئات التي تحدث عنها اخاترين في فرضيته التي اعتبرها شخصياً نظرية لافرضية ، ذلك لأنها أثبتت بالعديد من التجارب، لكن برهانها النهائي سيبرز إلى السطح عندما يصمم الجهاز الذي أتحدث عنه، والذي سيقوم مقام المرء وقضيب الصفصاف في وقت واحد.

لقد قدر لي أن أراقب عمل النقابين طويلاً، وتأكدت مراراً من صحة المعلومات التي يقدمونها، ولشد ما أدهشتني حقيقة أنه لو وصلت مكثفات كهربائية بالإطار المعدني أو بعود الصفصاف، فإنه يصبح ممكناً التحكم بتعيير الإطار أو القضيب بحيث يتجهان نحو التنقيب عن نوع ما واحد معين من الدفائن، وهذا ما يسمح لنا بالكشف عن الرصاص دون النحاس أو العكس، ولذا يجب بالفعل تصميم أحد الجهازين اللذين ذكرتهما لتوي، فبوضع جهاز منهما على متن طائرة يصير بالإمكان تحقيق حلم

الجيولوجين في القيام بسبر تام لكل الأرض، ولابد أن يكون هذا السبر الجوي ناجعاً جداً في مجال التنقيب عن الذهب وغيره من المعادن النفيسة والكمائن المفيدة، كما سيكون بالإمكان الكشف عن توضعات الدفائن في قعر المحيطات، وهذا ما يؤكد أن طريقة اللقط الحي أو الكشف الراداري ستحدث ثورة حقيقية في علم الجيولوجيا، وأنا واثق من أنها ـ أي الثورة ـ لابد ستنشب في الأعوام القليلة القادمة، وأخيراً فإن هذه الأبحاث تفتح أمامنا مجالات جديدة ليس في علم الجيولوجيا فقط، بل وفي الكثير من العلوم الأخرى، فقد استطاع الباحثون مثلاً الكشف عن الحوامل المادية للأثير، والتي طالما بحث عنها علماء الماضي".

صيغ الكون

بعد كل ما أوردناه ستراودنا لامحالة تساؤلات عديدة، فهل يمكننا مثلاً الافتراض أن الأفكار شيء مادي، وهل هي موجودة في الإدراك ـ إدراكنا ـ فقط أم دون ارتباط به؟ فالعلماء قالوا فى السابق: إن الأفكار تحلق في السحاب".

تعالوا نتساءل بالفعل: هل هذه الفرضية مستبعدة لهذا الحد؟ إنها ـ أي الفرضية ـ نشرت بين عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ ضمن الأعمال الكاملة لمعاهد وجامعات الاتحاد السوفييتي، ولاقت ترحيباً واسعاً عند الكثيرين من الأساتذة والطلاب، وربما ستثير فضول القراء أيضاً، ولذا إليكم حديثاً مفصلاً مع واضع هذه الفرضية الفيزيائي والدكتور في العلوم الاقتصادية ومدير قسم الاحصاء في معهد موسكو للاقتصاد الشعبي بوريس ايفانوفيتش اسكاكوف، الحديث الذي ابتدأته بالسؤال التالي:

" ـ إن موضوع مادية الأفكار ليس بالجديد بالنسبة للعلماء، فمن قديم الأزل قال حكماء الهنود إن للمادة مستويات مختلفة، وإنه من الماديات الأكثف أو الأخشن "حيكت" عناصر العالم المرئي لنا، ومواصفات هذه العناصر والمعلومات عنها مخزونة في عالم آخر غير مرئي ومكون من مادة رجراجة رقيقة، وهناك تحلق الأفكار والأحاسيس الإنسانية، أما أفلاطون وأرسطو وغيرهما فسموها "الايدوسات "واعتبرها هيجل أي (الأفكار) شيئاً مادياً... غير أنه ليس باستطاعة الاختلافات الفرضية لفلاسفة الماضي تلبية احتياجات العالم المعاصر، فهو لايقتنع إلا بالبرهان التجريبي، لذا هل البراهين التجريبية أساس فرضيتكم؟"

فأجاب العالم اسكاكوف قائلاً:

" ـ بالطبع يمكن الاعتبار مبرهناً عليها وذلك بوجود الغاز اللبتوني الكوني الذي له

القدرة على اختراق الأجسام في الكون والذي يملأ كل فراغ. والغاز هذا يتكون من جزيئات خفيفة جداً لاتتجاوز كتلة الواحدة منها، *** ١٠ - ٤٠- ، ١٠ ٣٠- ***غرام، وقد وصفت المراجع العملية حوالي عشرة أشكال مختلفة لهذه الجزيئات، ومنها الالكترونات والبوزيترونات والميواونات والنيترونات وغيرها، غير أنه يمكن اليوم استناداً إلى تجارب العالمين اخاترين وسوتشيفانوف، التحدث عن مائة من الأشكال المختلفة لهذه الجزيئات، التي لمعظمها كتل أصغر من الكتلة المذكورة للتو، واللبتونات هذه صغيرة بالمقارنة مع الذرات، لدرجة أنها قادرة علمياً على اختراق أي جسم مادي بحرية، كما تخترق جزيئات الهواء ثقوب شبكات صيد السمك على سبيل المثال، لكن ما يدعو للأسف هنا هو إمكانية الاستناد إلى الصيغ الفيزيائية والمعادلات الحسابية التي أسست عليها هذه الفرضية، ومع ذلك تعالوا نبسط حديثنا من أجل الوصول إلى الشكل البدائي، لكنه الفرضية، والذي يمكننا القول عنه ما يلي: تعتبر اللبتونات حوامل أو نواقل للأفكار والأحاسيس الإنسانية، وكذلك للمعلومات عن مكونات وأجسام وظواهر العالم المادي، كما ويخزن الغاز اللبتوني الكوني معلومات كاملة عن كل ما حدث وما يحدث، وما سيحدث في الكون، لذا لايمكن تفسير الظواهر الألغاز التي ينفيها العلم الرسمي أحياناً، إلا بتفاعل ما بين الغاز اللبتوني الكوني وعناصر العالم المادي والدماغ البشري".

فقاطعت العالم سائلاً:

" - هل تقصدون تلك العجائب التي يقال: إن مؤسسي الديانات العالمية قد أتوا بها ، وكذلك تلك التي يمارس طقوسها اليوم ما يعرف ب "الاكستروسينس" - (ممارسو التواصل عن بعد التنويم المغناطيسي - م . المترجم) - ؟ فالعالم المعاصر لايقدر بالطبع أن يضرب بما لايفهمه عرض الحائط، ولا يليق به في نفس الوقت الأخذ بالظواهر الخيالية. واليوم يلجأ الكثيرون إلى الجدية في هذه المسألة: فبعض الباحثين يأخذون بأعمال السحرة، وآخرون ينفون كل مالا يدخل في إطار القياسات العلمية المعهودة، ومع هذا فإنه لابد للحقيقة أن تظهر لمن يرغب بالفعل بالتعمق بهذه المسألة ودراستها موضوعياً، لذلك لابد من أن نسأل هل العلم المعاصر قادر على إعطاء أساس نظري، يُتْبَع لاحقاً ببرهان عملي على وجود ظواهر غريبة؟".

فكان الرد التالي للعالم: " - نعم، العلم المعاصر قادر على هذا ، والحديث هنا يدور حول فرضية علمية مازالت مفتوحة أمام البحث، وتحتاج لبرهان عملي، لكن تعالوا نبحث في بعض الظواهر الغريبة، ولنبدأ بظاهرة النبوءة وقراءة الغيب التي أقر بها القدماء واعتبروها أمراً منطقياً وواقعياً، وقد وصلنا الكثير من البراهين على حالات كثيرة تحققت

فيها النبوءات بحذافيرها، والعلم لايرى في هذا شيئاً غير طبيعي أو خارج حدود إمكانياتنا، فباستخدام معادلات شريدنفر الفيزيائية الشهيرة، يمكن الاستنتاج بأن الاشارات التي تبتعد عن مصدرها ستنشطر تدريجياً في الفراغ والزمان، وهذا يؤدي إلى ظهور سلسلة ضعيفة من الإشارات السابقة واللاحقة للإشارة الأساسية. فإذا ما حللت وفكت رموز الإشارات قبل الأساسية، فإنه يصير بالإمكان معرفة ما سيقع، وذلك قبل ورود الإشارة الرئيسية ـ أي قبل وقوع الحدث ـ وهذا ما يفسر ـ على ما يبدو ـ مقدرة الحيوانات على الشعور ببعض الظواهر الطبيعية قبل وقوعها، كما أن لبعض الناس أيضاً قدرة على التقاط تحذيرات عن أحداث ستقع، وذلك قبل شعور الغالبية العظمى من الناس بكثير، لذا يدخل المستقبل بالنسبة لهؤلاء في عداد الماضي، ذلك لأنهم ـ أي البعض ـ التقطوا الإشارات قبل الأساسية، وهذا بالتحديد ما يسبب لبعضنا نوعاً من الوعكات الصحية أو الانحرافات قبل تغير الطقس بيوم أو يومين، ومثل هؤلاء الناس يسمون عادة ميتيوباتيين".

هنا اضطررت إلى مقاطعة العالم سائلاً: "ـ لكن هذا يحدث بالتحديد حيث يعيش الميتيوباتيون، لهذا لابد من الاستغراب والتساؤل عن الكيفية التي يلتقط فيها هؤلاء انشطار الإشارات في الزمان والفراغ وهم موجودون أصلاً في معمعة الحدث؟".

فأجاب العالم قائلاً: " ـ لقد أثبت منذ زمن أن تغير الطقس مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنشاط الشمسي، فإذا ما احتد هذا النشاط، تكون الإشارة الأساسية عن الحادث عبارة عن ريح شمسية تصل كوكبنا بعد يوم أو يومين من وقوع الحدث، وتتمثل الإشارات قبل الأساسية بتيارات من الفوتونات والنيتروينو التي تصل إلينا بعد ثماني دقائق من وقوع الحدث، وبهذه التيارات يحس الميتوباتيون على ما يبدو، وبالتالي تبدأ أجسامهم تحضر آلياً ومسبقاً لالتقاط الإشارة الرئيسية، فالعواصف الجيومغناطيسية الناتجة عن الحادث تسبب تغيراً في الطقس، و هذا يؤدي بدوره إلى تفاقم بعض الأمراض المزمنة، وإلى رفع نسبة الوفيات، وقد أثبتت الأجهزة الخاصة بالتقاط الإشارات قبل الأساسية صحة الأحاسيس التي يشعر بها الميتيوباتيون عند تأثرهم بتغيرات الطقس.

إذن فبعضنا قادر بالفعل على التقاط العديد من الإشارات قبل الرئيسية، أو السابقة للحدث، وهذا ما يفسر ظاهرة النبوءات. غير أن معظمنا لايميز الإشارات قبل الأساسية الضعيفة والتائهة في معمعة الضجيج المعلوماتي المحيط بنا، ومع ذلك قد يمكننا عندما يضعف التشويش ـ ليلاً على سبيل المثال ـ أن نحس بوقوع حادث ما، ولهذا ليست أحلام النبوءات والأحلام التكهنية سوى ضرب من ضروب الحقيقة".

لقد شدني الحديث مع العالم فعلاً فتابعت طرح الأسئلة عليه، وكان منها السؤال

التالي: " - يقتضي المنطق أنه إذا ما كانت الإشارات قبل الأساسية تسبق الإشارات الرئيسية للحدث الواقع على الشمس بيوم أو يومين، فإن الشعور بالحوادث البعيدة سنوات أو قروناً عنا لايمكن أن تفسر بوقوع جوائح ما على النجوم البعيدة، ومع هذا فإن المتنبؤون والبصارون لم يكتفوا بالتنبؤ بوقوع كوارث طبيعية جيولوجية أو غيرها، بل كثيراً ما تنبؤوا بمصائر وأقدار الناس والإنسانية أيضاً، فهل يعني هذا أن يكون أولئك المتنبؤون والبصارون مبرمجون باتجاه أو في محيط نجوم وكواكب أخرى؟ وهل هذا الأمر معقول؟"

فتفضل العالم مجيباً: " - مما لاشك فيه أن التقلبات الجيولوجية والمناخية تؤثر على مصائر وأقدار الناس أيضاً، لكن التنبؤات حول حوادث وقعت لمجتمع برمته أو لشخصيات محددة تحتاج إلى تفسير آخر، فمعادلات شريد نفر المتوافقة تصف ما يعرف بالإشارات المضادة التي تسبح في نهر الزمان، منطلقة من المستقبل عبر الحاضر وباتجاه الماضي، لذلك سيحصل الناس أو الأجهزة على معلومات عن المستقبل إذا ماالتقطوا هذه الإشارات المضادة.

تعالوا نشرح هذا الأمر على مثال من علم الفيزياء: من المعروف أن لكل جزيئة دقيقة متقاطرتها (انتيبودتها)، فمتقاطرة الالكترون هو البوزيترون، ومتقاطرة البروتون هو الانتيروتون ، ومتقاطرة النيترينو هو الانتينيترينو وهكذا دواليك، لكن السؤال هل يمكن أن تتشكل من هذه المتقاطرات أنتي ذرات أو أنتي عوالم أو أنتي أجسام؟، نظرياً هذا الأمر ممكن غير أن موضوع توازي العوالم لم يثبت حتى اليوم تجريبياً، بل الأصح أن نقول: إن هذا التوازي لم يُكتشف حتى الآن إلا في أسفل مستوى لمدرج القياسات، أي عند الجزئيات الدقيقة فقط، أما في المستويات العليا فلا شيء مثبت، وهذا ما يمكن قوله عن الإشارات المضادة أو الأنتي إشارات، فهذه ربما تتشكل على أساس عمليات أولية دقيقة، لكن يبقى تطور الأشكال المعقدة للمادة باتجاه زمني معكوس أمراً غير مثبت تجريبياً حتى يومنا هذا، ومع هذا فإن الكثير من النبوءاتتتحقق بالفعل، ولكأن القائلين بها قد التقطوا بالفعل معلومات من الأنتي عوالم أو العوالم المضادة، وهذا ما يدفعنا أكثر وأكثر نحو العمل على الإثبات التجريبي لهذا الأمر"

هنا لم يكن بد من طرح السؤال التالي غير اللبق على العالم: " - قد يبدو للقارىء الحذر أنكم تحاولون بواسطة المعادلات دس بعض القواعد العلمية تحت غطاء الإيمان بالخارق وبما وراء الطبيعة، فما رأيكم بهذا؟"

فأجاب العالم قائلاً: " - هذا بعيد جداً عن الصحة، إذ أننا نقوم بعمليات مادية معروفة، والعلماء إنما يحصلون على معلومات مستقبلية بطريقة التحليل والتفكير

المنطقيين، وهذا ما يعرف بالرؤية أو البصيرة العلمية، كما ان الفنانين يرسمون لوحات فنية حول مواضيع مستقبلية، مستخدمين تفكيرهم الإدراكي الحسي، وعلى ما يبدو كانت الشخصيات التاريخية الدينية تتمتع بنوع عالي المستوى من هذه القدرة، كما لاأخفي عليكم أن أيامنا هذه تعرف عدداً غير قليل من المتنبئين وقارئي المستقبل، كالعجوز البلغارية فانفا التي تنبأت بمصائر الكثير من الشخصيات الشهيرة عالمياً".

ومن جديد قاطعت العالم قائلاً: "- إن العجوز فانفا ظاهرة قائمة بحد ذاتها، فمع كونها عمياء تستطيع وصف هيئة وشكل أي إنسان لم تعرفه ولم تره سابقاً ، بل وبإمكانها تحديد اسمه وتشخيص مرضه وقراءة أفكاره، وأنا شخصياً أشك بقدرة فرضيتكم على تفسير عجائبها هذه".

فرد علي العالم بهدوء ووقار قائلاً: "- تعالوا نتساعد ونعمل معاً على ألا نخاف ونجفل من الظواهر الضيقة البحث والدراسة، كما يجفل الشيطان من رائحة البخور، وتعالوا نحاول فهم المشكلة التي شغلت بال العلماء على مدى مئات السنين، أي مشكلة كيفية وماهية ما يراه المتنبؤون، ولهذا لابد أن نعود إلى معادلات شريد نفر إذ يُستخلص منها أن لكل نقطة مشعة طبقات أو غيوماً كمية (كوانتية) تحيط بها، أي مجالات لبتونية مركزة ومختلفة الأقطار، وعلى سطح جلد الإنسان تتوضع مئات النقاط البيولوجية النشيطة، التي يشكل إشعاعها مجموع الطبقات القيمة للجسم البشري، والجسم في الحقيقة ليس الإنسان كله، بل فقط نواته المرئية التي تتوضع حولها توائمه المعلوماتية القدراتية، لذلك عندما يقترب شخصان من بعضهما تتلاقى وتتشابك غيومهما الكمية، التي يمكن استخدامها كقنوات للتبادل الحدسي المعلوماتي، وهذا بالتحديد ما يفسر قدرة بعض الناس على قراءة أفكار وأحاسيس الأخرين، تذكروا، مثلاً مقدار الدقة التي تشعر بها الأم المرضع بحالة رضيعها، إن وضع الأم هذه ورضيعها يشعركم بأنهما بقيا جسداً واحداً بعد الولادة، إذن هذا الأمر سليم في بعض نواحيه، فبالفعل يمكن أن تكون لهما غيوم كمية بعيدةِ مشتركة، وهذا ما يمكن قوله عن العشاق، ومجموعات الناس المتوافقة في آرائها، فهؤلاء تغمرهم أحاسيس مشتركة، وكثيراً ما تراودهم أفكار متشابهة، ويقومون بأعمال متماثلة، ومن هنا يمكن الافتراض بأن أبعد الطبقات الكمية - والتي تسمى أحياناً بالحدودية - مشتركة بين جميع المخلوقات البشرية، وتشكل حقلاً لبتونياً وحيداً للبشرية جمعاء، ولذا لايمكن النظر إلى إحساس المرء بالتواصل والتوحد والتكامل مع جميع البشر، هذا الإحساس الذي يطفو على ممارسي اليوغا، لايمكن النظر إليه كما يُنظر إلى رمز فني أو تقليد، بل يجب النظر إليه كظاهرة فيزيائية صرفة. كما يمكن التكهن بكون ممارسي اليوغا قادرين على إقامة اتصال ما بحقل البشرية اللبتوني

والتقاط المعلومات المختلفة هناك، أي في الحقل اللبتوني، وهذا ما يعرف عند الهنود بالمعرفة المطلقة أو التامة".

ومن جديد لم يكن أمامي بد من مقاطعة العالم متسائلاً: - إذن، وإذا ما كنت قد وُفقت في فهمكم، فإني أستطيع أن أستنتج مقدرة للعجوز فانفا تتمثل في رؤيتها للمجالات الكمية البشرية، وفي تواصلها مع هذه المجالات، وهذا ما يمكنها من التنبوء وقراءة المستقبل، كما أني واثق من أنه لو حصل مثل هذا الأمر في الهند لقالوا: إن عيناً ثالثة قد تفتحت لدى العجوز فانفا، وإن هذه العين ترى وتميز كل شيء، بما في ذلك ما يعرف بهالات النور، التي يقال إنها تظهر حول بعض الناس، لذلك أرجوكم أن تقولوا لي بصراحة رأيكم بهذه الهالات النورانية، وهل هي نفسها التي رسمها الفنانون الأوربيون حول رؤوس القديسين في عصر النهضة؟"

فأجاب العالم باختصار: " - إن هذه الهالات ليست سوى تهيوءات لا رموزاً لشيء ما، بل لها معنى فيزيائياً محضاً، كما أن معادلات شريدنفر تسمح لنا بحساب قياسات هذه الهالات، فعند الرأس مثلاً تكون الطبقة الكمية الأولى أكبر من نواتها بمرتين، وبالمقارنة مع الطبقات الأخرى تعتبر هذه الطبقة أكثر إشباعاً بالقدرة، ولذلك تمكن رؤيتها في ظروف محددة، ولما كان فنانو عصر النهضة كثيري المغالاة في تصوفهم وصيامهم، فإن القدرة الإحساسية الشعورية المتطورة عندهم كثيراً ما كانت تتحرض وتحتد لديهم برؤية بعض من هذه الهالات، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فإن من نسميهم بالقديسين كانوا اناساً كثيري التنسك وشديدي التزهد ، ولذا طالما تمتعوا بطبقات كمية قوية جداً، وهذا ما يجعل من الغريب أن نراهم أو أن يراهم بعضنا، مكللين بهالات نوارنية ليس على اللوحات الفنية فقط، بل وعلى الواقع أيضاً".

وهنا عدت إلى عادتي في مقاطعة العالم الكبير فسألته عن رغبة حقيقية بالاطلاع والمعرفة: " إن الأساطير المختلفة تقول لنا بصراحة أو بنوع من الإيحاء: إن للمتنبئين والبصارين قدرة على الرؤية بعيون مغلقة، كما أن هذه الرؤية لاتقتصر على البشر فقط، بل تمتد لتشمل كائنات ومخلوقات أخرى جامدة ومن مسافات كبيرة جداً، لنأخذ على سبيل المثال النص الهندي الأدبي المحلي الشهير "بحاهاوات - هيتا" : الذي يصف بلسان ناسك وبحديث موجه للملك أدق التفاصيل لمعركة تجري على مسافة هائلة من الناسك والملك، فما رأيكم بهذا الأمر؟".

فتفضل العالم مجيباً: " - يستنتج من معادلات شريدنفر السابقة الذكر أن الطبقات الكمية موجودة حول جميع الأجسام في الطبيعة، حية كانت أم جامدة، ولهذا يكون بمقدور هؤلاء المتنبئين والبصارين الحصول على معلومات هامة جداً عن عناصر وظواهر

العالم المحيط بنا، فعند اللبتونات قدرة على اختراق الأجسام هائلة، كما أن ظروفنا الأرضية لاتشكل أية عوائق في طريقها، لذا يبدو هذا هو التفسير الأرجح لقدرة هؤلاء على اختراق الجدران والغابات وغيرها من العوائق بنظرتهم الفكرية، لكن ميكانيكية بعد البصر أو البصيرة هنا تختلف عما هي عليه حين اختلاط وتعاشر أناس متشابهين أو ذوي قربى، فهنا قد يكون حل لغز هذه الظاهرة كامناً في فكرة تسيولكوفسكي الشهيرة حول الكائنات العاقلة البارزة من المادة الرجراجة، هذه الفكرة التي أثارت في وقتها جدلاً عنيفاً وماتزال، فمن درس أعمال العالم المذكور يؤكد أن فرضية تسيولكوفسكي قد برهنت تجريبياً قدرة بعض الناس الإرادية على إطلاق "توائم" لبتونية معلوماتية قدراتية ، وأن هذا البعض قادر على رؤية "توائم" الآخرين، كما وتمتلك البشرية اليوم أجهزة قادرة على تصوير هذه التهيؤات المادية للأطياف، وبواسطة هذه التوائم أو "المثائل" يمكن الحصول على معلومات عن أحداث تجري على بعد آلاف الكيلومترات، وممارسو اليوغا الهنود طوروا قدراتهم على إطلاق "التوائم" المعلوماتية القدراتية على مدى آلاف السنين، وما البصارون العصريون وقارئوا الكف وربما السحرة إلا كممارسي اليوغا، ويقومون بنفس عملياتهم، والدليل على ذلك تمكن الباحثين الأميركيين والسوفييت من إرسال والتقاط تهيوءات وأطياف فكرية عبر المحيط...".

لكني قاطعت العالم مرة أخرى: " ـ تقول التقارير: إن ما حصل عبر المحيط لم يتعد التقاط مقاطع منعزلة مما أرسله الشخص ـ المحاثة أو بالأصح بثه في إدراك الشخص اللاقط، لذلك ليس من المستبعد أن يكون اللاقط خمن بعض المقاطع مما بث له. ما رأيكم بهذا؟.

فرد العالم شارحاً رأيه: " ـ هذا غير صحيح أبداً لسبب بسيط يكمن في أن التطابقات طالما غلبت احتمالات التخمينات الصدفية، وقد أثبت هذا بالطرق الإحصائية المعروفة كتكرار التجربة وتغيير القائمين عليها وغير ذلك، أما عدم التقاط كامل المعلومات فسببه تنوع تصرفات اللبتونات، فحسب نظريات الفيزياء النيترينية تستطيع اللبتونات الهيجان، كما تقدر على الخمول، وفي حالة خمولها يصبح احتمال تفاعلها مع الدماغ البشري ضعيفاً جداً، أما في حالة هيجانها فإن هذا الاحتمال يتضاعف عدة مرات حسب العالم اخاترين ، ولهذا يستنتج بأن اللاقط يحصل على معلومات صحيحة وغير تخمينية، عندما يلتقط دماغه تياراً من اللبتونات الهائجة، أو بتعبير آخر عندما يصطاد التهيؤات والأطياف الفكرية التي كونها دماغ الشخص "المحاثة" ومن ثم بثها".

لكني، وكما الكثير منكم، يصعب علي تصديق كل ما أسمع، ولذلك سألت العالم أو بالأصح رددت بيني وبين نفسي: ـ إنه من الصعب جداً على القارىء غير

المحنك تصديق مثل هذه الظواهر حتى ولو كان من المهووسين بالعجائب والغرائب...

فقال العالم شارحاً لي الأمر: " - لقد أجريت مثل هذه التجارب كثيراً، وبشكل علني وبحضور مجموعات كبيرة من الناس - الشهود، فمثلاً، عام ١٩٨٤ وخلال جلسة طاولة مستديرة في مبنى مجلة "الطبيعة والإنسان " السوفيتية، نظمت عملية تشخيص لمريض عن بعد راقبها حوالي مائة شخص، فمن مدينة موسكو قام سبعة من أخصائيي التواصل بفحص أحد سكان مدينة فلاديفوستوك الذي كان يغط آنذاك في نوم عميق في مدينته، وهذا يعني أن عملية الفحص تمت من على مسافة تقارب عشرة آلاف كيلومتر، إذن فحص الأخصائيون الشخص ذاك وهم في موسكو، ثم سجلوا ملاحظاتهم أو نتائج فحصهم على أوراق كل على حده، وبعد التجربة مباشرة وضعت الأوراق في مغلفات ثم أغلقت تلك المغلفات بانتظار ورود المعلومات الرسمية من مدينة فلاديفوستوك، التي أخضع فيها المريض السابق الذكر لفحوص طبية دقيقة، ثم أرسلت نتائجها إلى موسكو مرفقة بتقرير خطه المريض نفسه حول وضعه النفسي، وعندما وصلت التقارير من فلاديفوستوك إلى موسكو فتحت المغلفات وقورنت مشاهدات أخصائيي التواصل مع التقارير الطبية، ليجدها جميع القائمين على التجربة متشابهة تماماً فيما يخص الجزء الرئيسي منها، أي ما يخص مرض الشخص المفحوص، كما وبدت مراقبات أخصائيي التواصل أكثر دقة وتفصيلاً من التقارير الطبية الرسمية، وقد كان أكثر المندهشين هو المريض نفسه، إذ قرأ تقارير أخصائيي التواصل - عند قدومه خصيصاً إلى موسكو - عن أمراض ووعكات صحية أصيب بها سابقاً ونسيها اليوم تماماً لأن آثارها وأعراضها قد زالت عنه نهائياً، وقد أثبتت صحة أقوال أخصائيي التواصل شهادات والدي المريض، فكيف عرف خبراء التواصل ذلك؟! لقد أثبتت التجارب اللاحقة صحة فرضية العلماء القائلة بأن للبعض منا قدرة على الحصول على معلومات ما من الإدراك حيث يحتفظ بسجل تام عن الحوادث والوقائع المنسية".

ولأني لم أقتنع بجدوى مثل هذه الطريقة في التشخيص سألت العالم: " - لكن ما الداعي لإجراء تشخيص لمرض أو لأمراض شخص ما عن بعد، في الوقت الذي يوجد فيه الكثير من الأطباء بالقرب منه؟. فأجاب الأستاذ العالم بنوع من الاندهاش من سؤالي: " - إن لهذه التجارب وأمثالها أهمية مبدئية، إذ أنها تبين لنا قدرة المرء على بث وإرسال مثيله أو توأمه اللبتوني في مهمات بعيدة، وكذلك تظهر لنا الإمكانيات العالية لهذا الجاسوس الخفي في التقاط واصطياد المعلومات حول ما يجري على سطح كوكبنا، ولهذا السبب يكون بإمكان القائم على التجربة القيام بالكثير من الأمور، وكذلك معرفة كل ما يجري حوله وبعيداً عنه، دون أن يغادر بيته، وهذا يعني أنه لن يبقى سر قائم

أمامه...

وبعد هذا الجواب الوافي على سؤالي السابق رأيت من واجبي أن أستفسر من محدثي عن نقطة أخرى فطرحت عليه السؤال التالي: "- تقول الأساطير والقصص التي وصلتنا عن الأقدمين بأن التاريخ والبشرية عرفا ما يشبه هذا الذي تتحدثون عنه، فبالفعل طالما صدق الناس المتنبئين والبصارين، بل إن أعظم ملوك وأباطرة وحكام العوالم السابقة، كانوا يستمعون لنصائح هؤلاء ويأخذون بها، لذا ما هو رأيكم بكل هذا،؟ فتفضل الأستاذ مجيباً: "- تعالوا نبدأ بمثال، لقد سبق وخطر ببال أحد علماء الآثار أن هوميروس قد يكون كتب إلياذته الشهيرة، استناداً إلى وقائع وأماكن حقيقية أوشبه حقيقية، لذا أخذ ذلك العالم يزور البقاع بحثاً عن الأماكن الموصوفة في الإلياذة، فكانت النتيجة أن اكتشف طروادة وكشف عنها، فما المانع إذن من تصديق أساطير الأسبقين؟ خاصة وأن أفلاطون وأرسطو طالما أكدا، - مستندين إلى علم من سبقهم - أن الأفكار والأحاسيس، والتي سمياها الايدوسات، ليست سوى أشياء مادية تطير وتسبح في الهواء بالمعنى الحرفي للكلمة.

ولهذا ما علينا سوى امتلاك القدرة على التقاطها، والاستفادة منها، والفرضية اللبتونية الالكترومغناطيسية تقترح تفسيراً علمياً لهذه الظاهرة، ينطلق من احتمال أن يكون بث الأفكار والأحاسيس والعواطف مرتبطاً بالتفاعلات الضعيفة القدرة، لما يُعرف بالانتثار البارد لأشعة بيتا كانتثار فيرمي الذي يحصل في الخلايا العصبية، لكن لسنا الآن بصدد إرهاق القراء بوصف ميكانيكية هذه الظاهرة، ولذا سأكتفي بالحديث عن النتائج العلمية فقط. إذن فقد قال فلاسفة الإغريق بمادية الايدوسات، وبأنها تؤثر على حياة الأحياء والجماد، وفي وقت قريب منا أطلق كارل ماركس فكرة قريبة من رأي أولئك الحكماء حيث قال: " عندما تهيمن الفكرة، وتسيطر على الكتلة، تتحول لامحالة إلى قوة مادية، وإذا ما تذكرنا أن الشركاء في الآراء - حسب الفرضية اللبتونية الالكترومغناطيسية - يشكلون بأفكارهم وأحاسيسهم "ايدوساً" من الميكرولبتونات جماعياً وكبيراً، فإنه يصير من الواضح أن هذا "الايدوس" سيؤثر على كل واحد من هؤلاء الشركاء على حده " وهنا - من جديد - كان لابد من مقاطعة المحدث بسؤال خطر بذهني: "- ألستم تتحدثون هنا عن الروح وعن الله الخالق رغم سعيكم الحثيث للتهرب من استعمال المصطلحات الدينية في الحديث...؟"

فرد علي محدثي بلطافة عهدتها فيه: "- للحق أقول لكم: إني لست متديناً ، ولا متصوفاً بل أنا عالم يسعى لفهم الحقائق العلمية التجريبية ودون أية شذوذ عن نطاق التصورات العلمية، وفرضية "الايدوسات" اللبتونية تطرح بشكل جديد السؤال الأزلي

عن العلاقة بين ما هو مادي وما هو فكري نظري أي روحي، وذلك على أساس تحليل عميق للمعارف العلمية، وللحق أيضاً أقول: أنه من الممكن انطلاقاً من هذه النقاط إعطاء مضمون وجود الإله الخالق تفسيراً مادياً جدلياً، فأعداد المؤمنين الهائلة تبث أفكاراً وأحاسيس ذات نمط واحد، فتشكل هذه الأفكار والأحاسيس "ايدوس" الألوهية اللبتوني، مما يسمح للمرء بفهم هذه الرُّقْيَةَ أو الفيتش على أنها الإله الحقيقي، وهنا يستعبد هذا الإله الشخصية الإنسانية استعباداً تاماً، وقد يكون هذا الأمر وراء ما قاله القدماء: "لاتتخذ لنفسك صنماً، إذ لامحالة ستصير عبداً له" والفرضية اللبتونية الألكترومغناطيسية تتوافق مع رأي فيرباخ الشهير: ليس الإله الذي خلق الإنسان، بل الإنسان كون الإله على هيئته وشاكلته، ومن هنا أيضاً يصير مفهوماً لنا سبب مطالبة رجال الدين، وعلى مدى عصور عديدة بتقديم الأضاحي والقرابين من قبل المؤمنين، فبتقديم القرابين للإله يؤجج المؤمنون لهيب الرقية الآنفة الذكر، ويغمرونها بقدرة وقوة الأفكار والأحاسيس، فيحصل بالنتيجة - الكهنة ورجال الدين على إمكانية التحكم بإدراك الناس، مستخدمين "ايدوس" الألوهية الجماعي، الذي كونه وبثه وخلقه المؤمنون أنفسهم، هذه الرقية اللبتونيةستبقى حية مادام هناك ولوشخصاً واحداًيؤمن بها كإله، أو بكلمات أخرى مادام المؤمنون يقيمون الصلاة ويذرفون الدموع ويحرقون البخور وما إلى ذلك من الطقوس التي ابتكروها لأنفسهم... لكن لن يطول الزمان حتى تظهر أصنام ورقيات جديدة، وتموت القديمة نتيجة المجاعة المعلوماتية القدراتية، وكلي ثقة وإيمان بأنه على مثل هذه العقيدة، هجع في مدفنهم منذ أمد بعيد سكان أولومبيوس."

لقد دار بخلدي عند سماعي لكلمات الأستاذ هذه عدد كبير من الأسئلة، لكن واحداً منها ظهر لي أقوى وأنسب من غيره بكثير بلا تردد: " - قولوا لي من فضلكم ماذا سيحصل إذا ما رُكع للإنسان كما للإله، هل سيبقى "ايدوسه" - أي ايدوس الإنسان - حياً بعد موت جسده؟" فأجاب الأستاذ العالم : " - إن سؤالكم هذا هو أساس وجذور الفلسفة الأغريقية القديمة، ذلك أن الايليين طالما اعتبروا أن "الايدوس" الذاتي الشخصي يبقى على قيد الحياة، مادام واحد من الأحياء يتذكر الميت، ولهذا - بالتحديد كان الايليون يجدُّون في البحث عن المجد (الذي هو الخلود بالنسبة لهم) وذلك في مجالات العلوم والفنون وكذلك في ميادين المعارك، إذن فقد كانوا يبحثون عن تخليد فيزيائي لايدوسهم الذاتي - الشخصي، لكن يبقى هناك فرق بين الآلهة - الرقيات المندثرة، وبين أبطال الإلياذة والأوديسة الحقيقيين،يكمن في أن أولئك الأبطال مازالوا أحياء حتى يومنا بالمعنى المعلوماتي القدراتي".

ومن جديد أقاطع محدثي سائلاً مستفسراً : " - لقد أبحرنا وإياكم، سيدي

الأستاذ، حتى وصلنا إلى التفسير المادي لوجود الإله وخلود الروح، لكن ألن يكون لحديثنا معكم مثل مصير كتاب ليف توليستوي "ماهو إيماني" ذلك الكتاب الذي ذمه ومؤلَفه العلماءُ الماديون ولعنه في نفس الوقت رجال الدين، وطردوا صاحبه من الكنيسة؟"

فأجاب العالم خاتماً حديثه: " - إنه ليسعدني أن أنهي الحديث بكلمة أظن أن الجميع متفق عليها، فزمن الاتهامات العارية والبعيدة عن الحقيقة قد ولى دون رجعة، وصار من المستحيل اليوم مجادلة العالم والباحث دون التزود بزوادة كبيرة من الحقائق المثبته، ولهذا أدعوكم وزملائي والقراء للسعي نحو إقامة اختبارات تجريبية لفرضية اللبتونات الالكترومغناطيسية وغيرها من الفرضيات، التي تحاول إيجاد أجوبة وتفسيرات للظواهر الغريبة التي نشاهد ونعرف، كما أرجو أحر الرجاء أن أكون قد تمكنت من إقناع القراء الكرام بلزومية إجراء مثل هذه الاختبارات".

هكذا إذن أنهي حديثي مع الأستاذ العالم، وبهذا الحديث أنهي بحثي حول العوالم التي في داخلنا، والظواهر المتعلقة بها مفسحاً بذلك المجال لزميلي آ . آ . غوربوفسكي إمتاعكم بظاهرة غريبة أخرى، ربما تكون أمتع وأكثر تسلية من الظواهر التي قدمتها.

القسم الثالث

أو الظاهرة الثالثة

الضيوف الثقلاء
ظاهرة البوليتر جيست بين الأمس واليوم

آ.آ.غوربوفسكي

هاهو القرن العشرون، قرن العلم والتقدم يقترب من نهايته، موحيا للوهلة الأولى أن أمر الوساوس والخرافات قد ولى دون رجعة، وبالأخص في الدول التي يسيطر عليها ويسيرها المنطق العلمي الصرف، لكن وبفجائية غريبة يظهر عفريت هنا وابليس هناك: ، ثم تنصب الأخبار عنهما بمجرى واحد، لتشكل تيارا كبيرا من الأمور غير المعقولة فتارة يصلنا خبر من موسكو وتارة من ايناكييفو، وثالثة من جمعية "كومونارکا" الزراعية، وأحيانا من مدينة كلين وغيرها، وكل هذه الأخبار تتحدث عن ظواهر غريبة وغير معقولة، ذلك أنها تترافق بتطاير للأشياء، وبخرقها لكل قوانين الطبيعة بإشعال تيارات من النار، وبتساقط قصاصات ورق تحمل تهديدات وسبابا لأشخاص ما محددين، وكذلك تترافق بسماع أصوات ونقرات لا مصدر لها، وكل هذه اللامعقولات تصنف اليوم تحت المصطلح الألماني القديم: ظاهرة "البوليترجيست" والبوليتر جيست هذا ليس إلا ضربا من ضروب العفاريت ذات الضجيج والأشباح المشاكسة.

لكن، حتى إن أسلمنا بوجود البوليترجيست، فما الغرابة في الأمر؟ إن الغرابة تكمن في أن تصُّرف البوليتر جيست لا يدخل أبدا ولا يُؤطر ضمن حدود تصوراتنا عن العالم المحيط بنا، والتي لُقّنا إياها منذ الصغر. كما ولا تتوافق تصرفات البوليتر جيست مطلقا مع القوانين الفيزيائية المعروفة، ولا قواعد ثابته تُحدد أسباب ومقدمات ظهور هذا البوليتر جيست أو ذاك. ولكل هذه الأسباب نرى اليوم جدلا حادا يجري حول وجود وعدم وجود البوليتر جيست، خاصة وأن العلماء الذين طالما نفوا وكذبوا وجوده، قد بدؤوا في الفترة الأخيرة البحث في هذه الظاهرة وإيجاد تفسير منطقي لها، وقد شجعهم على ذلك فشل أجهزة الأمن والمباحث الجنائية في البحث في هذه الظاهرة، فهذه الأجهزة كانت قد أخذت على عاتقها هذه المسؤولية منذ زمن بعيد، لكن دون التوصل الى أي شيء مقبول.

أما ما يخصنا ويخصكم فهو محاولة إلقاء نظرة على هذه الظاهرة، والسعي قدر الإمكان نحو تكوين فكرة محددة عنها، لذا تعالوا نبدأ الغوص في بحر البوليترجيست وغرابته.

الشرطة ضد البوليتر جيست

يقوم وصف البوليترجيست عادة على أساس أقوال شهود عيان وجدوا صدفة في منطقة عمله، أي عمل البوليترجيست، أو استنادا إلى أقوال جيران المنطقة أو ضحايا البوليترجيسنت أنفسهم، ولهذا من النادر مصادفة وثيقة رسمية تثبت أو تنفي هذه الظاهرة، غير أن تقرير رئيس قسم شرطة مدينة بوريسوفو (جمهورية بيلوروسيا السوفيتية) التالي، يعتبر شذوذا عن القاعدة، ويمثل وثيقة رسمية مثيرة للفضول، ليس فقط بسبب اعترافها الرسمي بظاهرة البوليترجيست، بل لأنها مبنية على أساس وصف للحادث، قدمه أناس تعرف عنهم دقة المراقبة وحنكة الملاحظة، لقد كتب رئيس القسم في تقريره: "في الساعة التاسعة وخمس دقائق من مساء يوم ١٩٨٨/٦/١٥ ،اتصل المواطن كليما شونكو بالمناوب في قسم شرطة المدينة، مبلغا إياه بأن أمورا غريبة تجري في بيته، فأشياء تتحرك تلقائيا وأخرى تتطاير، فأرسلت إلى عنوان المواطن كليما شونكو دورية مؤلفة من: الرقيب أول الشرطي شولياك والرقيب الشرطي خريستولوبوف وذلك للكشف عن ملابسات الموضوع، وعند وصول الدورية إلى مكان الحادث، استمعت إلى أقوال أصحاب المنزل، التي أكدت حصول أمور غريبة في البيت منذ بعض الزمن، كالتحرك التلقائي والتطاير الذاتي للأشياء المنزلية من أحذية وعدة طبخ وغيرها، كما صرح أصحاب البيت للدورية بأن الفواصم الكهربائية كثيرا ما تتطاير من ساعة الكهرباء متجهة باستقامة، وبزاوية قدرها ١٨٠ درجة لتسقط أخيرا في الشارع خارج البيت، كما وتتساقط لوازم النوم من فوق الأسرة، وتنقلب الطاولة كثيرا رأسا على عقب ذاتيا، وتقع المرآة على الأرض دون أن تنكسر، وحتى النوافذ تفتح تلقائيا فتتطاير عبرها الأدوات المنزلية، لذلك وبعد سماع أقوال أصحاب البيت قام عضوا الدورية بتفتيش المنزل، فوجدا في إحدى عرفه مرآه ملقاة على الأرض ولوازم نوم مبعثرة تحت السرير، لكنهما لم يعثرا على ما يثير الريبة، مما اضطر رئيس الدورية للطلب من جميع الحضور إخلاء المنزل، فما إن همَّ هو أيضا بالخروج حتى لفتت انتباهه مظلة نسائية قابعة على الكرسي بجواره، بينما كان متأكدا أنه رآها للتو في مكان آخر، وبينما كان عنصرا الدورية يتحادثان مع سكان البيت على الشرفة صرخت إحدى الجارات هلعا من شيء ما سقط خلفها، ولم يكن ذلك الشيء سوى نفس المظلة النسائية التي كانت تقبع على الكرسي، وبعد أن هدأت الجارة قليلا أكدت لعنصري الدورية أن المظلة وكزتهابظهرها بضع مرات ومن ثم سقطت خلفها، لكن أحدا لم ير لحظة طيران المظلة أو لحظة سقوطها، فما كان من عنصري الدورية أمام هذا الغموض إلا أن عادا إلى القسم وقدما

تقريرا حول الموضوع إلى المناوب، وهذا ما دفع بالرائد الشرطي ماكاريفيتش رئيس قسم العمليات إلى التوجه إلى مكان الحادث، حيث أخلى البيت من كل الحضور ووقف يتحدث معهم في الشارع، غير أنه لم تمض بضعة دقائق حتى انطفأ النور تلقائيا في المنزل وتطايرت فاصمة كهربائية لتطير مسافة خمسة عشر مترا، ولتصطدم بجدار الشارع وتسقط هناك، فدخل الرائد المنزل مباشرة ليجده خاليا وليتأكد بالفعل من فقدان فاصمة كهربائية من عداد الكهرباء، وللتأكيد على ما يحدث أعطى سكان البيت الرائد مجموعة كبيرة من الفواصم المعطلة والتي سبق أن تطايرت من العداد".

تعالوا ـأعزائي القراء ـ نقطع تفاصيل تقرير الشرطة، ولنسمع إلى ما قالته الجارة فاندا، لأن حديثها سيوضح الأمر أكثر وسيؤكد أن الفواصم والمظلة ليست الوحيدة التي كانت تتطاير تلقائيا، قالت الجارة فاندا: " ـ لم أكن أصدق لو حدثني أحد بما يحدث، لكني رأيت ذلك بأم عيني، وتأكدت من أن الأمور تجري في هذا البيت بشكل غير معقول أبدا، فمثلا بينما كنت أتحدث مرة مع صاحبة البيت في الفسحة المجاورة له إذ بمقلاة مليئة بالزلابيات ومغطاة بصحن تطير من البيت وتسقط على الطريق الاسمنتية القريبة منا، ومن ثم تبعتها طنجرة مليئة بالحساء، وإبريق الشاي الكبير، هذا مع أني كنت للتو رأيت كل هذه الأواني على الغاز في مطبخ البيت، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، إذ أنه لمجرد اقترابنا من باب البيت تطاير من هناك كرسي صغير ثم تبعه رأس من الكرنب وثلاثة ملاعق..."

هكذا إذن، أوان ومظلات وفواصم تتطاير، وكرسي وطاولات تنقلب. فإلى اين المنتهى وما هي نتيجة البحث في كل هذا؟ تعالوا نرجع إلى متابعة تقرير رئيس قسم شرطة مدنية بوريسوفو لنخطو خطوة خطوة نحو الوصول إلى صورة أوضح للأمر. يتابع المقدم الشرطي تقريره قائلا: "في صباح اليوم التالي أوعزت إلى مفتش الحي الرائد الشرطي كارشا كيفيتش بمتابعة القضية، فغادر الرائد المذكور إلى العنوان السابق مصطحباًمعه المحقق الرائد الشرطي موجيكو ومراقب المنطقة النقيب الشرطي نيتشاييف، ففتش هؤلاء البيت وحققوا مع السكان والجيران مدة ساعة ونصف الساعة، دون أن يجدوا ما يثير الريبة، ذلك أن البيت بدا خاليا تماما مما يبعث الشك في النفس، فقرر عناصر التحقيق العودة إلى القسم واتجهوا نحو سياراتهم، التي لم يكادوا يصلوها، حتى طارت فاصمة كهربائية من البيت واصطدمت بحاجز خشبي قريب وسقطت على الطريق، فأرغم هذا الحدث المجموعة على العودة إلى البيت لتتأكد بالفعل من فقدان

إحدى الفواصم، هذا في الوقت الذي أكدت فيه صاحبة البيت أنها لم تسمع شيئا، ولم تر الفاصمة تتطاير من مكانها، وتجاه كل هذه الحوادث الغريبة اضطرت يوم ١٧ حزيران لابلاغ ما حدث لمناوب الإدارة العامة لشرطة العاصمة مينسك ولرئيس اللجنة التنفيذية لمدينة بوريسوفو، فقام في نفس اليوم معاونا رئيس جهاز شرطة المدينة يرافقهما رئيس اللجنة التنفيذية فيها وسكرتير لجنتها الحزبية بزيارة البيت المذكور، لكن أي شيء غير طبيعي لم يحدث خلال وجودهم هناك، مع الرائد الشرطي بافلوفيتش الذي زار المكان في اليوم السابق وأكد لهم رؤيته لفاصمة كهربائية تتطاير رغم أنه ثبتها في مكانها بيديه.

ثم زار المكان في وقت لاحق معاون رئيس ادارة شرطة المدينة الرائد الشرطي كارتاشوف والمحقق الجنائي النقيب شيلوا اللذان شاهدا بأم عينهما كيف طارت فاصمة كهربائية من مكانها وسقطت بالقرب من الرائد المذكور، بل وقد شاهد كل الحضور كيف غُيرت الفاصمة بعد انطلاقها من العداد، ومع كل هذا لم يوجد في البيت أي شيء غريب، كما أن العداد الذي تتطاير منه الفواصم مثبت على ارتفاع مترين ونصف المتر من أرض البيت، مما لا يسمح لأحد بالوصول إليه والتلاعب به دون الوقوف على كرسي أو سلم، وهذا مالم يره أحد تحت أو بالقرب من عداد الكهرباء المشاكس.

وفي ١٨ حزيران قام معاون رئيس الشرطة للأمور السياسية النقيب كرايفكو يرافقه المحقق باكوبوفسكي بزيارة المكان من جديد، وتأكد من تطاير الفواصم من مكانها، كما ووجدا مرآة ملقاة على الأرض وقماشا مبعثرا قرب السرير، رغم خلو البيت آنذاك من سكانه، فساعد الشرطيان السكان بإعادة ترتيب البيت، وخرجا لإلقاء نظرة على حظيرة الخنازير المجاورة، مستمرين في نفس الوقت بمراقبة كل مداخل ونوافذ البيت، وكم كانت دهشتهما كبيرة عندما وجدا- عند عودتهما إلى المنزل - المرآة ملقاة على الأرض من جديد والفراش مبعثرا وملقى قرب السرير كما كان قبل ترتيبه، فاضطر هذا الأمر النقيب كرايفكو للاتصال بأحد اخصائي جامعة بيلوروسيا الحكومية وإعلامه بكل ما يحدث، فوعد هذا ببحث الأمر في أكاديمية العلوم البيلوروسية.

هذا وتمت آخر زيارة للبيت المذكور يوم ٢٠حزيران، وقامت بها رئيسة قسم الدعاية والإعلام في لجنة مدينة مينسك الحزبية خلوخلوفا، يرافقها سكرتير اللجنة الحزبية في بوروسيفو ماخاتك، وقد بقيا حوالي النصف ساعة دون أن يحدث أي شيء غريب"

المقدم الشرطي آ.شيالكو

رئيس قسم شرطة مدنية بوريسوفو

هذا هو إذن النص الحرفي لتقرير رئيس شرطة مدينة بوريسوفو المرفوع إلى السلطات العليا، والذي افتتحنا به حديثنا لنلقي به الضوء على الظاهرة التي سنبحثها.

نحن نعرف أنه من غير الممتع لكم ـأعزائي القراء ـ إغراقكم بالرسميات ونصوص المقابلات، فإننا مضطرون وللأسف الشديد لإرهاقكم قليلا معنا، وذلك من أجل توضيح الصورة أكثر وتعميق فهم الظاهرة، إذن نرجو منكم العفو ومشاركتنا قراءة ما قاله لنا الرائد الشرطي كارتاشوف نائب رئيس قسم شرطة مدينة بوريسوفو، لأن ما قاله سيتم بلا شك نص التقرير الذي أوردناه، يقول الرائد كارتاشوف: ـ قبل أن أتجه والمجموعة إلى البيت المذكور، أعلمت بأن أصحابه قد استغنوا نهائيا عن الفواصم الكهربائية، لأن تطايرها سبب لهم إرباكات مادية ومعنوية، لذا، وفي طريقي اشتريت فاصمتين جديدتين، وثبتهما في العداد لمجرد وصولنا إلى هناك، حيث جرت الأمور بشكل عادي تماما، وفي اليوم التالي زرت البيت من جديد مع النقيب شيلو واطمأننا أن الفاصمتين في مكانهما، لكن المرآة التي قال لنا أصحاب البيت إنها طالما تتساقط كانت بالفعل ملقاة على الآرض، فرفعناها إلى مكانها، وفي غرفة النوم وجدنا الوسادات مبعثرة على الأرض فأعدنا ترتيبها، وانتقلنا إلى الشرفة، حيث تحدثنا مع ربة البيت ونحن نراقب ممره الداخلي كأننا نتوقع حدوث شيء ما، وقد حصل ذلك بالفعل: فبعد بضعة دقائق من وقوفنا على الشرفة رأيت فاصمة كهربائية تطير قرب العداد، ومن ثم تستدير في الهواء بزاوية ٩٠ درجة، وتتجه صوب رأسي فامتلكني شعور قوي بوجوب الهروب من مكاني، لكن شيئا ما ثبتني وجمد حركتي، لأرى بكل وضوح كيف عبرت الفاصمة باب الشرفة وسقطت قرب رجلي.

فالتقطتها فورا على أمل أن أجدها ساخنة ـ لأن سخونتها تفسر تماما عملية تطايرها ـ لكن درجة حرارتها كانت عادية، فهرعت والنقيب نحو العداد لنجد الفاصمة اليمنى مفقودة واليسرى قد حلت مكانها تقريبا، وعند محاولتنا إعادتهما إلى مكانهما عارضتنا ربة البيت واقنعتنا بأنهما لابد ستتطايران من جديد فألقينا بهما جانبا".

إذن فغير سكان البيت والجيران هناك شهود عيان رسميين على حدوث اشياء غريبة بالفعل، فهاهما الرائد والنقيب المذكوران يؤكدان ذلك على لسان الأول منهما، وبما أننا مازلنا بصدد تقرير الشرطة وما يرتبط به، فإنه من المناسب شد انتباهكم إلى النقطة التالية: يقول التقرير: إن الموضوع قد بلغ في نهاية المطاف إلى جامعة مينسك وعن طريق أكاديمية العلوم البيلوروسية، وهذا التسلسل يعتبر ثابتا ونموذجيا نوعا ما، ففي بداية كل حدث تأخذ الشرطة زمام الأمر بيدها، وتحاول إيجاد التفسيرات له بإمكانياتها الخاصة، وحين تقنع بعجزها وعدم أهليتها، تضطر مرغمة لطلب العون من العلم ورجاله، ونحن

لدينا الكثيرمن البراهين على اتباع هذا التسلسل في بحث الظواهر الغريبة نورد لكم واحدا منها.

ماذكرته صحيفة "برزوليتارسكايا برافدا" في عددها الصادر بتاريخ ٢ حزيران عام ١٩٢٧ ففي بيت صغير من حي سابرناياسلوبودكا يحمل الرقم ٢٤ أخذت أشياء غريبة تقع مساء يوم ٢٠ تشرين الثاني لعام ١٩٢٦، فأدوات المطبخ صارت تتطاير من هناك إلى الغرفة المجاورة، حيث كان يدور حديث هادئ بين المستأجرة آندرييفسكايا وضيفتها كيسيسيولوفا، وقد بدأت الأحداث بسقوط عنيف لقرمة من الحطب من الموقد إلى الأرض وتتابعت بتطاير الكاسات والمقالي والممالح وحتى المحبرة، وقد كان أعند الأدوات مطحنة القهوة الصغيرة التي كانت ما إن تعاد إلى مكانها، حتى تنطلق من هناك مرة أخرى لتسقط بين أرجل المرأتين.

والغريب في الأمر أن كل هذه الأحداث سبقت بنقرات غريبة على جدران المطبخ أخافت كثيرا صاحبة البيت، التي طلبت يومها مساعدة ابنها وأصدقائه الذين فتشوا المطبخ بدقة دون أن يجدوا شيئا، مما دفعهم للاستهزاء بخيال الأم العجوز ومن ثم مغادرة البيت للترفيه عن أنفسهم، غير أنه لم يمض غير ثلث ساعة حتى أخذت الأشياء تتطاير مما زاد من حدة خوف المرأة واضطرها للجوء إلى جارها الشرطي المسؤول عن الحي لوفلينسكي، والذي تواجد في بيته آنذاك. فبعد استماعه لأقوال جارته حمل مسدسه واتجه الى بيتها حيث هدأ قليلا من روعها، ومن ثم اتجه إلى المطبخ الذي ما إن وطئ عتبته، حتى رُش من حيث لا يدري برذاذ من الماء النتن، ومن ثم لتطير مطحنة القهوة من مكانها فاضطر صاحبنا لطلب المساعدة من الشرطة، التي أرسلت على الفور دورية إلى المكان، والتي ما إن وصلت إليه ودخلت المطبخ حتى طارت المطحنة من جديد، وبوقاحة أفقدت رئيس الدورية أعصابه، فاستل مسدسه وأطلق النار باتجاه الجدار، وبعد ذلك فتشت الشرطة البيت زاوية زاوية دون نتيجة، ثم مضت فترة قصيرة من الهدوء، أتبعت بموجة جديدة من تطاير الأشياء على مرأى من جميع الحضور، مما تطلب تدخل مفتش الأمن الجنائي نيجدانوف، الذي تفتق ذكاؤه بعد البحث والتمحيص عن نتيجة مفادها أنه لا شيء غريباً في البيت، بل كل ما يجري ليس إلا ضربا من ضروب تصرفات المرأة كيسيسيونوفا الآنفة الذكر، ولهذا السبب اعتقل نيجدانوف المرأة وقادها إلى قسم الأمن الجنائي، ومن ثم أرسلها إلى الإدارة السياسية الحكومية حيث أطلق سراحها هناك، وبعد أن تابع القضية قاضي تحقيق محكمة كييف فترة من الزمن دون نتيجة، حولها إلى معهد الكشف عن الجرائم القضائي العلمي.

ثم تابعت الجريدة وصفها لما حدث مخبرة أنه بعد ذلك كثرت الإشاعات عند السكان المجاورين، وهجرت اندرييفسكايا مدينة كييف، وامتنعت كيسيسيونوفا عن زيارة اندريتشنكو، فصار أن عادت الأمور إلى سابق عهدها في البيت، وتوقفت الأشياء المنزلية عن التطاير. لكن ما إن عادت اندرييفسكايا إلى كييف من جديد في نصف شهر آذار، وترددت بضع مرات إلى البيت حتى عادت الطرقات تسمع ليلا، والأدوات المنزلية تتطاير، مما اضطر المرأة إلى إعلام المعهد السابق الذكر بالحادث، أما نحن، ولقناعتنا بأن هذا المعهد قد توصل لنتائج في بحث هذه الحالة، فإننا توجهنا بالسؤال الى مديره السيد فافوروفسكي ورجوناه التعليق على هذا الموضوع...»

بالطبع لم ينته مقال الجريدة عند هذا الحد، لكننا اضطررنا لقطعه هنا حرصا على عدم الإطالة عليكم، أما الآن فأرجو أن تتذكروا أنه قد مر معنا آنفا اسم مفتش الأمن الجنائي آنذاك نيجدانوف، وأنا لا أطلب منكم هذا عبثا، وبعد مرور أربعين عاما على الحادث، تمكن باحثوا الظواهر الغريبة من إيجاد نيجدانوف ذاك والحصول منه على الحديث التالي: - إني أذكر ذلك تماما، فخريف عام ١٩٢٦ ، مساء أحد أيام السبت اتصل رئيس قسم شرطة الحي بإدارة الشرطة وأعلمها أن أمورا غريبة تحصل في أحد بيوت حيه، وطلب إرسال دورية إلى المكان بأقصى سرعة ممكنه، فكنت في عداد الدورية المرسلة، والتي كان بانتظارها عند ذلك البيت الخشبي حشد كبير من الناس.

إذن وصلنا المكان ودخلنا البيت مباشرة حيث وجدنا رئيس قسم شرطة الحي، فصرح لنا أنه رأى بأم عينه أدوات تتطاير، وعدّد من بين تلك الأدوات أغطية الأسّرة وحطب الموقد وأباريق ومطحنة قهوة، لكننا لم نأخذ كلامه على محمل الجدية، وأخذنا نفتش البيت شبرا شبرا، متوقعين أن نجد خيطا رفيعا أو شريطا رقيقا يربط بأدوات المنزل عمدا ليحركها من مكانها عند اللزوم، لكن لم يُجد بحثنا نفعا، وقد كان في البيت عندما فتشناه كل من صاحبة الشقة وعمرها حوالي الخمسين عاما، وولدها الشاب والمستأجرة زوجة المهندس اندريفسكي وعمرها حوالي الثلاثين عام، وكلذلك صديقة صاحبة البيت وعمرها بحدود الخمسين سنة أقول هذا كله للتوضيح فقط، إذن وبعد أن فتشنا البيت عبثا، وقعت على مرأى منا طاسة نحاسية مليئة بالماء مما أثار القلق في نفوسنا وخوفنا من قيام حشد الناس المتجمع قرب البيت بعمل لا تحمد عاقبته، فعوام الناس يكونون في مثل هذه الظروف مضطربين، وعلى استعداد لتقبل أي حدث على غير حقيقة، خاصة وأننا سمعنا البعض يصرخ بأن ما يحدث في البيت معجزة، وبعضا آخر يقول بأنه شعوذة، فاضطرني هذا إلى اعتقال صديقةصاحبة البيت وجارتها التي تهيأ لي

أن لها دورا فيما يحدث، وبالأخص بعد تحذيرها لي بنوع من التهديد ألا أجلس على طاولة الطعام إذ قد تسقط ثريا السقف على رأسي.

لكن وفي يوم الاثنين اللاحق، تلقيت توبيخا من النائب العام لمدينة كييف بسبب اعتقالي للمرأة، لكني بقيت سعيدا لأن أمور البيت قد هدأت بالفعل بعد اعتقالي لها، وفي نفس اليوم أطلقت سراح الجارة، التي غابت عن المكان مدة من الزمن، بقيت خلالها الأمور عادية جداً في ذلك البيت، لكن ما إن عادت تلك المرأة إلى التردد على البيت بعد غياب حتى عادت الشيطنة إلى هناك، ورجعت الأدوات المنزلية تتطاير وتتساقط ذاتيا، لكنني ابتعدت عن القضية بعد ذلك حيث اشتغل بها البروفيسور فافوروفسكي...".

ألا يبدو لكم - اعزائي القراء - أن حديث مفتش الأمن الجنائي هذا يثير الفضول؟ نعم أظن أنه كذلك، لكن ليس لأنه يعطي وصفا دقيقا لما حدث فقط بل ولأنه يبين لنا المسار الذي كان يتخذه بحث الظواهر الغريبة في روسيا آنذاك، ففي البداية تحاصر الشرطة البيت كما لو أنها تبحث عن مجرم، ثم تفتشه شبرا شبرا، بل وقد تطلق النار على عدو خفي، وفي النهاية تجد لنفسها كبش الفداء فتعتقل واحدا من الحضور كتلك الجارة التعيسة الحظ، والقضية بكاملها تبين لنا كيف أن السرد كان يبغي إعطاء وصف لأخلاقيات ذلك العصر أكثر من التعليق على كنه وصلب الموضوع. لكني سأركز شخصيا على ناحية أخرى - هي الأهم في نظري - وتتمثل في أن الشرطة كانت منذ ستين عاما وما زالت تنقل مثل هذه القضايا إلى الجهات العلمية، بعد أن تتأكد من إفلاسها وإخفاقها في إيجاد حل منطقي لها، وقد كانت الشرطة تسعى لحل مثل هذه الظواهر بوسائلها الخاصة جدا، وَضمن حدود المنطق والواقعية التي تفهمها هي لاغير، وهذان: المنطق والواقعية يؤديان إلى ايجاد أحد ما مذنب، ومن ثم تعرية حقيقته وعقابه، وهذا الأمر لا يجب أن يثير الاستغراب إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الهدف الرئيس للشرطة، والتربية النفسية والاجتماعية التي يتمتع بها رجالها.

ومثل توجه الشرطة الادعائي هذا حاضر في كل قضية تمس ظاهرة البوليترجيست، وفي كل قضية كهذه كان المنكوبون بظاهرة البوليترجيست يلجؤون للشرطة لمساعدتهم في التخلص من الأبالسة والعفاريت فيقعون أنفسهم في دائرة الشك، فيعتقل أحدهم ويسجن أو يعذب تحقيقيا ونفسيا، ومثل هذا حصل مع عائلة روشين القاطنة في قرية نيكيتسكايا في ضواحي مدينة كلين القريبة من موسكو، فشتاء عام ١٩٨٦ - ١٩٨٧ أخذت الفواصم الكهربائية تحترق وتتطاير في بيت تلك العائلة، فتقطع التيار عنه بضع مرات في اليوم، وأدى هذا إلى امتناع العائلة عن استعمال الكهرباء، واكتفائها بنور

الشموع جريا على حياة الأجداد، لكن الأمر لم ينقضِ باستبدال الكهرباء بالشموع، إذ أن عداد الكهرباء كان "يجن" وأحيانا "ينفعل" رغم انقطاع التيار داخل البيت، فيسجل مصروفا في الطاقة ليس بمقدور العائلة دفع ثمنه، حتى أن النائب العام قال مرة معلقا على ما يحدث: "لقد كانت عائلة روشين تدفع في العادة حوالي الروبل ونصف الروبل ثمنا للطاقة الكهربائية المستهلكة خلال شهر واحد، أما في شهر شباط فقد دفعت العائلة ثلاثة وأربعين روبلا وفي كانون ستا وتسعين روبلا، وكل ذلك بسبب "جنون" العداد وفواصمه".

إنكم قد تظنون ـ أعزائي القراء ـ أن الوضع عند عائلة روشين انتهى عند ذلك الحد، لكن لا تستعجلوا فالأمور تفاقمت أكثر من ذلك، فأدوات المنزل صارت تتحرك تلقائيا، والمقالي تتطاير، وكذلك علب السكر وآلة الحلاقة الكهربائية.

ومن ثم راحت الأشياء الثقيلة تتساقط ذاتيا وبشكل فجائي مخيف فهاهنا كرسي يتشقلب، وهناك براد يستلقي على جنبه، وفي المطبخ تتساقط الأجزاء العليا لخزانة الطعام، لتأخذ قسطا من الراحة على الأرض، ولم يبق دون حركة سوى التلفاز الملون الذي لفته العائلة ببطانية، وأبعدته عن البيت خوفا عليهمن الكسر، لقد قال رب الأسرة شاكيا: "ـ نعم إني أخاف أن ينكسر، إن الخوف ينتابنا جميعا، صحيح أن الوضع هادئ نوعا ما الآن، لكن قد تُكرر الحوادث اليوم أو غدا، لقد عشنا فظاعات غير معقولة، فالفواصم الكهربائية تنصهر، وصنبور الماء يحل تلقائيا فتنسال المياه، بالطبع لم نحسب خسائرنا لأن أحدا لم يُبد استعداده لتعويضنا عنها، وليس أمامنا إلا الدعاء لله ألا تعود الحالة التي عشناها..."

ان بوليترجيست عائلة روشين قد استوعب على مايبدو حقيقة كون بيت تلك العائلة صغيرا، فصار يقذف بأدواته الى الشارع، فهاهي علبة للسكر تنطلق من الغرفة لتعبر المطبخ وتكسر الزجاج ولتسقط في الشارع، وهذه مطرقة تتبعها بنفس المسار، فاضطرت العائلة لطلب العون من الشرطة التي استمع مناوبها الى حديث ربة الاسرة ثم انفجر ضاحكا، وربما كان قد استمر في الضحك يوما كاملا لو لم تصرخ المرأة في وجهه: "إن الأمر مضحك لكم، أما عندنا فإن صاعقة من الجنون تتلاعب بالبيت"، ولما تأكد المناوب جدية حديثها أرسل دورية الى بيتها مدججة بالسلاح، على آليات كان يوحي منظرها العام بأن الأمر يتعلق بحرب أو بإلقاء القبض على بعض زعماء المافيا الدولية، وبمجرد وصول الدورية بدأت عملها المعتاد، ففتشت البيت بدقة من عليته الى قبوه، وهذا بالطبع أمر عادي عند رجال الشرطة، ذلك انهم لم يكونوا يبحثون عن البوليترجيست الذي ارهق السكان بإزعاجاته، بل كانوا يحاولون إيجاد جهاز تقطير المشروبات الروحية

الممنوع للسكان، فلو وجدوا ذلك الجهاز لاستطاعوا تفسير كل ما يحدث في البيت على أكمل وجه، ذلك أن وجود الجهاز يعني تعاطي سكان البيت للكحوليات، وهذا يؤدي بهم بالطبع للسكر وفقدان العقل، مما يسمح لهم بتصور البراد يرقص مثلا على انغام البالالايكا (آلة موسيقية روسية ـ م. المترجم)، وما دام الأمر هكذا فإنه من الواجب معاقبة سكان البيت وسجنهم، كيلا يعودوا الى اقتناء جهاز تقطير من جديد.

لكن الحظ عاكس رجال الشرطة هذه المرة، فالبيت كان خاليا من الساموغون (مادة كحولية قوية كالعرق عندنا دون إضافة مادة اليانسون. تستخلص من السكر أو الفواكه أو الكراميل وكذلك من مواد أخرى بطريقة التخمير ومن التقطير ـ م ـ المترجم) ومن جهاز تقطيره، لكن المفتش ريدكين، الذي كلف بالبت في القضية عقابا له ـ على ما يبدو ـ لذنب اقترفه، لم يفقد الأمل في إيجاد جهاز للتقطير وكذلك الساموغون، ولذلك راح يحقق مع الجيران وأبناء القرية، باحثاًعن أحد ما حاقد على العائلة، ليقر له هذا بتعاطي العائلة للكحوليات وبوجود الساموغون وجهاز التقطير لديها، غير أن المحقق اضطر ـ مع أسفه الشديد ـ أن يعترف في تقريره ـ وقلبه يتلوى غضبا ـ بأن عائلة روشين لم يعرف عنها قط الفساد وتعاطي المشروبات، غير ان ورقة رابحة أخيرة بقيت لديه، إنها حفيد العائلة اليوشا (اسم التصغير أو التحبب من ألكسي) ذو الاثني عشر ربيعا، فقد يكون اليوشا هو من يقوم بهذه الشيطنات الخبيثة، وكما عند الشرطة فانه لاداعي هنا لبراهين مثبته ذلك، لأنه يكفي أن يعترف الصبي بقيامه بما يحدث حتى يوضع كل شيء في مكانه الطبيعي، وللحصول على مثل هذا الاعتراف يجب فقط مساعدة الصبي في ذلك، والشرح له بأن الاعتراف الطوعي سيؤخذ بعين الاعتبار وسيلغي عنه العقوبة، ولقد كان المحقق يعرف ـ بفضل خدمة سنوات عديدة في سلك الشرطة ـ أن أتم وأفضل الاعترافات تنظم عادة في أقسام الشرطة، فالوضع هناك يوجه المرء ويدفع به نحو "الصراحة" في الحديث، لكن قوى شريرة قد تدخلت لغير صالح المحقق على ما يبدو، فالعفريت المصطنع كان يعاند ويكابر وينفي قيامه بأي مما يحدث عند عائلة روشين، وذلك رغم الحجز عليه في غرفة الأحداث في قسم الشرطة، وابتزاز المحقق بوسائل لا أقبح، كأن يقول له ـ مثلا ـ أنت ولد ذكي ودراستك ممتازة، لهذا لابد أن تفهم أنه ليس لأحد غيرك القيام، بمثل هذه التصرفات، أو أن يقول له: حسنا، لنفترض أنك لست الفاعل، فمن يكون اذن؟ هل يكون والدك او جدك هو الفاعل؟ إن رفضك الاعتراف سيجعل امر اتهام احدهما حتميا، مع أنهما رجلان محترمان، ولا أظن أنك ترغب ان يقول الناس عنهما بأنهما يتأبلسان ويتشيطنان ويقذفان الأدوات المنزلية، ومع كل أساليب المحقق العادية جداً بالنسبة للشرطة بقي الصبي على عناده في رفض الاعتراف،

ولقي سلاحه الوحيد في الرد على المحقق هو دموع غزيرة تنهمر على خديه والم فظيع في نفسه، وفي لحظة العناد تلك وعندما أفلست الشرطة خطر لأحد عناصرها اللجوء إلى الجهات العلمية لحل المعضلة، فالعلماء أناس ذوو فضول شديد، يمكن إشغالهم بمثل هذه القضية خاصة وأن الشرطة اقتنعت تماما بأنه لا وجود هنا لا للسكر ولا للعربدة أو الفساد، وهذا يعني أن المسألة ليست من اختصاصها، نعم لقد خطرت هذه الفكرة ببال مسؤول ما في الشرطة، فأخذت تبحث مدة شهر كامل عن علماء قادرين على البت بمثل هذه الامور، وحين وجدتهم في أكاديمية العلوم واتصلت بهذه الاكاديمية شارحة الوضع فتعالى على الطرف الآخر لخط الهاتف ضحك كذاك الذي تقبلت به الشرطة بلاغ المرأة عند طلبها العون من رجال الأمن، بل تعذر على موظفي الاكاديمية تسميه عالم أو علماء محددين وقادرين على دراسة هذه الظاهرة، وذلك لأن العلماء يشتغلون في هذا الحقل من الظواهر بشكل سري، خوفا من استهزاء زملائهم ورؤسائهم بهم، وقد يكون الأمر على رأي الدكتور في العلوم البيولوجية البروفيسور غورتوفي: " ـ إن الإدراك العلمي غير مستعد اليوم للبت بهذا النوع من الظواهر، ففي مثل هذه الحالة يطفو على السطح ضرب من التفكير الذي لا يتقبل أية تفسيرات غير معهودة، لذلك لن يتعدى الأمر كونه عمل فاسد أو مجنون، كما يخاف الكثير من العلماء مساس مثل هذه القضايا، تخوفا من أن يقلل هذا من هيبتهم العلمية". لكن لنعد إلى الشرطة: فحقيقة كونها ـ عند عملها بمثل هذه الظواهر توجه كل طاقاتها وامكانياتها نحو الكشف عن شرير ما وراء ما يحدث ـ لا تفسر بعادتها المهنية فقط، فالأمر يبدو كأن البوليترجيست نفسه يدفعها نحو ذلك، بالطبع قد يكون هذا صدفة، وقد يحمل مغزى محددا، لكن هناك دائما على مسرح حدوث الظاهرة يوجد "حامل" أو "ناقل" لأثرها ومفعولها، وكثيرا ما يكون هذا الحامل في عمر المراهقين، ذلك أن أغلب الظواهر الغريبة تظهر للعيان بحضور مراهق ما، وما إن يغيب هذا المراهق عن مسرح الحدث حتى يضعف هذا الحدث، أو ينعدم نهائيا، لذلك ليس من شدائد الغرائب أن تلاحظ عقول المحققين المحترفين هذه العلاقة بين الظاهرة وبين الوجود الدائم للمراهق، ولنفس السبب أيضا تقل الغرابة في السعي الدائم لإيجاد تفسير جنائي للحدث، لكن هذا السعي مرتبط دوما بكفاءة ودرجة احتراف المحقق،ولذا لا يبقى أمامنا سوى الأسف الشديد إذا ما ظهرت هذه الكفاءة ودرجة الاحتراف جد متواضعتين، كما أنه يبقى الصراع ضد عدو مادي محدد مرئي أسهل بكثير من الصراع ضد بوليترجيست خفي، ولذا يسعى المحققون جاهدين إلى خلق هذا العدو المادي وتكوينه، وقد لاحظتم على الغالب أن هذا ما حصل مع الصبي اليوشا، الذي أضحى هدفا للتحقيق وللجناية مكان البوليترجيست الخفي،

وبمثل هذه الخطة وعلى هذه الشاكلة تطورت قضية بوليترجيست مدينة ايناكييف (جمهورية اوكرانيا) شتاء عام ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ .

فتعالوا نطلع سوية على هذه القضية:

ـ فهذه المرة كانت ضحية البوليتر جيسبت عائلة تعيش في شقة من بناء متعدد الطوابق، وقد بدأت القصة بظهور فتحة في زجاج إحدى النوافذ مستديرة منصهرة المحيط، وبحجم قطعة النقود من فئة العشرة قروش السورية، ثم تكررت بعد ذلك الأمور المعهودة لمثل هذه الحالات كتطاير الأشياء وتساقط قطع الموبيليا وغير ذلك، لكن بوليترجيست اينا كييف تميز عن غيره بعدد غير قليل من الحرائق، التي كانت تندلع تلقائيا، وبشكل فجائي ودوما بحضور الصبي المراهق ساشا (الكسندر ـ م. المترجم) ذي الثلاثة عشر ربيعا، فعلى مرأى من الجميع، ودون أية مقدمات أو مسببات، احترقت الكتب والسجادات والثياب بما فيها بنطال جينز محبب لساشا، لكن تعالوا نستمع لما قالته والدة الصبي، مدرسة اللغة الروسية واصفة ماكان يجري في بيتها: "ـ إن مسًا قد أصاب عقلي وأخل به حين وضعت شراشف الاسُرة في الغسالة بقصد غسلها، فاندلعت فيها النار واحترق كل شيء في الشقة تقريبا، واليوم لا تفارقني الدموع، فقد عشنا حالة من الخوف مريعة، وصرنا إذا غفوت يبقى زوجي صاحيا، وإن نام بقيت صاحية، إذ أننا نخشى أن نحترق ونحن نيام، ويحترق البناء باكمله، لا تظنوا أني أبالغ فقد حضرت إلى هنا سيارات الإطفاء تسع مرات، كما اندلعت بضع حرائق بحضور رجال الإطفاء أنفسهم وكذلك بحضور رجال الشرطة، وفي إحدى المرات شبت النار في الحمام ورأى كل الحضور لهيباً نارياً بقطر حوالي نصف متر يقتحم جدار الحمام ليلتهمه، وعندما انطفأت النار فجأة وذاتيا كما شبت، تأكد الحضور جميعا من أن درجة حرارة صنبور الماء في الحمام لم ترتفع مطلقا، وبقي سليما الدهان البلاستيكي للجدار الذي هاجمته النار، لقد بلغ بنا الأمر مبلغا اضطررنا معه الى حشر كل ما تبقى لدينا في صناديق، ووضعها في بهو البناء خوفا من أن يصيبه الأذى. ثم قررنا الانتقال إلى بيت الجدة للسكن هناك مؤقتا".

بما أن الجدة صارت شاهدة عيان وجزءً مما حدث، تعالوا نستمع إلى ما قالته:

"ـ ذلك اليوم، يوم قرروا الانتقال إلى بيتي، مسحت أرضية البيت وفرشت الخرقة المبللة بالماء قرب الحائط كي تنشف، لكني ما لبثت أن رأيت بأم عيني كيف أخذت الخرقة الزهرية اللون تسود وأخذ دخان كثيف ينبعث منها".

أما جار العائلة الذي عرفها منذ سنين فقد قال: "ـ لا أستطيع تصديق ما حدث، ولا أظن أحدا يستطيع تصديقه، ولو لم أكن على معرفة تامة بهذه العائلة لظننت أنها

تقوم بهذه الأعمال الشيطانية عمدا من آجل الحصول علىتأمين مالي جيد، لكني أعرف تماما أنه لاشيء لديهم مؤمن عليه، وأنهم من أنزه من عرفت ومن رأيت، فنحن وإياهم نعيش جيرانا منذ نيف وثلاثين عاما، وأنا أعرفهم كما أعرف نفسي، لكني لا أنكر أن الكل يعتقد بأن للصبي دورا فيما يحدث".

إذن الصبي هو المذنب، وهذا ـ بالتحديد ـ ما تسعى إليه الشرطة المحلية، التي اقامت دعوى جنائية على أولئك الذين استغاثوا بها طالبين المساعدة، تعالوا نقرأ معا ما قاله المقدم الشرطي تشيرنوف رئيس قسم شرطة المدينة: " ـ إن إدارتنا لا تؤمن ولا يمكن أن تؤمن بما يرتبط بالدين أو التصوف، ونحن نبحث دائما عن المسببات والحقائق والبراهين، هذا عدا عن كون قضية الصبي ساشا قد أعطيت لأقدر عنصرين عندنا: النقيب كوردوف والملازم أول سكورات، وبما أن رفيقينا قد وعيا تماما للفضول الكبير الذي تولده هذه القضية عند جموع الناس، فإنهما اشتغلا بها بكامل الدقة والعناية، فحققا مع العديد من شهود العيان، وجمعا الكثير من البراهين المادية، ورغم أنهما قد حصلا على الكثير الكثير، فإن الأهم في الموضوع لم يتحقق، إني أقصد هنا اعتراف المريض نفسيا، الذي أشعل كل تلك الحرائق عن سابق عمد وتصميم، فالاعتراف هذا لم نحصل عليه، ولهذا تبقى مهمتنا اليوم تحديد شخصية هذا المريض، وأنا على ثقة أننا سننجز هذه المهمة في القريب العاجل، أما لماذا في القريب العاجل وليس اليوم، فإن ذلك أننا نملك متهما واحدا وهذا لا يكفي".

لاحظوا معي ـ أعزائي القراء ـ أن المسؤول الشرطي لم يقل عبثا بأن ما يهمه في الأساس هو اعتراف المتهم ليس إلا، فهو قد نطق بقناعته المطلقة، ولم يكن لديه سبب يرغمه على إحاطة هذه القناعة بالسرية، وبدورنا يجب ألا نستغرب مثل هذا التصرف لأننا نعرف أن تجربة الإرهاب الستاليني طالما اتخذت من اعترافات المتهمين براهين ثابته على صحة الاتهام الموجه إليهم، رغم كون الاعترافات قد استخلصت بطرق استبزازية أحيانا واستفزازية أحيانا أخرى، والمؤسف أكثر في الأمر هو أنه رغم انتقاد ذلك النهج الستاليني وما زال ينتقد اليوم من أعلى المنابر وعلى صفحات الصحف، فإنه ـ أي النهج الستاليني ـ مازال يداعب وعي وإدراك الجهاز الحكومي، وخاصة منه جهازي الأمن والشرطة.

نعم ما زالت التحقيقات في مثل هذه القضايا تجري على نفس الشاكلة التي كانت عليها منذ سبعين عاما ونيف، وأكبر دليل على ذلك هو السعي الجاد لمقدم الشرطة نحو إرغام ساشا على الاعتراف بذنب لم يقترفه، وذلك في قضية مدينة ايناكييف، وللحق نقول: إن والدة الصبي المدرسة قد ساعدت ولدها كثيرا في تجنب إزعاجات رجال

الشرطة الذين تغاضوا عن المسبب الحقيقي للقضية وجعلوا ولدها شغلهم الشاغل، حتى أن الأمر بلغ بها مبلغا صرخت معه ذات مرة في وجه المحققين: " ـ لقد فهمت منذ البداية بأنكم ستلقون اللوم على ولدي، لأن عقولكم هكذا ربيت وليس بمقدورها استيعاب أكثر مما استوعبت. إني لن أسمح لكم بالتحقيق مرة أخرى مع ولدي، ولتتصرفوا كما يحلوا لكم".

لكن الشرطة لم تعر كلام المرأة أي اهتمام. وهذا ما كان متوقعا بالأصل، خاصة وأنها إذا ما رغبت بإيجاد برهان لحدث ما أودليل على قضية، فإنها تعرف كيف تقوم بذلك، وإمكانياتها في هذا المجال كبيرة دون شك، والدليل على كل ماقلناه، هو ما قام به المقدم الشرطي بعد صراخ المرأة على محققيه، فقد جمع ذاك المقدم بعضا من الناس الذين سمعوا بالقضية في مكتبه، ومن ثم وعلى مرأى من الجميع، بلل خرقة بمادة كيميائية، ووضعها في نفاضة الدخان فاحترقت للتو، فنظر رئيس قسم الأمن الداخلي إلى الحضور نظرة المنتصر، وشرح لهم بعد ذلك بسذاجة لا يحسد عليها أنه حصل على هذه المادة الكيميائية من معهد مدينة دونيتسك للفيزياء والكيمياء العضوية، أما بالنسبة لنا فإني لا أظن أن أحدا منا يعتقد بضرورة توجه المقدم الشرطي إلى مثل هذه الجهة العلمية العليا بحثا عن الحل فكل من درس منا ولو مبادئ الكيمياء يعرف تماما هذه المادة وخواصها.

على كل حال فقد أنهيت قضية حرائق مدينة أينا كييف ـ بعد أن شغلت جزأين من محاضر الشرطة ـ بتلك التجربة "المقنعة جداً" التي وضعت نقطة الختام للقضية. هذا وغير ذلك مما يماثله يجعلنا نفكر في الكثير من الأحيان بأن الجهل وقلة المعرفة كثيرا ما يكونا أفضل من العلم وكثرة الاطلاع، فلو عرفت شرطة اينا كييف ـ مثلا ـ أن ظاهرة البوليترجيست الناري ليست نادرة أبدا، لكان من الصعب جدا عليها تفسيرها بمثل ما فسرتها به، ولكانت وقعت إذن في الطامة الكبرى، لكن ولله الحمد لم تكن الشرطة هي الوحيدة التي اشتغلت بمثل هذه الظواهر، بل كثيرا ما كان العلماء أيضا يبحثونها محاولين تأطيرها ضمن المجالات والمعارف العلمية المعروفة، فما الذي قاله العلماء يا ترى؟.

العلم ضد البوليترجيست

لقد تبين في الفترة الأخيرة أن كثيرا من العلماء والباحثين يشتغلون ومنذ سنوات عديدة بمشكلة البوليتر جيست، وتمتد خارطة علمهم من بحر البلطيق شمالا وحتى

القفقاز جنوبا، ومن لينينغراد وحتى نوفوسيبيرسك، ولهم - أي العلماء - مجالات عمل واختصاصات مختلفة ومحددة، وذلك لأنه ليس بالإمكان اتباع هذه الظاهرة لصف معين دون غيره، كما أن توزع الباحثين المهني والجغرافي يعطي صورة واضحة عن تنوع الأشكال والحالات، التي تتمثل وتتجسد فيها هذه الظاهرة وكذلك إمكانية بروزها إلى السطح فجأة وفي أية نقطة على سطح الأرض، فالبوليترجيست لا يعرف حدودا بين قرية ومدينة، ولا يميز أية عوائق أخرى، بعد هذه المقدمة لابد لنا وقبل سبر أعماق العلماء من أن نعود قليلا إلى الوراء، لنذكر بما قاله أحد شهود عيان ظاهرة أينا كييف، ذاك هو سكرتير الخلية الحزبية في المنجم الذي يعمل به والد الصبي ساشا، لقد قال السكرتير معلقا على الحوادث التي كانت تجري: " - ليست الحرائق وحدها التي رافقت البوليترجيست ، فكثيرا ما انفجرت المصابيح الكهربائية في الشقة، وبما في ذلك تلك التي لم يكن التيار يصلها ، كما رأيت بأم عيني كيف انفجرت زجاجة خل مفتوحة فتسببت بكسر زجاج النافذة، ومرة طارت فردة حذائي الذي خلعته قرب الباب، لتعبر الممر كله بما في ذلك نافذة المطبخ، ولتحط في الشارع المجاور، وكثيرا مارأيت أيضا تراقص الخزانة، وانقلاب الغسالة الكهربائية رأسا على عقب، ومع ذلك كله فإن الجهات الرسمية التي عملت بالقضية لم تأخذ ما يحدث على محمل من الجد، وطالما رأت وراء ذلك متهما خفيا وهدفا مجهولا، أما أنا فأعتقد إن أقل باحث علمي أكثر قدرة على حل هذه المعضلة بألف مرة من أي مسؤول كبير".

إن الحديث الصريح يدفعنا من جديد إلى التساؤل عن إجابة العلماء عن ظاهرة البوليترجيست، ولهذا الغرض توجهنا طالبين العون من الأستاذ فيكتور ايساكوف رئيس مخبر المشاكل النفسية، التابع لقسم المشاكل النظرية التابع بدوره لأكاديمية العلوم، فقال الأستاذ ايساكوف: تتميز ظاهرة البوليترجيست بغوص شخص ما أو مجموعة من الناس في أعماق حالة فيزيائية نفسية خاصة، وتشبه نوعا ما ما يعرف بالتنويم المغناطيسي الذاتي، ومن أجل الغوص في أعماق هذه الحالة لابد من توفر الشروط الخاصة الجيوفيزيائية والكوزموفيزيائية (الفيزيائية الكونية) والاجتماعية، القادرة على اقناع المرء بالقيام بأعمال مختلفة دون أن يدرك ما يقوم به، ولكنه مع ذلك يقوم بذلك بنظام دقيق جدا، ففي مثل هذه الحالة تحض المحرضات الخارجية لشخص على شيء ما، فيصنع دماغه بشكل آلي برنامجا وسيناريو للتصرف وطريقة التنفيذ، وهذا يؤهل ذلك المرء لتنفيذ العمل المطلوب دون وعي، وبقدرات هائلة لا تصدق أحيانا، كأن يقلب المرء - مثلا - شيئا ثقيلا جدا، أو أن يقذفه بسرعة هائلة لا يستطيع تحقيقها في الظروف العادية، والشيء الأميز في الأمر أن المرء يقوم بالعمل المطلوب منه آنيا، وأنه يخرج بنفس الآنية

من حالة التنويم المغناطيسي التي هو فيها، فتصيبه الدهشة بالفعل مما حدث، ولا يفهم أبدا أنه هو بالتحديد من قام بالعمل..."

أما الدكتور اي. اندريانكين، مدير قسم المشاكل النظرية، ففصل هذه الفرضية قائلا: "- إذا ما كلف المرء بمهمة ما، فيكون على دماغه تنفيذها والقيام بذلك على أمثل وجه، وهذا ما يدعوه - أي الدماغ - إلى وضع اللوغاريتم المناسب لتنفيذها، ويتم هذا كله ضمن نظام يعرف بنظام البواعث أو بالنظام النبضي، ولهذا النظام تأثير هائل لا يمنعنا من القول بأنه من الصعب جدا شرح الحرائق".

إن حديث الدكتور اندريانكين جعلني أنكر بأنه قد أبدى تواضعا زائدا عن اللزوم، ذلك أن مسار الشرح هذا يسمح - برأيي - بتفسير ليس حرائق البوليترجيست فقط بل والكثير من الحالات الأخرى، لذلك، تعالوا نوضح الصورة، نستمع إلى تفسير لظاهرة الحرائق الذاتية النشوب، وضعه رئيس مختبر الأبحاث الفيزيائية التقنية والراديولوجية، التابع لمعهد علم الصحة في أكاديمية العلوم الطبية، فقد قال البروفيسور ام. دميتريف: "- نحن نعترف بأن سبب تلك الحرائق هي الصاعقة الكروية المتناثرة، والتي يعتبرها الكثيرون نتيجة للصاعقة الخطية الطولية، التي تلاحظ خلال العواصف، لكننا نؤكد في نفس الوقت أنه لا يوجد أية علاقة بين الكروية والصواعق الطولية، وما الصواعق الكروية إلا جلطة متخثرة من بعض المواد، التي تتكاثف من الهواء الجوي، هذا عدا عن تشكل بعض الصواعق السوداء أحياناً، والتي يصعب رؤيتها رغم أن البعض استطاع ذلك، واستطاع بعض آخر التقاط صور لها، كما أنه ليس حتميا أن تكون الصاعقة الكروية كهربائية بشكل تام، فالمادة التي تتشكل منها قد لا تحمل شحنة كهربائية قوية، وفي مثل هذه الحالة تحديداً يزداد تأثير الصاعقة المنتشرة والتي تتحول الى غاز، وهذه الصواعق قادرة على الاحتفاظ بهذا الوضع فترة طويلة، حين يحصل الامتزاج (الاندماج السطحي)، أي تشبع المادة المحيطة، تنشب الحرائق، كما أن لهذه الصواعق الكروية قدرة انفجار كبيرة، وتستطيع حتى تحريك الأشياء، مما يوحي أنها تتطاير وفي مخبرنا الذي يدرس العمليات الفيزيائية في الجو المحيط وبما في ذلك طبيعة الصواعق، شاهد كثيراً من حالات تشكلها وظهورها، ولهذا لا نرى في حادثة مدينة اينا كييف أي شيء خارق فسبب تلك الحوادث مادي بحت". اعذروني إذا قطعت حديث البروفيسور ووضعت خطاً تحت جملة قالها، فهذه الجملة ربما تحمل مفتاح الحل لكل مثيلات هذه الظاهرة، وكذلك تسمح بالتوصل لنتائج محددة، وهنا لابد من التذكير بما افتتح به رئيس قسم شرطة مدينة اينا كييف حديثه: "- إن ادارتنا لا تؤمن ولا يمكن أن تؤمن بما يرتبط بالدين والتصوف"، وكذلك سامحوني إذ أذكركم بجملة قالها سكرتير الخلية الحزبية في

المنجم الذي عمل فيه والد الصبي ساشا، (وهذه الجملة لم أذكرها ضمن حديثه، بل تعمدت إيرادها هنا تحديدا)، فقد قال السكرتير في نهاية حديثه: " ـ إن ما يحدث ليس إلا ظاهرة طبيعية". وهذه الايديولوجية ليست الوحيدة في مجالها، فالمحقق استند عند حديثه عن ضرورة دراسة ظاهرة البوليتر جيست إلى أن غياب التفسير المادي لهذه الظاهرةومثيلاتها، يقلل من هيبة العلم ويترك المجال مفتوحا أمام الشكوك وأمام التصوف والمتاهات الايديولوجية متاهات الإيمان بالغيب، وكل ما ذكرناكم به يقول عمليا: إنه مهما كانت الحقيقة فإن المطلوب التوصل إلى تفسير مادي للأمور، أي تفسير يقوم على أساس نظام معطى ومحدد سابقا.

لكن تعالوا نكن واضحين مع أنفسنا، ونقول: إن مجموعة العقائد والمبادئ التي تجذرت وتشعبت في وعي الانسان، تشكل بمجموعها العالم الذي يعيش فيه ولا يمكنه الاستمرار بدونه ولهذا، إذا حصل ما يهدد بتخريبه (اي العالم) فإن ردة الفعل المنطقية لإدراك المرء تتجه نحو الدفاع عن هذا العالم البدائي، كما يدافع أي منا عن بيته الذي يعيش فيه إذا ما هدده شيء ما، ألا توافقوني هذا الرأي؟ اظنكم مقتنعين جميعا بصحة كلامي، أما هدف هذا التحديد المسبق للأمور، والذي ينطوي تحت ما ذكرناكم به فواضح للعيان، فهو يسعى نحو سيطرة الاسترخاء والضعف العقلي الإدراكي على تصرفنا، وقد سبق ورأينا أمثلة عن هذا، ويمكننا إيراد الكثير منها لشديد الأسف. فمثلا، تعالوا نتذكر أنه عندما عجزت الشرطة عن إرغام الصبي اليوشا على الاعتراف الطوعي بادر المحقق إلى دعوة مجموعة من العلماء للتدخل في الأمر، فما الذي قاله أولئك العلماء؟ وما هو التفسير الذي أعطوه لما كان يجري في بيت عائلة روشين؟.

لقد فسر الجيوفيزيائيون ذلك، وبكل ثقة، بانهيارات تحت الارض وتشكل نوع من الفراغ هناك مما أدى إلى تزحزح وهبوط التربة، غير أنه من الواجب أن نسأل: إذا ما كان الأمر كما يقول الجيوفيزيائيون فلماذا يترافق ذلك بتطاير الأشياء في الهواء، وكذلك بتساقط متكرر لأثاث المنزل؟ كما أنه لو كان الأمر كذلك، فإنه لابد لهذه الميكروزلازل من أن تخلف آثارا ودمارا أو تشققات على الجدران في أحسن الأحوال، لكن هذا لم يلاحظ أبدا، ومع ذلك فإن الجيوفيزيائيين بقوا على عنادهم مرددين: " ـ إن ما يميز الخشب عن الحجر هو أن الأول شديد الامتصاص للاهتزازات"

أما علماء معهد المغنطة الأرضية وطبقات الايونات وانتشار موجات الراديو، التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية، فقد ذكرونا متفضلين، وردا على نفس السؤال السابق بأننا نعيش جميعا في عالم ضعيف التحصين ضد النشاطات الشمسية والعواصف المغناطيسية، وبأن هذه العواصف أو مثلها قد هب بالفعل قبل وفي نفس وقت تطاير

الفواصم الكهربائية وتساقط أثاث المنزل، لهذا لا داعي للتساؤل عن سبب كل ما حدث، فالأمور واضحة جدا بالنسبة لعلماء المعهد الآنف الذكر كما هي واضحة وقابلة للتفسير عند علماء الصوتيات أيضا، فهؤلاء أحضروا إلى البيت جهازا، ثم عيروه وثبتوه كي يلتقط التأثيرات الصوتية التي تتشكل في أنابيب التدفئة، غير أن الجهاز ـ ولشديد أسف علماء الصوتيات ـ لم يلتقط أية تأثيرات صوتية، مما اضطرهم ـ أي العلماء ـ إلى فكه وإعادته إلى مكانه الأصلي. لكن هذا لم يمنعهم من التذكر بأن بعض الطائرات تحلق أحيانا فوق المنطقة الواقع فيها البيت، وهذا يفسر كل ما يحدث ببساطة كبيرة: فالاهتزازات التي يسببها الطيران هي وراء حوادث البيت الغامضة.

إذن ـ وكما ترون معنا ـ فإن ممثلي كل علم قادرون على إعطاء تفسير متكامل وواضح لظاهرة البوليتر جيست، غير أن هذا التفسير واضح لهم فقط ولا يتعدى حدود علمهم أبدا. وبالرغم من هذا فإن علينا إعطاء جهود العلماء العديمة الجدوى حتى اليوم حقها من الاحترام، لأنها تسعى بالفعل لإيجاد الجواب المناسب، والتفسير المقبول لظاهرة البوليترجيست، هذا بالرغم من أن وقوعهم في شباك التصورات والنظريات والايديولوجية قد يؤدي إلى كارثة حقيقية ربما لا يكون لهم ذنب فيها ولهذا على العالم الابتعاد قدر الإمكان عن البديهيات المهيأة له مسبقا، فهو كلما ابتعد عنها أكثر، كلما ازدادت نجاعة فرضياته وخصوبتها، وكلما كانت فرضيته أو فرضياته أقرب للمنطق والواقع، فهذا هو الحال ـ مثلا ـ عند الفرضية التي وجدت لنفسها موطئ قدم في قسم المشاكل النظرية في اكاديمية العلوم السوفيتية، والتي تعترف بوجود البوليترجيست، تعالوا نستمع معاً إلى تعليق فيكتور ايساكوف الآنف الذكر حول هذه الفرضية، يقول ايساكوف:

"ـ ان وجود البوليترجيست أمر مبرهن عليه، وكثيرا ما يقدر لنا الالتقاء بهم، لكننا يجب أن نميز بين البوليترجيست وآخر، لأنه إذا ما كانت الحوادث تقع بشكل عفوي، أي دون وعي أو ارادة، في حالة البوليترجيست العفوي، فانها ذات تأثير كهرومغناطيسي، لأن وقوعها ضروري لشخص ما أو لمجموعة أشخاص، تعالوا نوضح الأمر بمثال، نفترض أن خلافا حادا نشب بين بعض أفراد عائلة أو بين الأقارب، وهذا ماحفز الجهة المظلومة على الانتقام من الجهة الظالمة، هنا يجب أن أذكر بأنه ليس من الضروري أن يكون الشخص المحتاج للانتقام طرفا في الخلاف الذي نشب، بل قد يكون واحدا من جيران أو معارف أو زملاء المظلوم، ولنسميه شرطيا بـ "الشخص المكتوم"، وهذا الشخص المكتوم لا يكون في العادة قادرا على الاتصال بالبوليترجيست، لذا لابد له من اللجوء إلى مساعدة السحرة، فتتحول بذلك الجهة المظلومة إلى طرف متفرج عند

ظهور البوليترجيست، ويتحول الشخص المكتوم إلى "مخرج"للظاهرة بينما يلعب الساحر الدور الرئيسي فيها، والسحرة موجودون عمليا في كل مدينة وقرية، ويمارسون طقوسهم بطرق قد تبدو بدائية وساذجة للوهلة الأولى، كما يتناقلون معرفتهم هذه ضمن إطار محدد معين، إذن طُلبت مساعدة الساحر من أجل الانتقام من الجهة الظالمة، لكن لابد للساحر من أجل هذا، أن يعرف وضع المكان الموجودة فيه الجهة الظالمة، وكذلك الاطلاع على أدق تفاصيله، كما وعليه - أي الساحر - أن يتعرف على ضحيته أو ضحاياه المستقبليين، لذلك كثيرا ما يلاحظ فقدان صورة من ألبوم العائلة أو اختفاء بعض الأشياء الشخصية، وهذه الأشياء المفقودة لا تلعب في العادة دوراً، بل يحتاج اليها كصلة تماس وتواصل بين الساحر والشخص المراد الانتقام منه، لكن كيف يتمكن الساحر من دخول شقة أو بيت ضحيته؟ لنلاحظ معا أن غالبية حالات البوليترجيست تبدأ بطرقات على الأبواب، رغم عدم وجود أحد خارج هذه الأبواب، فالساحر يختبر عند زيارته الأولى، وعن طريق القرع على الباب، قدرته في التأثير على الضحية وتنويمها مغناطيسيا أو التواصل معها عن بعد، حين يتمكن من ذلك يدخل الشقة أو البيت بكل طمأنينة، ويأخذ مفاتيحها، ويبقى خلال ذلك كله غير مرئي أو ملاحظ من أحد. وقد أثبتت تجاربنا المخبرية إمكانية تنويم الناس مغناطيسيا، بحيث يستعصي عليهم التقاط واستقبال أي شخص غريب، أي بحيث يلغي هذا الشخص الغريب من إدراكهم، وهذا ما يعرف بخلق شخص ما خفي، وهنا أود أن ألفت انتباهكم إلى أن الكلاب والقطط غالبا ما تختفي من المكان المخصص لبروز ظاهرة البوليترجيست، وذلك قبل بدئها بقليل.

لماذا يحصل هذا يا ترى؟ إنها تختفي لسبب بسيط جدا يكمن في أن التنويم المغناطيسي يؤثر على الإدراك فقط، وهذا ما يميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى، لذا لا تتأثر الكلاب والقطط عادة بالتنويم المغناطيسي، ولا تستطيع تفهم ما يحدث، مما يضطرها إلى القيام بحركات غير عادية كالهرب والالتجاء إلى مكان أو زاوية ما من البيت، أو التقوقع في المكان وإصدار أصوات غريبة، كما وأنه من المستحيل نهائيا إرغام القطط والكلاب على مغادرة مكانها، أو التزحزح منه إلا بعد مغادرة الساحر، أي بعد انتهاء عملية التنويم المغناطيسي، وهذا يعني أن الكلب أو القطة هما الوحيدان في مثل هذه الحالة القادران على رؤية المنوم المغناطيسي المتسلل إلى البيت، وقد وقعت حادثة مثل هذه بالفعل، فقبيل بدء إحدى ظواهر البوليترجيست في أحد البيوت فقد كلب العائلة المقرب من قلب ابنها الوحيد والمدلل، فأدى هذا إلى تدهور حالة الولد النفسية، وجعله دائم البكاء والأنين، مما اضطر العائلة إلى شراء جرو صغير عوضا عن الكلب المفقود، غير أنه ما إن أدخل الجرو بيت العائلة، حتى ظهرت كتابة على أحد جدرانه

تقول: "أبعدوا الجرو عن البيت والا فالموت له"، لكن العائلة لم ترضخ للأمر وقررت إبقاء الجرو لديها، فكان أن استيقظت في احدى الليالي على نباح شديد وغريب لجروها، فخرج أفرادها ـ على ما يبدو ـ من حالة التنويم المغناطيسي بسبب نباح الجرو، ورأوا جميعا بوضوح تام امرأة سوداء الملبس، تحاول طعن الجرو الصغير بصنارة صوف، لكن ما إن عاد أفراد العائلة إلى إدراكهم التام وبدؤوا يبحثون عما يمكن ارتداؤه من أجل الخروج من الفراش، ومقاتلة الضيف الثقيل، حتى اندفعت المرأة نحو الباب ومن ثم اختفت، إذن يدلنا هذا كله على أنه لا داعي لإيجاد تفسير لطرقات على الأبواب أو لسماع وقع أقدام أو أصوات غريبة في حالة البوليترجيست أو قبيلها، كما لا داعي أيضا في مثل هذه الحالات للبحث عن تفسير لهبوب الحرائق وتطاير وتساقط الأشياء وظهور الكتابات وسيلان الماء من السقوف وغير هذا من الظواهر غير العادية، فالساحر لا يدخل البيت أو الشقة إلا عند خلوها من السكان، أو عندما يوجد فيها الشخص أو الأشخاص الذين يتفاعلون مع تنويمه المغناطيسي ويتأثرون به، وغالبا ما يكون هؤلاء الأشخاص أطفالا صغارا أو مراهقين، وقد تأكد بالمراقبة والرصد أن للاطفال حضورا في كل حوادث البوليترجيست، وهذا أمر واضح، فالأطفال أكثر الناس طواعية وتأثيرا بالتنويم المغناطيسي، وبالتالي هم بالتحديد الذين ينفذون تعاليم الساحر بحذافيرها وبدون وعي، والساحر لا يأمر الطفل في العادة بشكل مباشر كأن يقول له: "خذ الكرسي واضرب به خالتك أو عمتك".

بل يدخله في حالة نوم مغناطيسي آني أو لحظي، أي قصير الزمن، ومن ثم يلقنه الأمر مضيفا: "قم بهذا بسرعة وفجائية بحيث لا يراك أحد"، فيستقبل دماغ الطفل الأمر ويبرمجه آليا بحيث يقدر على تنفيذه بكل دقة، فيصل ـ مثلا ـ إلى قناعة مفادها أنه يجب ضرب العمة أو الخالة من الخلف، حيث لا أحد يراك أو يتوقع قيامك بالعمل من هناك...

ماذا يمكننا القول عن هذا الرأي؟ إن له بالطبع معارضيه ومؤيديه، لكنه ـ بالتأكيد ـ ليس حديثا فارغا، كذلك الذي يقول بأن انهيارات التربة والعواصف المغناطيسية هي التي تسبب ما نسميه بظاهرة البوليترجيست، كما يشكل فرضية متكاملة يمكن التحدث بلسانها بلا حرج، خاصة وأنها تتطابق بالفعل مع عدد غير قليل من ظواهر البوليترجيست، وقد لوحظ كثيرا وقوع خلافات بين أفراد عائلة ما أو بعض العائلات والأقرباء والجيران قبيل بدء ظاهرة البوليترجيست هذه أم تلك، وهذا الأمر لا يعتبر بالطبع برهانا للفرضية، لكن الكثير من الجيران أعطى الباحثين تأكيدات مادية عديدة لصالحها.

وأنا شخصيا أتذكر حادثة جرت في لينينغراد، حدثني عنها بعض الاصحاب، تؤكد بنحو أو آخر ما جاء في الفرضية السابقة، فقد اقترب شخص ما أسمر الوجه، أو ليس روسيا (حسب تعبير الصبي الذي جرت الحادثة معه)، اقترب من صبي عائد من مدرسته وسأله: " - في أي شقة تسكن؟ فلما أجابه الصبي، قال له ذلك الشخص: إنه كان متأكداً من أنه - أي الصبي - يسكن بالفعل في الشقة التي ذكرها، ثم أعطاه ستة عشر روبلا، وطلب منه إيصالها لأمه كوفاء لدين استدانه منها سابقا، لكن أم الصبي لم تكن قد أدانت أحدا مثل هذا المبلغ من المال أبدا، ولذا قررت أن خطأ ما وقع، ووضعت النقود في مكان أمين على أمل أن يحضر أحد ما لاستعادتها، لكن شهرا كاملا مضى دون أن يطالب أحد بالنقود، فقررت المرأة التصرف بالمبلغ حتى حضور صاحبه، لكنها ما إن أخذت بعض الروبلات منه حتى سقط البراد في بيتها آلياً، ثم تفاقمت عندها الأمور أكثر فأكثر الكراسي راحت تتحرك ذاتيا وتتساقط، وكذلك أثاث البيت وأدوات المطبخ، ثم راحت الأشياء تتحطم في البيت تلقائيا مما ألحق به ضررا بالغا، وقد راودت الوالدين أن يكون ولدهما وراء ما يحدث، لكنهما سرعان ما تأكدا من براءته ذلك لأن الأشياء بقيت تمارس ألاعيبها الخبيثة حتى خلال وجود الولد في المدرسة على مقعد الدرس، إذن من يقف وراء ما يحدث في البيت، خاصة وأن الوالدين عاقلان وينتميان لطبقة المثقفين ولا يمكن الشك بهما؟ إنهما لم يجدا تفسيرا لما يحدث، لكنهما لم يطلبا في نفس الوقت تدخل الشرطة، وذلك لقناعتهما المطلقة بأن ما يحدث لا يمت لقوى الأمن بصلة. وقررا - كما هو طبع الإنسان الروسي - الصبر والصبر فقط آملين بقرب انتهاء المأساة، فلا مأساة بلا نهاية، لكن صبرهما بلغ أوجه مهددا بالانفجار يوم تحركت طنجرة الحساء تلقائيا من المطبخ إلى غرفة الجلوس، وألقت بنفس التلقائية بمحتوياتها على ورق الجدران، لذلك قررا ترك البيت لبعض الوقت، خاصة وأن قصاصات من الورق تحمل كتابات جد سيئة مكتوبة بخط الوالد تارة، والوالدة تارة أخرى أخذت تظهر في البيت وبعد جهد حصل الوالد على إجازة وغادر وولده المدينه، أما الوالدة فاضطرت للتأخر عنهما أسبوعا بانتظار بدء العطلة المدرسية عند الصفوف التي تُدرس فيها، لكن تعالوا نتابع ما حصل بعد ذلك للوالد والولد: فقد استقلا قطارا متجها نحو الجنوب السوفييتي. ولما لم يكن في مقطورتهما أحد غيرهما، جلسا يتحدثان مؤنبين نفسيهما على ترك الوالدة وحيدة في البيت، ومتسائلين عن حالتها هناك، وفجأة وقع مالم يكن في الحسبان: لقد سقطت قصاصة ورق من سقف المقطورة، فلما التقطها الوالد قرأ فيها: "لقد فطست الجيفة"، فكاد الاثنان يفقدان عقليهما، ليس لأن البوليترجيست وصل إليهما حتى في القطار بل لانشغال بالهما على الوالدة التي عنتها الجملة المكتوبة على

قصاصة الورق، لذلك قررا مغادرة القطار عند أول محطة له وارسال برقية للوالدة، أو الاتصال بها تلفونيا، فما كادا يتفقان على هذا حتى ظهرت قصاصة ورق من جديد تحمل جملة: "انها مجرد مزحة، هل أنتما سعيدان الآن؟ إياكما والخروج من المقصورة، وان فعلتما ستكون النهاية وخيمة"، فاضطرا للجلوس والانتظار، لكن ماذا ينتظران وكم من الوقت يمكن الانتظار؟ لقد شغل هذا السؤال بال الوالد كثيرا، فقرر في النهاية مغادرة المقصورة، لكنه ما إن خرج منها حتى ضرب بما يشبه اللبنة على رأسه. ومع أن لم ينزف دم غزير من مكان الضربة، إلا أن الألم كان حادا جدا، مما أوحى بأن الوالد أصيب بارتجاج في دماغه، لكن الفحوص الطبية اللاحقة نفت ذلك، أما فيما يتعلق باللبنة فقد احتفظ الوالد بها كشاهد لما حدث لهما، لكن تعالوا نعد إلى قصتنا لنعرف ماذا حصل بعد ذلك، فقد لفتت اللبنة انتباه المسافرين في العربة، وأخذ هؤلاء يستفسرون من الوالد عن الأمر، فحدثهم بما جرى معه ومع ولده، فنصحهما أحد المسافرين باللجوء الى شخص قد ينهي لهما مأساتهما، وأعطاهما عنوان ذلك الشخص، فغادر الوالد وابنه القطار بعد بضع ساعات واتجها بعنوان الشخص "المنقذ"، فوصلا قرية صغيرة دلهما سكانها على بيت الرجل المطلوب، والذي تبين أنه بالغ في العمر جدا، وفي بيت ذاك الرجل العجوز استقبلا بحفاوة، ولكن أحدا لم يسألهما عن قضيتهما وسبب زيارتهما المفاجئة، بل قدم لهما الشاي، ثم شرح الرجل العجوز ـ دون أية استفسارات ـ إن جيرانا يكرهونهم يقفون وراء ما يحدث، ويحاولون جاهدين ارغامهم على ترك شقتهم، ثم وصف لهما العجوز أولئك الجيران وكأنه يراهم أمام عينيه، وشرح لهما بأن الجيران يستعينون في تنفيذ مخططهم بقريبة لهم تسكن في إحدى القرى القريبة منهم، وفي نهاية حديثه طمأ نهما العجوز بأن كل شيء سيكون على مايرام عند عودتهما إلى البيت، وبأن جيرانهم لن يكونوا قادرين بعد اليوم على مضايقتهم، وبأن قريبة الجيران ستفقد منذ اليوم تأثيرها عليهم، وفعلا عاد الأب وابنه إلى بيتهما ليجدا كل شيء على مايرام، فأبلغ الوالد بعض المهتمين بالأمر بما جرى لعائلته، فقام هؤلاء المهتمون بالبحث والتنقيب ليجدوا بالفعل المرأة التي وقفت وراء كل ما حدث، وليعرفوا من سكان قريتها بأنها ساحرة يلجأ اليها الكثير من الناس، ومنذ زيارة الوالد وولده للرجل العجوز وحتى اليوم كثيرا ما يتردد عليهم المهتمون بمثل هذه الأمور ليتأكدوا من أن كل شيء يسير في البيت على أحسن ما يرام.

إذن فللساحر كمسبب للمشاكل والإرباكات دور واضح وكبير وهذا الأمر عرفه الناس على مد العصور، وربطوه ربطا مباشرا بما نسميه اليوم بظاهرة البوليترجيست، لكن يجب علينا الاعتراف هنا بأن الساحر قد يلعب دورا رئيسا في الظاهرة، غير أنه من

الصعب جدا التصديق بقيامه بدور الشخص الخفي، الذي يقذف أدوات البيوت ويشكل الحرائق، والشخص الخفي هذا يذكرني بأن الناس قد شكوا خلال ظاهرة البوليتر جيست عند آل سافين في جمعية "كوموناركا" الزراعية، شكوا بوجود مثل هذا الشخص وراء ما يحدث، ولذلك شابكوا أيديهم وشكلوا حلقات بشرية، فتشت المنزل شبرا شبرا لكن دون أن تعثر على أحد؛ لهذا، ومع النظرة التشاؤمية التي كان يقابلني بها من أتحدث معه من أخصائيي التنويم المغناطيسي والتواصل عن بعد، فإني أشك كثيرا بفرضية الشخص الخفي، وأراها غير مقنعة، ليس لما ذكرته سابقا فقط، بل ولأن ايساكوف ـ على سبيل المثال ـ لا يسمح لأحد بحضور تجاربه التي يعتبرها إثباتا لفرضيته، وكذلك لأن الكثير من حالات البوليترجيست لا يتفق مع فرضية الشخص الخفي، كما أن الكثير مما يحدث في حالات البوليترجيست لا يدخل ضمن إطار الواقعية الفيزيائية التي نعرفها ونعيش ضمن أطرها.

لا أدري إن كنت قد ذكرت سابقاً أنه خلال ظاهرة البوليترجيست في بيت عائلة روشين في ضواحي مدينة كلين، طارت ذات مرة علبة السكر تلقائيا، واخترقت زجاج النافذة تاركة فيه فتحة دائرية الشكل دون أن تهشمه، لكن ليس المهم إن كنت ذكرت هذا سابقا أم اني أذكره للمرة الأولى، فالأهم في الأمر أن بعض علماء الفيزياء درس تلك الظاهرة، ونزع زجاج النافذة وأرسله الى مخبرهم، فتبين لهم أنه كي يخترق جسم ما الزجاج بهذه الشاكلة ودون أن يهشمه، فانه لا بد لهذا الجسم من الطيران بسرعة عالية جدا، كما ولا بد أن يتابع طيرانه بعد الاختراق بسرعة قريبة من سرعة ما قبل الاختراق، وهذا ما سيوصله حتما لمسافة خمسة كيلو مترات من مكان الحادث على أقل تعديل، لكن علبة السكر سقطت أو حطت (إذا صح التعبير) آنذاك على مسافة ثلاثة أمتار فقط من النافذة، وهذا ليس الأمر العجيب الأوحد في القضية، فالعلم يعرف أنه كي تتوقف علبة السكر عن طيرانها بمثل هذه الحدة فإنها ستتعرض لضغط هائل جدا، قُدر برقم أكبر بست وأربعين مرة من قيمة الضغط الذي تتعرض له قذيفة أطلقت من مدفع، ولهذا كان لابد أن تتحطم علبة السكر المصنوعة من الفرفور ويتناثر فتاتها ليس مرة واحدة بل مرتين: الاولى لحظة انطلاقها من مكانها بتلك القوة التي انطلقت بها، والثانية لحظة اختراقها الزجاج وتوقفها الآني بحدة أكبر من الأول.

لهذه الأسباب أيضا لا يمكن ـ من وجهة القوانين الفيزيائية ـ تفسير عملية تطاير الفواصم الكهربائية وتغير اتجاه طيرانها عدة مرات، كما ولا يمكن تفسير طيران الأجسام والأشياء المتعرج في بيت عائلة سافين: فلكي يطير جسم بمثل هذا التعرج، لابد له من أن يحصل خلال طيرانه على قوة أو قوى جانبية بالنسبة لمسرى طيرانه، فهكذا تطير كرة

التنس مثلاً بعد قذفها، لكن الفواصم وغيرها من الاشياء كانت تغير اتجاه طيرانها بحدية شديدة، وبزاوية مستقيمة دون أن تصطدم بأي عائق مرئي. وهذا التغيير في اتجاه الطيران ممكن في الطائرات والصواريخ في حالة واحدة فقط، هي حالة توفر مصدر دائم ومتجدد للحركة خلال طيرانها، وإذا ما افترضنا أن ما يحدث شبيه بهذه الحالة (وهذا مستحيل عمليا)، فإنه لا يبقى أمامنا إلا الاعتراف بأن ما يجري لا يدخل بتاتا ضمن أطر التجارب والمعارف الإنسانية، أي أنه خارج نطاق قوانين الفيزياء التي نعرف.

فهكذا إذن يبقى دون تفسير ما يحصل في حالات البوليترجيست من اختراق أجسام وأشياء لعوائق صلبة دون أن تدمرها أو أن تدمر نفسها، وهذا ما يوحي للمراقب بأن الجسم الخارق "يختفي"، أو "يفقد ماديته" قبل العائق تماما، ومن ثم يعود في الجهة الأخرى للعائق، فبمثل هذه الشاكلة كانت الأجسام تخترق زجاج النوافذ في حالة بوليترجيست مدينة أيناكييف، وهكذا وقع في حالة بوليترجيست مدينة بوريسوف، فقد غادرت عائلة كليماشونوك بيتها مرة قافلة الباب الخارجي وراءها، ولما عادت إلى البيت لم تجد عدة النوم وبعض الكراسي في مكانها، بل وجدتها في مستودع الطعام الذي يقع تحت البيت، والذي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الباب الخارجي، وفي حالة بوليترجيست عائلة سافين لوحظ مرة أن رجل طاولة المذياع تحل من مكانها تلقائيا، ثم تختفي من البيت نهائيا، مما أفقد ربة المنزل صبرها وجعلها تصرخ بأعلى صوتها: "أعد الرجل." فما لبثت الرجل أن عادت لمكانها، كيف حصل ذلك، من أين خرجت الرجل ومن أين دخلت؟ لا أحد يدري، غير أن شيئا واحدا نعرفه جميعا هو أن البشرية طالما عرفت مثل هذه الظواهر، ففي القرن الماضي وصف الباحث الروسي اكساكوف وصفا دقيقا لاختراق الأجسام الخزائن والحقائب وغيرها، كما لدينا شهادات من زمن أقرب لنا تتحدث عن اختراقات للأجسام والأشياء لجدران البرادات والشقق، رغم أن جدران الشقق مصنعة من البيتون المسلح، وغير الاختراقات فإن ظواهر البوليتر جيست كثيرا ما تترافق مع ظهور للماء أو للروائح الكريهة دون أن يعرف مصدرها، وهذا الأمر وكذلك اندلاع الحرائق يمكن أن يصنف في نفس صف اختراقات العوائق المادية الصلبة، كما أن الباحثين قدموا وصفاً آخر من هذه اللامتوافقات واللاواقعيات التي لا تتأطر بحدود واقعية عالمنا، وأهم هذه اللامتوافقات ترتبط بما اصطلح على تسميته بالبوليترجيستات الصوتية، فالكثير من الناس يسمعون أحيانا أصواتا غريبة أو غناءا، أحياناً جملاً ذات معنى ومنولوجات كاملة تتعلق بالحالة والمكان الذي تقع فيه الأحداث، وكل هذا دون أن يعرف مصدرها. والبوليترجيست الصوتي هذا غير نادر، فقد دلت الإحصائيات على أن كل واحد من أربعة يكون في العادة صوتيا، ففي عام ١٩٨٨ وحده أثبت ظهور

بضعة بوليترجيستات صوتية فبيت مختار قرية سيلينو الواقعة قرب مدينة نوفغورود السفلي شهد ذاك العام تطاير الأشياء والأجسام وصارت تسمع فيه طرقات ونقرات، ثم أصوات محددة كثيرا ما دخلت في حوارات وجدالات مع أفراد العائلة، ومع ذلك لم يعرف مصدرها، وفي مدينة كيميروفو غادر أحد الأيام رب إحدى العائلات بيته لزيارة والدته في قرية مجاورة للمدينة، وقد اتفق وزوجه على أن يعود إلى البيت ليلا مع آخر باص يغادر القرية إلى المدينة، وبينما كانت امرأته تعيد ترتيب أشياء البيت وأطفالها نيام سمعت صوت زوجها يقول لها: " ـ لوبا،سأضطر للنوم في القرية، لأن الباص الليلي قد الغي، لا تخافوا، سأعود صباحاً"، وقد كان صوت الزوج واضحا قريبا لدرجة أن الزوجة ردت عليه بعفوية قائلة: "وما الداعي للخوف؟ أنا لا أخاف أحداً"، ثم ما إن تخلصت عقدة دهشتها، حتى فتشت البيت زاوية زاوية دون أن تجد فيه أحدا سوى الأطفال النيام، فارتابها الشك وركبها الرعب، ولم ينقذها من ذلك الوضع الحرج سوى قدوم أخت زوجها، التي كانت قد وعدتها سابقا بأنها ستنام الليلة عندها، ثم بعد حديث وعشاء، أخذت أخت الزوج كتابا واستلقت على السرير منغمسة في قراءته، بينما جلست صاحبة البيت تكتب رسالة، وفجأة سمعت تنفسا ثقيلا فوق رأسها، ومن ثم سمعت المرأتان مواء قطة في الممر، فركضتا بعفوية تجاهه ليجداه خالياً من أي قطة، ففتشتا البيت من جديد، ومرة أخرى لم يعثروا على قطة ولا على مصدر الصوت، لذلك دخلتا غرفة النوم غاضبتين، وهناك قذفت صاحبة البيت الشتائم دون أن توجهها لأحد، ومن ثم قالت: " ـ لا يستطيع المرء العيش بهدوء حتى في بيته"، فما إن لفظت الكلمة الأخيرة حتى ضُربت بعنف على ظهرها، وسقطت من فوق الفراش باكية، ومن جديد عاد صوت زوجها يقول معاتبا: "لوبا، مالك تشاكسين؟"

اسمحوا لي هنا أن أقطع هذه القصة، وأن ابتعد عن جوانبها المعنوية ليتسنى لي الحديث عن أمر آخر لا يقل أهمية عن الناحية المعنوية، فحتى قليل الاطلاع على علم الصوتيات يعرف تماما بأنه من أجل تسجيل صوت امرئ ما، ومن ثم بثه بمثل الكمالية التي بث فيها صوت رب البيت، فانه لابد من وجود جهاز للتسجيل والبث تام الكمالية، وهذا مالم يصل إليه العلم حتى اليوم، هذا من ناحية، وأما من الناحية الأخرى فإن رب البيت قد أكد بعد عودته من القرية عدم نطقه نهائيا لتلك الكلمات والجمل التي سمعتها زوجته، ومع هذا فإن المعضلة ليست الأكبر ولا الأهم في ظواهر البوليترجيستات الصوتية، ذلك لأن هناك معضلة أخرى لا تفسير لها أعم وأشمل من الأولى إنها المعلومات الكبيرة والمعرفة شبه الدقيقة التي تتمتع بها البوليترجستات، فهذه البوليترجيستات تكون عادة على اطلاع تام على النواحي المرتبطة بالظاهرة التي تمثلها،

بل وبنواح أخرى لا تمت لها بصلة، وكذالك البوليترجيست الذي ظهر عام ١٩٨١ في مدينة كورسك، وأظهر معرفة تامة بكل النواحي الحياتية لكل من زار المكان الذي تمت فيه أحداث تلك الظاهرة، وكذلك بوليترجيست مدينة ايناكييف الذي كان يلقي بقصاصات من الورق تعبر عن معرفته الدقيقة حتى بأولئك الذين زاروا مكانه لأول مرة، ومثل هذا البوليترجيست كان زميله الموسكوفي، الذي برزت حالته في شارع مولد وغولوغايا، وتمثلت بإرساله كتابات لأشخاص محددين من سكان الشارع لم يكن حتى جيرانهم يعرفون أسماءهم، وهناك العديد والعديد من مثل هذه البوليترجيستات التي لا يمكننا تفسير قوة اطلاعها، وضخامة معلوماتها إلا بافتراض قدرتها - كائنة ما تكون ومن تكون - على قراءة الأفكار، غير أني لا آخذ بهذا الرأي رغم الكثير من الإثباتات على صحته، كذلك الإثبات الذي وصلنا عن بوليترجيست ظهرت حالته يوما في حفلة عرس حيث الحضور يغنون ويرقصون، فما كان منه إلا أن أخذ يشوش الايقاعات الموسيقية للغناء ويخربها، حتى في الوقت الذي اضطر فيه الحضور إلى الغناء بقلوبهم، أي دون أن ينبسوا ببنت شفة، وعلى هذه الشاكلة كان البوليترجيست الموسكوفي الملقب بـ "بارباشكا" (الطبل باللغة الروسية - م. المترجم) لأنه كان يعطي معلوماته عن طريق النقر والدق، ولم يكن أحد قط مطلعا على المعلومات التي قدمها، وهذا ما سنتأكد منه في حديثنا اللاحق عن هذا البوليترجيست، إذن فالاطلاع والمعلومات الكبيرين عند البوليترجيستات يشكلان أيضا بالنسبة لنا معضلة كبيرة صعبة الحل، ولا تقل أهمية عن الخرق الواضح والصريح لقوانين الفيزياء الذي لاحظناه في حالات البوليترجيستات الأخرى السابقة الذكر، لهذا، ومن أجل التفهم الأوضح لمشاكل البوليترجيست تعالوا نحاول إيجاد تصنيف محدد لهذه البوليترجيستات، ذلك لأن العالم يبدأ دراسة أية ظاهرة تحديدا من محاولة تصنيفها، فعلى أي أساس يمكن تصنيف البوليترجيستات؟ إن هذا الأمر صعب الحقيقة، لكنه ممكن في أطر معينة محددة، فهاهم الباحثون السوفييت، مثلاً، يحاولون القيام بذلك مبتدئين من الإحصائيات البسيطة، فالباحث فينوكوروف استنتج مثلاً أن معظم حالات البوليترجيست تظهر في ساعات المساء وفي يومي السبت والأحد، وخلال هذين اليومين تظهر حالات البوليترجيست بمعدل أكبر بـ ١،٥ - ٤ مرات من مثيله في الأيام الأخرى، كما أن نهاية الحالة تتناسب طرداً قوتها وحدتها، فكما كانت قوة الحالة اكبر وأعنف كلما كان نهايتها أسرع، وأما القانون الثالث الذي تطبقه البوليترجيستات فهو اختيارها الدائم لوسائل التأثير من بين المواد غير الناقلة للكهرباء، كأثاث الموبيليا والثياب وغير ذلك، وهناك تصنيف بدائي للبوليترجيستات أو بالأصح للأحداث التي تتجسد فيها، ينطلق من مبدأ قرب وسائل التأثير من بعضها، فالباحث فومنكو لاحظ أنه في معظم حالات

البوليترجيست تأخذ الأجسام بالتحرك آليا حسب تسلسل وجودها في المكان، وقربها من بعضها، كأن يتحرك البراد أولا - على سبيل المثال - ثم تليه الطاولة المجاورة له، وبعد ذلك الكرسي الأبعد من الطاولة وهكذا دواليك، لكن، وللحق نقول: إن هذه التصانيف لا تقربنا من كنه الظاهرة ولا تساعدنا على فهمها، ومع ذلك فإنه لابد منها فالطريق طويل، ومن الأفضل الانشغال فعلا بالتصنيفات من أن ننجر وراء الفرضيات والأنظمة التفسيرية الجاهزة، خاصة وأننا لا نعاني من نقص في عدد الفرضيات التي تحاول إيجاد تفسير لظواهر البوليترجيست، إليكم مثلا فرضيات الباحث فومنكو الآنف الذكر: يقول فومنكو بالفرضيات التالية عن منشأ البوليترجيستات:

أولا - الفرضية الدينية الاخذة بظهور القوى الشريرة والشياطين وغيرها، تليها فرضية الكائنات الأسطورية التي يجسدها الجن والعفاريت، ثم الفرضية الإيمانية الغيبية الآخذة بعودة الروح أو النفس التي لم تجد لنفسها هدوءاً وطمأنينة بعد موت الجسد، تليها فرضية التواصل العفوي عن بعد، ففرضية الشخص الخفي ومن ثم فرضية السوبرمان القائلة بتوافر قوى خارقة في شخص واحد، بما في ذلك قدرته على "مط" الزمن والاختفاء عن النظر، تليها فرضية التأثير علينا من قبل أناس المستقبل بواسطة آلة الزمن، ففرضية الأخذ بأن ما يحدث ليس إلا ضرباً من ألاعيب الناس أنفسهم أو بعض المراهقين، تليها فرضية المرض النفسي لأحد ما، ومن ثم فرضية الجنوح النفسي والهلوسة الجماعية، ففرضية التنويم المغناطيسي، ومن ثم فرضية التأثيرات المتبادلة للبارابسيكولوجين، ففرضية التخريب الايديولوجي المتعمد، والتي يقول أنصارها بأن حالات البوليترجيست لا تعدو كونها تحد للفكر المادي، يهدف إلى زعزعة عقائد المواطن السوفييتي، ويعتبر أنصارها أن البنتاغون والماسونية الصهيونية والدولية قد تكونان وراء تنظيم هذه الأعمال التخريبية الهادفة إلى زعزعة القناعة الايديولوجية في المجتمع السوفييتي، ثم يلي هذه الفرضية فرضية تحضيرنا من قبل حضارات أرضية، ففرضية قيام حضارات غير أرضية بيعض الاختبارات علينا، كاختبارات التأثيرات الفيزيائية مثلا، وفي الختام فرضية السبر النفسي أو الاستقصاء النفسي الذي تقوم به حضارة غير أرضية

كما ترون إذن لا نقص لدينا في عدد الفرضيات المفسرة لظواهر البوليترجيست ، بالأخص إذا ما عرفنا أن بعضا من هذه الفرضيات لم يدخل في تصنيف فومنكو الآنف الذكر، كفرضية ψ (بسي) وشعاع ψ المتحرك، فخلال مراقبتهم ودراستهم لطريق واتجاه تحرك وتنقل الأجسام في حالات البوليترجيست، توصل بعض الباحثين إلى فكرة وجود نوع من الحقل ψ الذي يحيط بحامل أو ناقل الظاهرة، الذي يكون على الغالب

مراهقا أو طفلا صغيرا، فكلما كانت الأجسام ابعد عن الحامل المفترض كلما كبرت المسافة التي تقطعها خلال تحركها، وهذا التأثير معروف بشكل جيد، ويلاحظ عند الزوابع الشاقولية الدوارة أو الدائرية، أو التي تعرف بالحقل الزوبعي الدائر، كما أظن أنكم تلاحظون معي أيضا أن كثرة الفرضيات حول ظواهر البوليترجيست إنما تعبر عن ضرب من القصور الفكري عند الباحثين، وكذلك عن سعيهم الحثيث لإيجاد تفسير لهذه الظواهر باتباع طريق أو آخر معد ومجهز مسبقا، وبالطبع لا يمكن تجاهل هذا القصور، بل على العكس يجب إعطاؤه حقه من الاحترام، لأنه يدور في إطار البحث عن الحل، لكن إذا ما سألني أحدكم عن كنه الفرضيات المتفتقه عن هذا القصور الفكري، لقلت: تسعى جميعا للإصلاح والتوفيق بين ظاهرة البوليتر جيست وحقائق العلم الذي نعيش فيه، أي بكلمات أخرى تحاول جاهدة إرغام الظاهرة على التوافق مع قوانين عالمنا الفيزيائية، أي مع المنطق الذي يحدد هذا العالم، ففي إطار هذه الفكرة تماما يتحرك ويبحث العالم فومنكو الآنف الذكر، وفومنكو هذا يعتبر من رواد البحث في ظاهرة البوليترجيست. تعالوا نتأكد معا من هذا بالاطلاع على ما قاله العالم المذكور، يقول فومنكو حول الموضوع: - "إن المتتبع للأمور يلاحظ دون عناء أن نواتج أو تجسيدات ظاهرة البوليترجيست من تحول للأجسام من الحالة المادية إلى غير المادية، أو ما يعرف بالتجريد المادي، وكذلك التحول المعاكس من اللامادية إلى المادية، وأيضا تطاير الأجسام الذاتي، واختراقها للحواجز، إن كل هذه التجسدات تؤكد لنا على أن ما يستخدم من معارف وتقنيات في ظاهرة البوليترجيست يعود بأصله الى ما وراء حدود وأفق علومنا، وهذا ما يرغمنا على الاعتراف الصريح بأن الوحيدة القادرة على خلق ظاهرة البوليترجيست هي حضارة غير حضارتنا كبيرة التطور وتعيش متوازية معنا، هنا قد يسأل سائل: إذا ما كان الأمر على هذه الشاكلة، ماذا يمكننا القول عن قوى التفاعل والطرق التي تستخدمها هذه الحضارة، والتي تتجسد في ظاهرة البوليترجيست؟ فأرد بدروي: إن خاصية الانتقال والتحرك الملاحظين في ظواهر البوليترجيست تنفي نهائيا استخدام القوى الكهربائية، كما وينفي تحرك الأجسام غير القابلة للمغنطة كالزجاج وغيره استخدام القوى المغناطيسية، أما قوى الجاذبية فمنفية لعدم قدرتها على التأثير على الأجسام ضمن أطر وحدود معينه، وعلى كل الأجسام المادية بنفس المبدأ والشاكلة، وعدا عن هذا فإن أياً من القوى الآنفة الذكر أو كلها مجتمعة لا تستطيع أبدا إيقاف حركة الأجسام بمثل تلك الحدة والآنية التي تلاحظ في ظواهر البوليترجيست، لهذا لايبقى أمامنا إلا ما يعرف بالتفاعلات القوية التي نعرف شبيهاتها أو مثيلاتها تجري في الجزيئات البسيطة، وتتجسد بثمانية أشكال للجزيئات أو الجلواونات (أصل كلمة

جلواون في الكلمة الانكليزية glou التي تعني الصمغ - م. المترجم)، فأزواج هذه الجزيئات قادرة على الاتحاد، وتشكيل سلاسل هلالية يستنتج من علم الكرومود يناميكا الكمية بأنها - أي السلاسل الهلالية - تتمتع بمواصفات عجيبة بالفعل، فمقاومة الشد عند سلسلة جلواونية واحدة تبلغ ستة عشر طنا، ومثل هذه السلسلة تستطيع اختراق الأجسام المادية دون أن تؤثر أو تتأثر بها، كما لو أنها لا تواجه أية عوائق مادية، كما أن هذه السلاسل خالدة أزلية، فهي لا تختفي أو تنتهي إلا في الفراغ الأسود العاتم، ونظامها الذي ربما يوجهه ويتحكم به "الزائر" القادم إلينا من حضارة أخرى، هذا النظام يتمتع بقدرات هائلة نلاحظها في تجسيدات ظواهر البوليترجيست، كتحرك الأجسام الآلي واختراقها للحواجز المادية".

إذن يتضح لنا من حديث العالم فومنكو أن الوحيد القادر على التحكم بظواهر البوليترجيست ونظام تجسداتها هو "سوبر عقل"، يتمتع بسرعة خارقة للتصرف و بعدد من قنوات التأثير المتوازية يزيد عن الرقم ١٠ ، ١٠ لكن المنطق يقتضي أن نتساءل في ضوء هذا التوضيح عن الأسباب التي تدعو "زائرنا" - ممثل الحضارة الراقية - إلى قلب الطاولات، وقذف الفواصم الكهربائية، وخلع أرجل الطاولات وإشعال الحرائق وغير هذا، إلا أننا ما إن نتساءل حتى نجد الرد المناسب، ذلك لأن الصفة المأساوية الوحيدة أو المشتركة لكل الفرضيات الباحثة في ظواهر البوليترجيست هي أنها جيمعا قادرة على الرد على كل التساؤلات بلا استثناء، وفرضية الحضارة الموازية التي يقول بها فومنكو لا تشكل استثناء من هذه القاعدة، تعالوا نستمع لرد فومنكو على تساؤلنا السابق الذكر، يقول فومنكو: " - إننا نلاحظ أن "زائرنا" يواجه - خلال حساباته للمستقبل - حالات معينة لا يكون بمقدوره فيها تحديد تصرف أوردة فعل الإنسان إذا ما كان هذا في حالة هيجان عصبي حاد، أي عندما تتحكم العواطف بتصرفاته لا العقل، لهذا، ومن أجل البرهان على التوقعات والتأكد منها، يقوم "زائرنا" بخلق ظاهرة البوليترجيست، ويرى الإنسان تجسداتها ليمتحن ردة الفعل العاطفية لديه"، آه من هؤلاء الزوار الملاعين، هذه هي إذن حقيقتهم،لكن مارأيكم أنتم أعزائي القراء؟ هل بقي لديكم أي شك أو تساؤل؟.

إن جل ما أرجوه أن تكون التساؤلات قد زادت عندكم وليس العكس، لكن لا تفرحوا كثيرا إذا ما كان الامر كذلك، ذلك لأننا سنعطي محدثنا فومنكو فرصة أخرى كي يعزف لحنه الأخير، والذي سيزيل - حسب قناعته - كل الشكوك المتبقية في جعبتكم، يقول فومنكو: -" إذن ففرضية الاختبار النفسي التي تضعها عقل ويد حضارة غير أرضية هي الفرضية الوحيدة التي لا اعتراض عليها، والتي تردُّ انطلاقا من المفاهيم المادية وبشكل متكامل على كل التساؤلات المطروحة حول ظاهرة البوليتر جيست، وخاصة على السؤالين الرئيسين فيها: "من ولماذا يخلق هذه الظاهرة؟"

هنا اسمحوا لي إنهاء هذا الحديث عن مثيلات هذه الفرضية حول ظاهرة البوليترجيست، ذلك لأن التفسير "المبجل" انطلاقا من المفاهيم المادية قد أحرجنا كثيرا أمام الفرضيات الأخرى، وبالأخص أمام الفرضيات المعروفة جدا، والتي لا تدخل في نفس الوقت ضمن إطار صف الفرضيات الأول الذي تحدثنا عنه، أي بكلمات أخرى أمام الفرضيات التي لا تتقيد وتتأطر بالشواخص والعلامات الفارقة، والقواعد الايديولوجية المجهزة مسبقا، ولهذا لابد لنا من التحدث ولو عن فرضية واحدة من هذه الفرضيات، التي سنصنفها شرطيا في صف الفرضيات المؤمنه بوجود كائنات حية وراء ظواهر البوليتر جيست، ولنبدأ حديثنا عنها بحادثة وقعت مساء ١٩٨٨/١١/١٣ ففي ذلك المساء كان رب عائلة بيلو اوسوف (مدينة غوركي) يجلس في غرفة الاستقبال حالما بكأس من الشاي الساخن، غير أن الخمول تغلب على رغبته فترة من الزمن، استقام بعدها بيلواوسوف واتجه نحو المطبخ لتحضير الشاي، لكنه ما إن دخل المطبخ حتى رأى إبريق الشاي يقبع على موقد الغاز وألهبة النار تتراقص تحته، ثم بلمسة للإبريق قدر أن النار أشعلت تحته بنفس الفترة التي كان يحلم بها بكأس الشاي، ثم تكررت مثل هذه الحادثة بضع مرات، مما اضطر بيلواوسوف للجوء الى طلب العون من لجنة مختصة بدراسة الظواهر الغريبة، فقامت هذه اللجنة بالبحث في الأمر، وتأكدت بنفسها من صحة أقوال بيلواوسوف، ونصحته باللجوء الى مساعدة بصارة وطبيبة شعبية تقية ومعروفة هي السيدة غالينا أنا توليفنا، فاقتنع بيلواوسوف ولجأ بالفعل الى طلب العون من المرأة المذكورة، ولم يبلغ الشرطة أبدا بالأمر كما في أمثال هذه الظاهرة، وبعد أن استمعت غالينا أنا توليفنا لما حدث قالت لرب البيت: -" إني أرى بأم عيني ذلك الذي يقف وراء ما يحدث عندكم، أي ذلك الذي أرسل عفريتا إلى بيتكم. وأنا مقتنعة بأن التخلص منه أمر غير بالغ الصعوبة، لذا ليس عليكم إلا أن تزوروا إحدى الكنائس وتصلوا فيها وتشعلوا الشموع، أما أنا فأقوم باللازم هنا في بيتي، وليكن بعلمكم بأنه بعد إنهاء الطقوس المطلوبة فإن ذلك الشيء أو تلك التراكيب التي تكون بمجموعها الظاهرة التي ترون، ستستعر وتتكالب جدا ومن ثم ستعود إلى رشدها بعد مدة ثم يزول كل شيء".

فوقع بالفعل ما تنبأت به البصارة إذ بعد عودة العائلة من الكنيسة، أخذت قطع الأثاث تتساقط وتتدحرج في البيت، كما وتداعى التلفاز وسقطت أصص الزهور من فوق الشرفة إلى الشارع، ومن ثم احترقت طاولة التلفاز، مما استدعى طلب تدخل رجال الاطفاء، الذين ما إن غادروا البيت بعد إطفاء الحريق حتى هدأت الأمور وعادت إلى طبيعتها، وما زالت كذلك حتى اليوم، وقد تبين لاحقا أن هذه الحادثة ليست الوحيدة

في تلك البقاع، ذلك لأن أعضاء مجموعة العمل المختصة بمثل هذه الظواهر قد درست ست حالات مماثلة، طلب في جميعها من غالينا انا توليفنا التدخل في الأمر، فتدخلت وأكدت في كل الحالات على وجود أشخاص وراء تلك الظواهر يغذونها بإلهامهم ويُزودونها بأوامرهم، كما أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا من صنف السحرة بل على اطلاع على هذه الخبرات والقدرات، هذا وقد أعطت البصارة المذكورة وصفا دقيقا كل مرة للشخص الواقف وراء هذه الظاهرة أو تلك.

يقول رئيس مجموعة العمل الآنفة الذكر معلقا على هذه الحوادث: ـ "إن عملية إرغام "الفراغ"، ـ أوسموه ما شئتم ـ على التصرف فجأة بنظام محدد وعاقل ومتأثر بوجود الناس، هذه العملية غير المفهومة أرغمتنا على البحث عن تفسير لها، انطلاقا من الاعتراف بوجود تراكيب دقيقة لها صفة العقلانية والإدراك وتنصاع لأوامر محددة، وقد أكد لنا بعض ممارسي التواصل أو اليتليباتيا على أنهم يرون بالفعل هذه التراكيب، وقد استطاع بعضهم وضع وصف محدد لها، فجاء الوصف مختلفا ومتنوعا، ففي حالات البوليترجيست تحديدا وصفت التراكيب على أنها اشكال انتروبونورفية، وهذا ما يفسر على الأغلب ترافق هذه الظواهر بتهيؤات على أشكال بشر أو كائنات أخرى، فغالينا انا توليفنا ترى ـ عدا عن الأشكال الانتروبونورفية ـ كائنات تشبه الأفاعي وأخرى كروية الشكل كائنات حية أخرى غير التي نعرفها ونراها، أي كائنات كتلك التي نقرأ عنها في الأساطير ونسمع عنها في الخرافات، فعندما نُوم ابن عائلة بيلواوسوف مغناطيسيا، ومن ثم سئل عمن حرك الخزانة من مكانها، أجاب بأن ذلك كان خنزيرا دون أرجل وله قرن على رأسه.

إن ما يدعم هذه الفرضية أكثر من غيرها كون العديد من المختصين الأجانب يأخذون بها أيضا، فقد حدثتني البصارة البلغارية الشهيرة سلافكا في أشياء شبيهة بما ذكر آنفا،وسمتها لي يومئذ بالأشكال الفكرية التي تعتبر مخلفات للولائد والحالات الانفعالية، كما وأكدت لي البصارة سلافكا بأنها ترى هذه لكائنات، وتحس بها بنفس القدر الذي ترى فيه الأجسام الفيزيائية الملموسة ونشعر بها، وهذه الأشكال الفكرية تتمتع بالظاهر بما يشبه الإدراك، وتُذكر المرء بمخلوقات أسطورية تختلف عن بعضها حسب اختلاف الإفرازات الفكرية الانفعالية المولدة لها، لكنها ـ وفي نفس الوقت ـ تتشابه بكونتوراتها (محيطات أشكالها) حسبما تتشابه فيما بينها مجموعات الأحاسيس والأفكار.

كما لا يحيد عن مثل هذا التفسير الباحث يرميلوف رئيس مجموعة العمل المختصة التي ذكرناها آنفا، فقد قال لي معلقا: ـ" من المحتمل جدا أن يكون وراء ظاهرة البوليترجيست نوع من البروز، ومن ثم النشاط لتراكيب أو أشكال دقيقة في الفراغ، والسحرة الأخصائيون يعرفون في العادة طرق التأثير على هذه التراكيب، وكذلك الوقت المناسب لذلك، إذ من المعروف أن هذا التأثير يتم عادة في وقت محدد بدقة وبواسطة شفرات من الرموز معينه".

وغير هذا يؤكد يرميلوف على أن الأبحاث غنية في هذا المضمار، وأن هذه الأبحاث ستضع الأخصائيين عاجلاً أم آجلا على الطريق الصحيح المؤدي إلى ايجاد التفسير المناسب لظاهرة البوليترجيست والتحكم بها، وعند ذلك على الباحث والمختص أن يلتزم بالمثل الأخلاقية العليا كي لا يختلط الحابل بالنابل، كما عليهما الحذر الدائم من الوقوع تحت تأثير الإغراء والانجرار وراءه، ومن ناحيتنا نقول: إن هذا الحذر مطلوب محمود بالفعل، رغم أنه لا يخفف عنا الحمل الثقيل الذي نحمل، فنحن لا نستطيع تناسي الجرائم المروعة الفظيعة التي عرفتها البشرية منذ جنكيز خان وحتى معسكرات الاعتقال الهتلرية والستالينية، هذه الجرائم التي ارتكبت تحت راية الأخلاق السامية والأهداف المثلى وبغطاء منها، كما أننا نعرف تماما أن مرتكبيها وكذلك أتباعهم إنما كانوا على قناعة تامة بسمو الأهداف التي يسعون اليها.

لكن دعونا نعد لموضوعنا، فمن الواضح إذن أن فرضية الأشكال الفكرية والتراكيب الدقيقة تعود بأصلها إلى ما يعرف حرفيا بـ"المتحرك في الهواء"، ذلك لأن الحديث يدور هنا عن الأشكال المولودة بتأثير من الإنسان نفسه وكذلك بدونه، لأنها ـ أي الأشكال الفكرية ـ تبرز إلى السطح بفعل عمليتي تنظيم وبناء للفراغ ذاتيتين.

هذا وهنا جزء آخر من أبحاث الفيزيائيين والبيولوجيين السوفييت قد يشكل (ربما دون رغبة القائمين على هذه الأبحاث) ما يشبه الأساس النظري المبرهن على وجود الأشكال الفكرية أو التراكيب الدقيقة، فالدكتور آ.في.اخاترين ـمثلا ـ وضع من خلال تطويره للتصورات الفيزيائية عن التفاعلات الالكتروستاتية الضعيفة، وضع فرضية الجزيئات الدقيقة الشرطية، كما برهنت التجارب العلمية نظريته حول الغاز الميكرولبتوني ومن الممكن جدا ـمن خلال فرضيته ـتفسير الكثير من الظواهر البارابسيكولوجية التي تعجز الفرضيات الأخرى عن تفسيرها، خاصة وأن العديد من الباحثين يقول بإمكانية تشكل الكائنات والتراكيب الدقيقة من الجزيئات الميكرولبتونية أو من الغاز الميكرولبتوني، وحتى العلماء الذين لا يوافقون على نظرية اخاترين لم يبتعدوا بآرائهم كثيرا عنها.

فالعالم آ.غي. بارخوموف ـ مثلا ـ وضع على أساس فيزياء النيتيترينو نظرية تقول:

إن الأجسام السماوية ـوبالتحديد الأرض منها ـمحاطة بطبقة أو غشاء رقيق من النيترينو، يسمى بطبقة النيترينو. والنييترينو هذا يتشابه ويتطابق مع موجة ديبروئيل وطولها ميليمتر واحد،يحتم هذا الغشاء نشوء فعاليات كوانتيه ميكروسكوبية في طبقة النييترينو، أو بكلمات أخرى تشكل ما يعرف بالذرات الكاذبة أو أشباه الذرات، كما ويلزم هذا التطابق حدوث فعاليات أخرى متداخلة في طبقة النييترينو، وهذا ما جعل العديد من الباحثين يأخذون بالفعل بفكرة أن تكون الكائنات المسببة لظاهرة البوليترجيست مبنية بالتحديد على أساس النييترينو.

ـ هذا ولم يبتعد عن مثل هذه الفرضيات علماء البيولوجيا أيضا، فالدكتور في العلوم البيولوجية في.ام. اينوشين وضع وطور على مدى بضع سنين فرضيته الشهيرة حول البوبلازما (الجبلة الحية)التي تستند إلى أن كل جزء فيزيائي من الجسم العضوي مطعم ومخترق بنوع من البلازما الباردة، أو بتراكيب مبنية على اساس الكتروني ـ بروتوني، وبما أن المادة البيوكيميائية التي تتشكل على أساس الدماغ غير كافية لإعطائه القدرة على التفكير، فإن عملية التفكير تتم عمليا في مستوى التركيب البيوبلازمي، وهذا يعني أن الجزء الفيزيائي من الجسم العضوي يبين على أساس البرنامج الذي تحمله التشكلات البيوبلازمية، أي بكلمات أخرى ليس الجسم البيولوجي سوى جسم ثان (مكرر) فهو ينتج عن البيوبلازما.

والباحثون السوفييت يتابعون اليوم تطوير هذه الفرضية، انطلاقا من احتمال وجود التراكيب البيوبلازمية (البيوبلازمو ايدي) منفصلة عن الأجسام العضوية المشيدة لها، كما وليس من المستبعد أن تكون بعض هذه البيوبلازمو ايدات هي نفسها الكائنات اللاجسدية (العديمة الجسد) التي ترافق ظواهر البوليترجيست، أو بشكل أدق التي ترافق ظواهر رؤية الأشباح والأشكال البشرية، وبالفعل كثيرا ما تترافق ظواهر البوليترجيست برؤى للأشباح أو الأشكال والتهيؤات البشرية، فالاحصائيات تؤكد ظهور الأشباح وغيرها بنسبة واحد إلى ثلاثة من ظاهرة البوليتر جيست، وذلك منذ عرفت البشرية هذه الظاهرة وحتى يومنا هذا، فقبل مائة عام مثلا، وبالتحديد في بيت أحد الجنرالات في بيتربورغ (مدينة سانت بيتربورغ حاليا ـ م. المترجم) كانت تسمع وقعات أقدام وأصوات وتنفسات، بل وصفير أحيانا وغناء عذب أحيانا أخرى.

كما شوهدت أشكال بشرية بضع مرات بشكل واضح جدا، وفي الكثير من الحالات كانت الألبسة تتخذ لنفسها أشكالا بشرية ثم تجوب البيوت كمن يتنزه، كما أن الإحصائيات تقول بأن الأطفال هم الوحيدون القادرون على رؤية الأشباح في الكثير من حالات ظهورها، فعام ١٨٩١ ، في قرية غورينوفو التي من مقاطعة كورسك بقيت

حجارة وآجرات موقد بيت المزارع سيميون باشكوف تقلع وتتطاير من أماكنها طيلة عام كامل، وطيلة العام نفسه كانت ابنة المزارع ذات التسع سنوات تؤكد لأهلها أنها ترى أشكالا بشرية لحظة تطاير الآجرات، وفي مدينة كيميروف حيث ظهر البوليترجيست المتكلم الذي ذكرناه آنفا كان الأولاد يؤكدون لأهلهم رؤيتهم لرجل في زاوية الغرفة، كما رأت صاحبة البيت بضع مرات شكلاً بشرياً يسبح في الهواء قرب الزاوية وابن عائلة بيلواوسوف الآنفة الذكر أجاب مرة (وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسي) على سؤال المحقق عمن قذف المنبه: "لقد قذفته امرأة عجوز لها يدان طويلتان جداً".

هنا لابد من التذكير والملاحظة بأن الكثير من حالات البوليترجيست تترافق بظهور أياد بشرية دون أجسام، لكي نوضح لكم الأمر أكثر، وحتى تتمكنوا من التأكد من هذا، سأورد لكم بعض الحوادث الدالة على هذا الأمر، والمثبته بشهادات رسمية. ففي عام ١٨٧٠ مثلا شاهدت زوجة الاقطاعي الروسي فاسيلي شابوف ولعدة مرات يد طفل زهرية اللون تقرع نافذة البيت من الخارج بأظافر شفافة، أما الاقطاعي فيقول في شهادته:

ـ "في إحدى الأماسي كنت موجودا في الغرفة المجاورة لتلك التي تنام فيها زوجتي عادة، وفجأة سمعت أصوات طرقات في غرفة نوم زوجتي، فظننت أنها لم تنم بعد بل ترنم لحنا موسيقيا، قارعة بذلك أرض الغرفة برجلها، ولذا تسللت بهدوء نحو غرفتها،وما إن فتحت بابها حتى اختفت الطرقات، غير أن بالي انشغل أكثر إذ رأيت بأم عيني زوجتي تغط بنوم عميق، حين لم أصل إلى نتيجة، عدت أدراجي إلى غرفتي التي ما كدت أصلها حتى عادت الطرقات تصل إلى مسمعي من جديد، فعدت إلى غرفة زوجتي ولم أجد شيئا مرة أخرى،وهكذا تكررت العملية بضع مرات، حتى كدت أفقد صبري معها، لذلك ما إن سمعت الطرقات مرة جديدة، حتى ركضت بأقصى سرعتي نحو غرفة زوجتي، فما كدت أفتح بابها حتى رأيت بوضوح شديد يد طفل زهرية اللون، تقفز على أرض الغرفة بسرعة كبيرة، ومن ثم تدخل تحت الغطاء الذي تلتحف زوجتي، وتتوضع قرب كتفيها، لقد تأكدت من ذلك بتموجات اللحاف التي سببتها اليد، وقد تملكني الخوف وفكرت أني لو أيقظت زوجتي لماتت من الرعب، لذلك أغلقت الباب وعدت إلى غرفتي أتخبط في التصورات والخوف".

وهاكم حادثة أخرى وقعت في مدينة كيميروف، فهناك حدثت إحدى النساء بأنها كثيراً ما شاهدت هيئة بشرية في بيتها، غير أن القليل فقط من معارفها صدق ذلك، وقد استمر ذلك حتى استيقظت في إحدى الليالي تحت تأثير شعور بالخوف الفظيع، فرأت نفس الهيئة تقبع في زاوية الغرفة، فحاولت المرأة إيقاظ زوجها النائم بقربها، لكن يد الهيئة انفصلت عنها ثم اقتربت من المرأة وأمسكتها بحنجرتها محاولة

خنقها، لكن المرأة قاومت اليد بعنف مما ايقظ الزوج وأرغم اليد على الانسحاب نحو الهيئة، ثم الالتصاق بها والاختفاء وفي الصباح تأكد الجميع من أن صراعا وقع بالفعل بين المرأة واليد، وذلك بسبب الأثر الواضح الذي تركته أصابع اليد على رقبة المرأة.

وحادثة ثالثة سأنقلها لكم كما وردت في شهادة شاهدة العيان حرفيا.

تقول إمرأة من إحدى قرى سيبيريا في شهادتها: ـ"أقسم بالله أني عشت ذلك الكابوس، وأنا لا أقول إني رأيت ذلك الشيء (اعذروني على هذه التسمية فلا تسمية أخرى له عندي)، لكني أحسست بوجوده، بل وأمسكت بيده فكانت طرية لينه، لم يكن قد مضى وقت طويل على ولادتي لابني فوفكا، لذلككان من الصعب التحرك عندما شعرت بشيء ما يقفز على الموقد ويقترب مني، فحاولت الصراخ دون جدوى، إذ تهيأ لي أن صوتي قد اختفى، ولم يبقَ أمامي سوى يدي، فمددت يمناي نحوه وقبضت على يده، لقد تملكني إحساس بأن يدي تمسك بكتلة من القطن أو الصوف، لأن ما أمسكت كان طري اللون زغبي الملمس، وهذا ما زاد خوفي وأرغمني على محاولة تذكر شيء ما من الانجيل، ولم أفلح في ذلك فقلت بعفوية: يا رب، ثم أمسكت بيدي الأخرى بعصا كان زوجي قد وضعها بقربي كي أوقظه بها إذا ما احتجت شيئا، وذلك حتى لا أصرخ وأوقظ الأولاد ثم أيقظت زوجي، وطلبت منه أن ينام معي، فأجابني غاضبا: ـ"أجننت يا امرأة؟ لم يمض على ولادتك سوى يوم واحد"،فطلبت منه أن يفرش بقربي دون أن أشرح له الأمر، ففعل، لكني لم يغمض لي جفن طيلة تلك الليلة، التي ما إن حل صباحها حتى أتت إلينا حماتي فحدثتها بما جرى، فقالت لي: إني غبيه لأني لم أسأل ذلك الشيء عن قصده أهو خير أم شر، ثم اقتربت حماتي مني وتمعنتني باستغراب، ولم تنبس بعد ذلك ببنت شفة، لكنها أمرت ـ على ما يبدو ـ بإخفاء كل المرايا من البيت، ذلك لأني لم أر مرآة واحدة خلال الثلاثة أيام اللاحقة، كما لم يستطع أحد أن يرد على أسئلتي حولها،غير أنه في اليوم الرابع للحادثة وجدت إحداها، فنظرت لأرى آثار أصابع ثلاثة على إحدى جهات رقبتي، وآثار اصبعين على الجهة الأخرى منها. فعرفت لماذا أخفت حماتي المرايا من البيت. "هكذا إذن: يد طرية زغبية الملمس خماسية الأصابع، لكن هل هي بشرية أم قائمة حيوان؟ فأصابعها ليست بتوضع أصابع اليد البشرية، أي اصبع وأربع أصابع، بل اصبعان وثلاثة أصابع، إنه سؤال يستحق الطرح بالفعل، وعلى كل إن شهود عيان كثر حدثوا ايضا عن إحساسهم بوجود يد ما خفيه تمرب عبر الأبواب أحيانا، تكركر وترقص وتضرب أحيانا أخرى، هذا النوع من الضرب يكون مبرحا أحيانا، ويترك وراءه آثارا من جروح أو رضوض، فبوليترجيست جمعية "كومونار كا" الذي سبق ذكره في حديثنا طرد في إحدى الليالي الصبي يورا من فراشه،

وضربه "بمخمسية" (أي اليد ذات الخمسة أصابع) كما عبر عن ذلك الصبي نفسه، ولما فزع والد الصبي قذف البوليترجيست بكلمات نابية فضربه من جديد بمخمسية وبقوة أكبر وذلك على ردفه الأيمن، فصرخ الوالد غاضبا: ـ "سأقبض عليك أيها....."، ولكنه لم يتم جملته حتى عاد البوليترجيست وضرب بقوة أكبر على ردفه الأيسر، اضطر معها الوالد إلى السكوت.

وحول نفس البوليتر جيست أكد أحد أفراد العائلة أنه كان يُلكز كلما اقترب من خزانة المطبخ أو من الهاتف، كما كان يُضرب أحيانا بقوة على أذنيه وظهره، فينظر حوله دون أن يجد أحدا، وقد أضاف ذلك الشخص بأن الضرب كان يتم في العادة بأداة غير صلبة، لم يرها بالطبع لكنها كانت تذكره بهراوات رجال الشرطة المطاطية، وأما أخت الصبي يورا السابق الذكر فقد عانت أيضا من ذلك البوليترجيست، إليكم ما قالته معلقة على ذلك: ـ "لقد بلغ بنا الأمر مبلغا اضطررنا معه إلى هجرة البيت، ولما أتممنا استعداداتنا وأغلقنا الأبواب والنوافذ، وخرجنا، تذكرت أني نسيت خراطتي ونقودي، فوقف والدي ينتظرني في الطريق بينما عدت أدراجي لآخذ امتعتي، فما كدت أطؤ بقدمي عتبة المطبخ حتى ضربت ضربة على ظهري وأخرى على جنبي، فقلت بعفوية غير عارفة من أخاطب: ـ إني اعتذر عن الإزعاج، سأغادر حالاً. أما بماذا ضربني فأظن أنه فعل ذلك بقبضة يد.

إذن يمكننا القول دون أن نشك بصحة ذلك،بأن كل من عاشوا حالات البوليترجيست، كانوا ـ بشكل أو بآخر يشعرون بوجود أحد أو شيء ما في بيوتهم وشققهم خلال سير أحداث الظاهرة، والإنسان ليس الوحيد الذي يشعر بهذا الشيء الواحد، فالحيوانات وفي مقدمتها الكلاب تشعر بوجود كائنات في أماكن نشاط البوليترجيست، ففي إحدى شقق مدينة موسكو كان كلب العائلة يحاول جاهدا الهرب من الشقة كلما عاد البوليترجيست إلى نشاطه، حين لا يفلح في الهرب كان يدور حول نفسه وشعره واقف كإبر الشوك، وذلك على غير عادته حيث كان يجلس آمنا هادئا في مكانه المفضل، وحتى الكلب البوليسي المدرب والحامل للعديد من الأوسمة "مختار" لم يبتعد بتصرفه كثيراً عن الكلب الآنف الذكر، فعندما أحضر "مختار" مع دورية الشرطة للبت في قضية بوليتر جيست جمعية "كومونارِكا" التعاونية الزراعية، فإنه عبر صالون البيت بهدوء، لكنه امتنع امتناعاً باتا عن دخول الغرفة الصغيرة التي تليه، وتوقف عند عتبتها ضاما ذيله إلى مؤخرته، وضاغطا أذنيه على جسده، ولم يعد ينفذ أيا من الأوامر التي طالما نفذها بكل دقة، حين سنحت له الفرصة المناسبة، انطلق بأقصى سرعته نحو الحمام، واستلقى وعلامات الخوف والهلع تعلو سحنته، لذلك حاول رجال الشرطة

إخراجه من هناك، وبالكاد استطاع اثنان منهم القيام بذلك، ومن جديد عادت إليه طمأنينته وهدوءه لمجرد عبوره الغرفة الكبيرة أو الصالون كما سميناه سابقا، كما وعاد إلى طواعيته المعتاده، وزال عنه الخوف نهائيا عندما أخرج من البيت وبالمناسبة أذكر هنا أنه لمجرد خروج دورية الشرطة من البيت وقعت الغسالة الآلية على الأرض وتعطلت.

إذن فتصرف الكلاب في مثل هذه الحالات يؤكد فعلا أنها تشعر بوجود شخص ما أو كائن ما أوربما شيء مالايشعر بوجوده المرء دائما، وهذا الكائن يرغم الكلاب على ما يبدو على عدم التصرف كما في الحالات العادية، وذلك بالتأثير عليها بطريقة ما كالتخويف مثلا، ولكن ليس بالتواصل أو التيليباتيا وذلك لانعدام الإدراك لدى الحيوانات.

ما الأمر إذن؟ وأين يكمن حل اللغز؟ إن عددا لابأس به من الباحثين السوفييت الكبار يميل في الآونة الأخيرة نحو الأخذ بفكرة وجود كائنات على الأرض، خلقت أو كونت من بدايات وعلى أسس أخرى غير البداية والأساس البيولوجيين اللذين تعرفهما الحضارة الإنسانية، فالاكاديمي الطبيب في.بي. كازناتشيف، مثلا، لاينفي احتمال وجود أشكال للحياة على الأرض غير بيولوجية، وذلك كالأشكال الحقلية الفيزيائية (يقصد بكلمة الحقلية هنا النعت من كلمة حقول: كالحقل المغناطيسي وحقل الجاذبية وغيرهما ـم. المترجم)، والأكاديمي في.ال.غينزبورغ ميال أيضا لهذا الرأي، وذلك استنادا إلى قوله في كلمته أمام المجلس العلمي الذي انعقد في بيورو كان: ـ"إنه من المحتمل وجود كائنات ليست من المستوى الجزيئي الذي تعرف، بل هي من مستوى من الجزيئات أدق من الأول بكثير..."

إذن، وإذا ما كان الأمر على هذا المنوال، فإن المنطق يقتضي بأن مثل هذا الكائن الذي يشكل بنفسه حقلاً معينا من جزيئات جد دقيقة، لابد وأن يتمتع بقدرات وصفات غير عادية ولا اعتبارية من حيث وجهة نظر ومنطق الخبرات البشرية، فهو قادر على اختراق الأجسام الفيزيائية بكل حرية، وعلى العبور من خلالها وتمرير الضوء، وهذا يعني أن جهاز بصر الإنسان عاجز عن التقاطه، كما أن لهذا الكائن طرق ووسائل لاستخدام طاقة الفراغ المحيط مثالية ومتكاملة، وتختلف جذريا عن الطرق التي نعرف، وكذلك تسمية وهدف ومعنى وجود هذه الكائنات تختلف عن مثيلاتها عند الإنسانية، أي بكلمات أخرى هي كائنات تختلف عنا بأساسها ووجودها ووظيفتها، ومثل هذه الرؤية للكائنات الدقيقة ليست وليدة السنوات الأخيرة، وليس كازناتشيف ولاغينزبورغ وغيرهما من روادها رغم الجهود الكبيرة التي بذلاها ويبذلاها في هذا المضمار، فمؤسس علم الفضاء السوفيتي، الفيلسوف والنظري ادوارد تسيولكوفسكي طرح فكرة وجود

أشكال أخرى للحياة على الأرض في بداية قرننا الحالي، أي قبل مدة طويلة من ظهور فرضية احتمال قيام الحياة على اساس حقلي، وعلى أساس الجزيئات الدقيقة، وتسيولكوفسكي العالم كان شديد الاقتناع بانه وفي فجر تشكل الكون ولدت أو تكونت كائنات أخرى محددة لها بناء وتركيب يختلفان عن بنائنا وتركيبنا، أو ربما من نفس طينتنا ومادتنا لكن بشحنة أكبر مما نعرف بكثير، وخلال ملايين السنين من التطور استطاعت هذه الكائنات ـ كما اعتقد العالم ـ بلوغ ذروة الكمال، لكن السؤال الملح بقي يراود تسيولكوفسكي،وهو فيما إذا استطاعت هذه الكائنات الحفاظ على بقائها حتى اليوم، وفيما إذا كانت تعيش الآن بيننا غير مرئية لنا، وإذا ما كان تسيولكوفسكي رائد هذه الفكرة في القرن العشرين، فإنها ـ اي الفكرقـطالما وجدت لها مكانا مرموقا في العقائد والديانات الإنسانية، بل إني آخذ على عاتقي القول: إن هذه الفكرة (أو بالأصح فكرة وجود كائنات بيننا لا تستطيع أجهزة حواسنا التقاطها) أو التصور تعتبر أحد الاعمدة الرئيسية لكل العقائد الدينية المعروفة، وحتى لكل اساطير الشعوب السالفة، فالبحث يبين لنا أن أية عقيدة وأي نظام في الحضارة الإنسانية لم يخل قط من هذا العنصر، بهذا لابد لأولئك الذين يبحثون الظواهر الغريبة،ويحاولون فهم حقيقتها من دراسة رأى اللاهوت ورجال دين كل الأزمان حول ماهية هذه الكائنات،ولتكن كلمات القديس يوحنا الدمشقي بداية طيبة بالنسبة لمن يبحث في مثل هذه الظواهر، فالقديس يوحنا كتب حول الملائكة قائلا "الملائكة كنه ومعنى القداسة، هم موجودون في العقول والإدراك ولا يحتاجون للسان أولغة أو سمع أو بصر، ومن هذا فإنهم دون أن ينبسوا بينت شفة يتناقلون فيما بينهم أفكارهم ورغباتهم، وهم بطبيعتهم لا شكل لهم ولا هيئة كيلا يتجسموا كالاجسام ولا يحدون بأبعاد ودائمو الوجود في إدراكنا، والملاك لا يمكن أن يحدد بالمكان كجسم، لئلا يتخذ شكلا ولأنه غير موجود فيه أصلا، لكننا نتخيله ونتصوره ذهنيا هناك حيث يجب أن يكون ليقوم بمهمته...".

أما بعد كلمات القديس يوحنا الدمشقي هذه، فإنه لابد لي أن اعترف أن عجزنا عن إدراك وفهم التراكيب الدقيقة والكائنات الأخرى، ربما لا يقارن إلا بعجز الحشرات ـولنقل النحل مثلاعن إدراك وجود البشر، فالبشرية تعمل بتربية النحل منذ أكثر من مائة ألف عام، كما أنها وعلى مدى عشرة آلاف سنة، تقوم بتهجينه وتغيير أشكاله وصفاته، وتدرسه بدقة، وتكتب عنه المقالات والكتب، ومع هذا كله فقد أثبت العلم أخيرا أن الإنسان طالما بقي وما زال خارج إدراك النحل، فجهاز البصر عند النحل مبني بحيث لا يستطيع تمييز سوى الكونترات المبهمة للأشياء والأجسام القريبة، وفي معممة هذا السراب المعتم وهذه الصبيانيات من كونترات البشر والشجر والأعمدة والتماثيل وغيرها

لا يفرق النحل بين هذا وذاك، وتبقى كل هذه الأشياء سيان عنده، فالنحل على هذه الحالة، لايتخيل حتى وجود كائن يدعى الإنسان، ففي واقعه ومنطقه لا وجود للإنسان ولا للإنسانية، لهذا ربما نكون كالنحل أو بعض الحشرات الأخرى لا ندرك الكائنات الأخرى، ولا نستوعبها رغم أنها قد تكون بيننا أو بالقرب منا، لكن للحق نقول، إننا نشعر أو بالأصح نخمن وجود هذه الكائنات دون أن نعرف كنهها ومبررات وأهداف وجودها، اللهم إذا كانت موجودة بالفعل، كما لا نعرف إن كانت هذه الكائنات تربي البشر كما يربى هؤلاء النحل،لكن وفي كل الأحوال الحمد لله على عدم معرفتنا بهذا، فنحن على قول الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ومن غير المستبعد أيضا أن تكون هذه الكائنات التي لا تُدرك جزءاً واحداً ومحدداً مما هو خارج منطقنا وإدراكنا، فالعلم كُنز خلال السنوات الأخيرة بعدد كبير من الفرضيات، بل وببعض البراهين على وجود عوالم وكوائن أخرى موازية لعالمنا، وهذا التوازي وذلك اللاإدراك المتبادل وكذلك مجالات التماس المحتملة لهذه العوالم في الفراغ تعيدني كلها إلى النقطة الأهم في موضوعنا، ألا وهي ظاهرة البوليترجيست، وأخص هنا حادثة "الطبل التي وعدت بالحديث عنها، إذن فالتاريخ خريف عام ١٩٨٨ ، والمكان أحد بيوت الطلبة في مدينة موسكو، وتحديدا إحدى شققه التي تسكن فيها ثلاث صبايا هن فلوزا وتانيا وفيروزا اللواتي يتخصصن في مجال البناء، ففي مساء يوم خريفي من ذلك العام والصبايا يشربن الشاي في مطبخ الشقة سمعن طرقا على بابها، فتساءلن بين بعضهن عمن يكون القادم، إذ جرت العادة أن ينبهن بعضهن قبل وقت إذا ما كان أحد سيزورهن، وزاد من استغرابهن أن القادم لم يقرع الجرس بل دق الباب، وهذا مالم تعهده الصبايا من قبل، المهم أن فيروزا قامت بعد برهة وفتحت الباب لكنها لم تجد أحدا قربه ولا حتى في الممر الطويل لبيت الطلبة، فعادت لتشارك رفيقتيها شرب الشاي، وما إن عدن إلىتناول الشاي حتى عاد الدق بطرقات أقوى من الاولى، لكن السقف هذه المرة، ثم بعد برهة تدانت الطرقات من الزاوية البعيدة التي وراء خزانة المطبخ، لكن بما أن الفتيات ترعرعن في زمن الصم والبكم حيث كان محرما التحدث عن البوليترجيست أو الكتابه عنه، فإنهن ـ لحسن حظهن ـ لم يكن على أي علم بهذه الأمور ولا أي تصور عنه، إني أقول: لحسن حظهن لأن عدم اطلاعهن ومعرفتهن قد حررهن من الشعور بالخوف مما هو خارج حدود منطقنا وطبيعتنا، ذلك أنهن تقبلن الأمر

كحقيقة واقعة، واعتبرن أنه ظهر "شخص" رابع، أما كون هذا الرابع غير مرئي فجعل الأمر بالنسبة لهن أكثر إثارة وزاد الفضول، لهذا وبدل محاولة دراسة الشخص الرابع وتحليل مغزاه ووجوده وهدفه كما كان ليفعل أي عقل مشحون بردة الفعل التحليلية، سعت الفتيات الثلاث ـ وبكل بساطةلكسب صداقة وود ذلك "الشخص" الرابع وللعيش معه بأمان واطمئنان، وابتدأن خطتهن تلك في نفس المساء الذي ظهر فيه البوليتر جيست أو "الشخص" الرابع، وذلك بأن سموه بالطبل لأنه دخل عليهن بالدق والنقر، ثم فكرت البنات بأنه قد يكون ذلك "الشخص" الرابع قادرا على التفاهم معهن إذا ما كان قادرا على الدق والنقر، فقالت له فيروزا: ـ"لقد اتفقنا على تسميتك بالطبل، تعال نتحدث قليلا، أنا أسأل وأنت تجيب بالدق، فطرقة واحدة منك ستعني أنك موافق أو كلمة "نعم" طرقتان العكس أي "كلا"، هل أنت موافق؟ فجاء الرد فورا طرقة واحدة قوية، وهكذا بدأت حياة الفتيات المشتركة مع البوليترجيست. ومع أن معلوماتنا مقتضبة جدا وفقيرة حول ماكانت تتحدث به الفتيات معه، لكن ما وصلنا يثبت أنه كان يرد عليهن بعقلانية كبيرة ويطلعهن على أشياء لم يعرفن لها جوابا أو عنها شيئا قبل ذلك، وهذا ما يؤكد من جديد تمتع البوليترجيستات بمعلومات كبيرة، أما عن الطبل نفسه فاستطاعت الفتيات بواسطة "نعم" و "كلا" معرفة أنه كائن غير واع، صغير حسب مقاييسنا أو مراهق تقريبا، وأنه يعيش في عالم آخر حيث يشبه الجميع والجميع يشبهه، وأنه سقط من هناك أو تاه ولا يعرف طريق العودة.

هل يكون يا ترى هذا العالم الذي تحدث عنه "الطبل" هو نفسه العالم أو الكون الموازي لكوننا، والذي يتحدث عنه الفيزيائيون والرياضيون النظريون؟ تعالوا نرجع إلى "الطبل" فربما يتضح لنا الجواب أكثر.

إذن فقد انصهر "الشخص" الرابع في الفريق وراح يشارك في حياته بفعالية، وذلك من تنفيذ للأوامر حتى تحضير السندويش للفتيات وهن نيام، بل وحتى غلي الشاي.

هنا قطع نبع المعلومات الذي كان يمدنا بما يخص "الطبل" لأن باحثين مختصين (لا أحد من العامة يعرف من هم) بدؤوا بدراسة الظاهرة، لكن ما تسرب إلينا بعد ذلك يوضح أن الشقة زرعت بأجهزة، فاستطاعت تسجيل تحركات ذاتية للأشياء وأسئلة وأجوبة بواسطة الطرق، غير أن أجهزة التصوير العادية عجزت عن التقاط أي صورة "للطبل"، مما أرغم الباحثين على الاستعانة بأجهزة تصوير ليلية، فالتقطت صورة لكونتور يشبه الهيئة البشرية وبطول حوالي المتر، وبعد ذلك تابع الباحثون أعمالهم بأن تركوا أحدهم ليلا في الشقة كي يراقب الظاهرة عن قرب، فوجدوا في الصباح غطاء فراشه مقصوصا مناصفة بآلة حادة كالشفره،مما اضطر الباحثين إلى القيام بمحاولة لنقل الفتيات

إلي مكان مجهز خصيصا لبحث مثل هذه الظواهر، لكن المحاولات فشلت الواحدة تلو الأخرى حتى وافق "الطبل" نفسه أخيرا على ذلك بواسطة الدق، وعندما سارت بهم سيارة الفولفا عبر شوارع موسكو كانت فيروزا تسأل الطبل كل فترة: ـ"هل أنت معنا يا طبل لياتي الرد طرقة واحدة كان يشعر معها السائق وكأن السيارة قد وقعت في مطب وبصعوبة كان يسيطر عليها حسب أقوال السائق نفسه، لكننا ـ نحن المهتمين بهذه الظواهر، لا نعرف حتى اليوم إلى أين نقلت الفتيات ومعهن "الطبل"،ولا من يدرس الظاهرة،ولا ماهية المعلومات التي حصل عليها والتي تخص العالم الذي قدم منه الطبل".

لذلك لابد لي من أن انهي الحديث عن "الطبل" وقصته، والانتقال إلى ناحية أخرى مثيرة من نواحي فرضية قدوم البوليترجيستات الينا من عالم آخر مواز لعالمنا. لكن هل خمنت بنفسك ـ عزيزي القارئ ـما هي هذه الناحية المثيرة؟على الأرجح أنك لم تستطع ذلك، ولهذا سأورد لك بعض الحوادث الأخرى التي ستساعدك في مهمتك، فتفكيرنا يحتاج للتزود من وقت لآخر بزوادة من الحقائق والوقائع، التي تساعده في التعمق في فهم هذه الظاهرة أو تلك.

البوليترجيست ضد الجميع وضد كل شيء
تاريخ البوليترجيست في روسيا

في شتاء سنة ١٦٦٦ أبلغ القيصر الروسي الكسي الثاني ـ الذي من عائلة رومانوف ـ أن قوة شريرة استوطنت ملجأللعجزة واليتامى يقع قرب دير ايفانوف، وهذه "القوة الشريرة" لاتفتأ تزعج نازلي الملجأ ليل نهار بالنقر والطرق والصراخ بأصوات قبيحة،بل قد تمادت حتى أخذت تلقي بالنائمين من أسرتهم على الأرض، لذلك جمع القيصر حاشيته وتشاور معها في الأمر، فنصحه أحد المقربين إليه باللجوء إلى طلب المساعدة من أحد القديسين، فطلب القيصر ذلك من القديس ايلاريون الذي عرفت عنده قدرة التحكم "بالأرواح" والتواصل معها، غير أن القديس عاند طويلا متذرعا بضعفه الروحي، وعدم كماله لمثل هذه المهمة، مما اضطر القيصر إلى إصدار أمر ملكي يلزم ايلاريون بتنفيذ المهمة، فقدم القديس إلى الملجأ المذكور وراح يمارس طقوسا دينية معينة مترافقة مع رش الماء المقدس والصلوات إلى الرب،وقد استمر في صراعه مع بوليترجيست الملجأ خمسة أسابيع بدأت بعدها الظاهرة تضعف شيئا فشيئا إلى أن اختفت بعد ذلك نهائيا.

وعام ١٨٧٣ في قرية بارشوفو الواقعة في منطقة اراتوفسكي السيبيرية وخلال

الأسبوع الأخير من شهر كانون الأول حدثت أشياء غريبة في بيت القسيس المحلي ان.بي.تشفيتكوف، فقد راحت أدوات المنزل تتحرك وتتطاير تلقائيا، فالسماور المليء بالماء المغلي ارتفع عن الأرض وطار ذاتيا مسافة تقارب الارشينين (الارشين ـ وحدة قياس روسية قديمة تعادل ٧١ سم. المترجم) وآجر الموقد تطاير وتحطم على الأرض فتاتا، وأدوات الطبخ كانت تتطاير في كل الاتجاهات، ورغم كثرة تلك الحوادث ومحاولة المراقبة الدقيقة التي قام بها القسيس نفسه، فانه لم يستطع ولو مرة واحدة تسجيل أو رؤية لحظة ارتفاع الأشياء عن الأرض، إنما كان يراها في حالة طيرانهافقط.

وبعد أربعة عشر عاما من تلك الحادثة وقعت مثيلة لها في مشغل الصناعي سافيلييف الواقع في سيبيريا أيضاً المختص بمعاملة الجلود، ففي ليلة الأول من أيلول سنة ١٨٨٧ تكسر كل زجاج الجناح الذي تسكنه عائلة الصناعي، وفي نفس الليلة راحت الأواني المنزلية تتطاير في البيت وتتحطم، وقد أكد الصناعي وعائلته وأربعون من عماله رؤيتهم لكل ما حدث، لكن أحدا منهم لم يلاحظ أبدا لحظة بدء الأشياء بالحركة وبكلمات أخرى لحظة ارتفاعها عن الأرض، فكلهم رأوا الأشياء في حالة طيرانها فقط.

إذن، وفي كل حالات البوليترجيست، لا تسجل لحظة بدء الأشياء والأجسام بالحركة، بل تشاهد هذه عندما تكون قد تحركت بالفعل، وعلى هذا الأمر بالذات يركز اليوم الباحثون السوفييت، لكن تعالوا نلاحظ سوية أعزائي القراء أن الأمور تبدو وكأن الأشياء تختفي من إحداثيات عالمنا الفراغية قُبيل اللحظة التي تشاهد فيها في طور الحركة أو الطيران، وهناك ـ خارج هذه الإحداثيات ـ تزود بنبض أو قوة ما فتكتسب القدرة اللازمة لدخولها طور الحركة الذي نراه ونسجله، ولاحظوا معي أيضا أن نصاصات الورق والرسائل التي يلقي بها البوليتر جيست على ضحاياه تصل إلى الضحايا بنفس هذا المبدأ،أي مبدأ "اللامكان".

بربكم أليست هذه الملاحظة مدهشة؟أظنها كذلك بالتحديد، لكنها ومع ذلك تبدو لي من البساطة بحيث يصعب تصديقها.

لكن تعالوا نتابع بحثنا ومراقبتنا، أتذكرون قصة الإقطاعي الروسي فاسيلي شابوف وزوجته مع اليد الطفولية الزهرية اللون؟ إذا كنتم تذكرون فاستمعوا إذن لتتمتها، ذلك لأن لها خاصيات جد مهمة لبحثنا، يقول الإقطاعي متابعا حديثه:ـ "لم يغمض لي جفن تلك الليلة، فالخوف والقلق أغرقاني ببحر من التفكير، ومع ذلك كان علي أن أغادر البيت في الصباح كي أنهي أمرا مستعجلا في المدينة، لذلك طلبت من جارنا الشاب آ.اى. بورتنوف البقاء في البيت مع عائلتي المكونة من امرأتين عجوزين وطفلي، فوافق الشاب مشكورا، ولما عدت من المدينة بعد يوم وجدت في بيتي العجب، فأسرتي

جمعت حاجياتها واستعدت للرحيل، وذلك أن أحداثا غير معقولة جرت أثناء غيابي، فالأشياء راحت تحترق تلقائيا، وحتى الملابس التي كانت ترتديها زوجتي شبت فيه النار واحترقت، حين حاول الشاب الجار إطفاءها احترقت يداه، وهاهما الآن ملفوفتان بالشاش، أما زوجتي فحدثتني بأنها ما كادت تخرج صباحا من باب غرفتها حتى اهتزت الأرض تحت قدميها، ثم دوى صوت يصم الآذان، ولمعت في الأرض شرارة زرقاء اللون فلم تكد تصرخ طالبة النجدة حتى لفتها النار وفقدت ذاكرتها، ومع أن رداءها قد احترق كليا، فإنها لم تصب بأية حروق، إذن لم يبق أمامنا إلا الرحيل، وهذا ما فعلناه في نفس اليوم، فقد انتقلنا إلى القرية المجاورة حيث استضافنا أحد أصدقائي حتى نهاية فصل الربيع، حيث عدنا إلى بيتنا فهدمناه وبنينا على أنقاضه واحدا جديداً.

لاحظوا معي هنا ـأعزائي القراء ـأن النار التي تهب مشتعلة في حالات البوليتر جيست تؤثر على الناس تأثيرا اختياريا، ففي المثال السابق مثلا احترقت يدا الشاب بورتنوف الذي حاول مساعدة زوجة الإقطاعي المشتعلة، بينما، وفي الوقت نفسه لم تصب الزوجة بأي أذى، والشهادات التي وصلتنا تدل على الكثير من مثيلات هذه الحادثة،فنحن نعرف حوادث مثلها وقعت في مدينة سيكتيفكار في شمال الاتحاد السوفيتي، وكذلك في موسكو حيث احترق معطف من الفرو غالي الثمن وذلك في إحدى الشقق، فراح الحضور يطفئون النار بأيديهم ومع ذلك لم يصب أحدهم بأذى ولا شعروا بتأثير النار على أيديهم.

إذن فلنثبت في ذاكرتنا هذه الناحية التي لا تتوافق ومنطق وواقع عالمنا، فلنثبت ذلك لأننا سنعود إليه لاحقا، أما الآن فلنتابع الحديث.

لقد حدثني أحد المهتمين بظاهرة البوليترجيست عن حادثة وقعت في سيبيريا، واستخدمت فيها طريقة غريبة طريفة للتخلص من البوليتر جيست، فقد نقل عن أحد الإقطاع السيبيريين أن أصواتا غريبة وطرقات كانت تسمع في مكان ما من بيته، وكذلك كانت آجرات الموقد في ذلك المكان تتطاير في الهواء بكل الجهات، لذلك اضطرت عائلة المالك هجر ذلك المكان والاكتفاء بالجزء الباقي من البيت، وقد استمرت تلك الأمور الغريبة تحدث حتى قدم إلى القرية غجري مختص بخصي الخيول والعجول، فلما حدثوه بالواقعه أجاب بأن الأمر بسيط جدا، ولا يحتاج سوى لدستة من ورق اللعب، فاشتروا بالفعل دستة ورق لعب، وأعطوها للغجري الذي وضعها بدوره على باب الدرج المؤدي إلى المستودع الموجود تحت أرضية إحدى غرف البيت، وبعد أن تأكد الجميع من وجود ورق اللعب هناك أغلق باب المستودع، وطمأنهم الغجري قائلا: إنه بالإمكان منذ الآن استخدام الجزء من البيت الذي هجروه سابقا، ذلك لأن الجني الذي

يستوطنه سيتسلى منذ اللحظة بورق اللعب ولن يعود لمشاكساته السابقة، وبالفعل اختفت الأصوات منذ ذلك اليوم، ولم تعد تتطاير آجرات الموقد، وكذلك اختفت دستة اللعب ولم يعثر لها على أثر، أما الإقطاعي وعائلته فلم يبق في ذاكرتهم شيء من تلك الحادثة سوى كلمات الغجري: ـ"كان الجني يتسلى بكم لعدم توفر شيء آخر يتسلى به".

هنا لابد لي أن أعود بذاكرتكم إلى حادثة عائلة سافين التي مرت معنا سابقا، وأربط لكم مشهدا من مشاهدها مع حادثة الإقطاعي السيبيري، فقد جاء في شهادة أحد أفراد عائلة سافين أنه لما تفاقمت الأمور كثيراً في البيت، قررت السلطات إبقاء أحد رجال الشرطة واثنين من المتطوعين طيلة الليل في البيت من أجل سلامته ومراقبة ما يحدث، فبقي أولئك الأشخاص الثلاثة يتسلون بورق اللعب، طيلة الليل،فلم يقع آنذاك ما يعكر الصفو أبدا وذلك على غير ما عهدنا".

إني بوضعي هذين المشهدين قرب بعضهما وكذلك محاولتي الربط بينهما بصفة ما محددة، لا أبغي مطلقا إظهار صفة ما ثابته أو قانون مبرهن عليه يُحددان إطار تصرفات البوليترجيست، فمثل هذه المحاولات طالما باءت بالفشل،وما إن يبرز إلى السطح قانون يُومي بالثقة، حتى نصطدم بواحد آخر مخالف وناف له. تعالوا نستوعب الأمر أكثر بواسطة مجموعة من الأمثلة من الواقع،فعائلة سافين، ـ مثلا ـ رحلت عن بيتها حين أزم البوليترجيست الوضع جدا هناك، غير أنها لم تتخلص منه برحيلها، فالبوليترجيست لحقها إلى مكان إقامتها الجديد، و"الطبل" هل تذكرون أنه لحق بفيروزا والفتاتين الأخريين إلى مكان إقامتهن الجديدة؟. وهناك العديد من الحوادث التي تدلنا بشكل لا يقبل الشك للوهلة الأولى على أن للبوليترجيست ارتباطا أساسيا بالإنسان أو البشر، لكن الإحصائيات والشهادات الثابته التي بين أيدينا تشير إلى العكس وتبرهن على أن البوليترجيست أكثر ارتباطا بالمكان وليس بالإنسان، فكثيرا ما حدث أن تغير ساكنو أماكن ظهور البوليترجيست بينما بقي البوليترجيست في مكانه، هذه هي إذن علاقة لها ما ينفيها، وهناك علاقة أخرى أيضا تبدو ثابته للوهلة الأولى ألا وهي ارتباط الظاهرة بأحد أفراد العائلة، وخاصة المراهقين والأطفال، وهذا ما يثبت بتوقف الظاهرة أو انعدامها في حالة تغيب ما سميناه "بحاملها" عن المكان وكذلك خلال نومه، أما إذا ما انتقل الحامل إلى مكان آخر فان البوليترجيست ـ وكما لاحظنا سابقا ـ سيتبعه إلى هناك، والإحصائيات تقول بأن هذا الأمر صحيح، أو أن هذه العلاقة مثبته في حوالي التسعين بالمائة من الحوادث، لذلك قد لايشك أحدنا بوجودها، لكننا نعرف أيضا عددا غير قليل من الحوادث التي كان فيها البوليترجيست يواصل تأثيره في غياب حامل الظاهرة، وهذا

ما يضطرنا إلى الاعتراف بأن القانون الوحيد الثابت والمبرهن عليه هنا هو أنه ما إن يسجل صفة ما محددة للبوليترجيست أو لظاهرته، حتى تبرز واحدة أخرى معاكسه ونافية لها.

تعالوا نتذكر أيضا قصة طرد القديس ايلاريون للبوليترجيست (أو "القوى الشريرة" كما سموه آنذاك) برش الماء المقدس وإقامة الصلوات، ولنتذكر أن هذه الحادثة مثبتة ومدونة في الارشيف الرسمي، وهي ليست الوحيدة في مجالها، ففي سنة ١٨٩٣ ما كادت ضحية البوليترجيست في مدينة توبولسك ترش الماء المقدس وتقيم الصلاةحتى انعدمت الظاهرة، وعادت الأمور إلى مجراها السليم. اذن يبدو وكأن العلاقة بين الشعائر الدينية والبوليترجيست موجودة ومبرهن عليها بالفعل، لكن لا تستعجلوا الحكم لأن الكثير من البوليترجيستات لم يتأثر أبدا بالماء المقدس ولا بالصلوات، بل إن بعضها كان يزداد عنفا وتأثرا عند إقامة الشعائر الدينية، ففي إحدى المرات التي أقيمت فيها الشعائر اللازمة لطرد البوليترجيست وذلك في إحدى الكنائس،راح الماء المقدس يسيل على الأرض ذاتيا والتوت الصلبان المعلقة على الجدران وتشوهت، وتفاقمت الأمور لدرجة اضطر معها الأمير دولفوروكوف لتحريك قضية جنائية، وقد ذكرهذه الحادثة الشاعر الروسي الكبير بوشكين في مذكراته قائلا: ـ" المدينة كلها مشغولة بحوادث غريبة تقع في أحد أجزاء اسطبلات القصر الملكي، فهناك خطر ببال قطع الأثاث الرقص، فصارت تقفز تلقائيا، ولما أقيمت الشعائر الدينية لإيقاف ما يجري التوت صلبان الكنيسة، وانسكب الماء المقدس، ولم تتوقف الكراسي والطاولات عن الرقص، فاضطر الامير دولفوروكوف لتحريك قضية جنائية،لكن ضد من؟".

هكذا إذن نلاحظ علاقتين متضادتين تقول أولاهما: إن الشعائر الدينية توقف ظاهرة البوليترجيست،وتؤكد ثانيتهما العكس تماما، لكن يبقى الشيء المنطقي الوحيد هنا هو أن كلا التأكيدين صحيح في حالاته وحوادثه فقط.

وعلى هذه الشاكلة أيضا يمكننا استنتاج اثباتين متعاكسين لصفتين متضادتين للبوليترجيست الناري، فنار هذا تحرق البعض وتشوهه، بينما لا تمس البعض الآخر بأي أذى، وقد سبق وتأكدنا معاً من هذا الأمر، ولظاهرة البوليترجيست الناري صفتان أخريتان متضادتان يجب ذكرهما، فالباحث فومنكو الآنف الذكر يستنتج من خلال درسه وتحليله للبوليترجيست الناري أو بالأصح لظاهرته، بأن سير هذه الظواهر يوحي للمرء بأن التدابير الأمنية اللازمة تراعى عند نشاط هذا البوليترجيست، فالحرائق تشب حيثما يوجد الناس القادرون على إطفائها والماء اللازم لذلك، لكن الواقع يقول عكس ما يقوله فومنكو، فكثيرا ما شبت الحرائق في غياب الناس عن الموقع،مما أدى إلى احتراق

بيت أو مجموعة من البيوت، كما حصل في مدينة ليبتسك رغم كل جهود رجال الإطفاء. إني أعيد القول مرة أخرى وأؤكد عدم مسعاي لإيجاد صفة ما ثابته للبوليترجيستات، وذلك من خلال سردي للحوادث المتضادة المفعول والتأثير، وإنما أبغي فقط الإشارة إلى خاصية هذه الظواهر فتضاد صفات البوليترجيستات هو في الحقيقة الصفة الوحيدة الثابتة والتي لا مضاد لها، وهذه الخاصية تجعل صعبا جدا وربما مستحيلا تأطير ظواهر البوليترجيست بقوانين أو مصطلحات المعرفة الموضوعية، فهذه لا تسمح لنا أبدا القول ـ مثلا ـ إن هذا الشيء كروي الشكل بينما هو مربعه في نفس الوقت، كما سنوصف بالجنون إذا ما أكدنا أن ذلك الشيء أبيض اللون وأسود في آن واحد.

لكنها ـاقصد صفة التضاد ـ موجودة لا محالة عند البوليترجيست، هذه الصفة التي طالما نعتت بها المناهج الصوفية ـومنذ آلاف السنين ـ الواقع الحقيقي للأمور، لأنها الوحيدة بالفعل القادرة على وصفه، وهي الصفة التي اعترف بها العلم أخيرا وسماها "انتينوميا" واصطلح على أنها تستخدم كوصف لعنصر البحث بمجموعة من التضادات، واليوم يستخدم العلم الانتينوميا لوصف الظواهر الواقعة بتصنيفها خارج إطار التجربة اليومية الاعتيادية، بينما تعتمدها التعاليم الدينية لوصف ما هو خارج حدود واقعية هذا العالم، لكن هل يعني هذا أن ظاهرة البوليترجيست التي لا يمكن تأطيرها ونعتها إلا بصفة التضاد هي مما وراء حدود واقعية عالمنا؟، وهل يستنتج من هذا أنه وراء هذه الحدود، هناك في الجانب الآخر، تعيش تلك الكائنات التي يخيل لنا أنها ترافق ظاهرة البوليترجيست، وربما تكون مسببتها وخالقتها أصلا؟ إننا لا نعرف بالتحديد ما إذا كانت هذه الكائنات دائمة الوجود في عالمنا الفيزيائي، أم أنها تزورنا قادمة من عوالم أخرى موازية لعالمنا، وكذلك ما إذا كانت هذه العوالم الموازية لا تشكل إلا جزءً من عالمنا المتعدد الأبعاد، فالرياضيون النظريون توصلوا في الآونة الأخيرة إلى وضع نماذج مثالية تثبت أن لواقعنا أو عالمنا ليس ثلاثة أبعاد فقط أو أربعة إذا ما احتسبنا الزمن، بل أكثر من هذا العدد بكثير.

إن وجهة النظر هذه لا تشكل لي ولا للآخرين رأيا نهائيا مثبتا، لذلك قد يكون من المناسب التفكير بالنواحي التي طالما أعاقت عمل الباحثين في ظواهر البوليترجيست، تكمن الأولى منها في أن تصرف البوليترجيست عديم المنطق، ومجهول الهدف والمغزى بشكل صارخ، ولو بالنسبة لنا نحن مجتمع البشر، والناحية الثانية هي استحالة تفسير الأحداث التي ترافق الظاهرة بقوانين عالمنا الفيزيائية، كمسار طيران الأجسام واختراقها للحواجز الصلبة، وكذلك المعلومات الكبيرة التي تتمتع بها البوليتر جيستات وغير ذلك، أما الناحية الثالثة فهي تضاد وتعاكس صفات البوليتر جيست،فما إن تبرز صفة له حتى

تصطدم بأخرى نافية لها، وهناك أيضا ناحية رابعة لا تقل غرابة عن الثالثة، وقد اكتشفت منذ مدة قريبة ولها أهميتها الخاصة بالنسبة للظاهرة، إني أقصد هنا التغير الآني لدرجة حرارة الأجسام المتأثرة بحالة البوليترجيست،ففي مدينة غوركي قام الاخصائيون بمراقبة درجة حرارة الأجسام المتعرضة لتأثير البوليترجيست، وذلك باستخدام راديو ترمومتر، فسجل تغيرا آنيا في درجة الحرارة في اللحظة التي كان يبدأ فيها تأثير البوليترجيست على الأجسام، أما الحلقة الأ خيرة في سلسلة صفات ظواهر البوليترجيست الهامة فهي تلك التي تشير إلى أن عملية تزويد بالمعلومات ومن ثم محوٍ لهذه المعلومات تجرى مرافقة للظاهرة، فقد سبق وذكرتكم في معرض حديثي بأن ابن العائلة التي اصطدمت بمثل هذه الظاهرة في مدينة غوركي أخضع لتنويم مغناطيسي، وسئل عمن كان يحرك الأشياء في البيت فأعطى وصفا دقيقا لمن قام بذلك، لكنه وبعد انتهاء عملية التنويم، لم يتذكر كلمة واحدة مما قاله للتو، وقد لفتت هذه الناحية انتباه الباحثين، فتعمقوا في درسها وتوصلوا لنتيجة أن المعلومات التي تكتسب عند نشاط البوليترجيست تمحى من الذاكرة لحظة انتهاء هذا النشاط، وهذا لا يتوافق مطلقا مع حقائق عالمنا الواقعية، اذن اين الحقيقة؟ ان لدينا احتمالين فقط للأمور: فإما أن تكون ظاهرة البوليتر جيست كأشعة الشمس تصلنا من عالم أو بعد آخر مخترقة بذلك واقعنا وحقائقنا، وإما أن تكون حقائق عالمنا الواقعية أوسع بكثير مما نعرف ونتصور، وأنا شخصيا أرى كلا الاحتمالين المذكورين منطقيان بنفس المستوى والدرجة. ولهذا ليس من المستبعد أبدا أن يكون الكمال والمثالية اللذين نتصورهما لواقعنا ومنطقنا متضادان ومتنافيان مع نفسيهما، كما هي الحال عند صفة من صفات البوليترجيست.

وأخيرا فإني أرى من خلال بحثي لظاهرة البوليترجيست ولكل الجهود الهادفة لإيجاد تفسير لها، أرى سعيا للانسان ملحاحا وغير مبرريقصد وراءه الحصول الفوري على أجوبة لكل ما يخطر بذهنه من أسئلة، وهذا يهدف بدوره للتهرب والتخلص من التباس أو غموض يصطدم به المرء، قد تسألون لماذا؟ فأقول لأننا ـ مجتمع البشر ـ يقتلنا التوتر والعصبية والخوف وعدم الراحة حينما نصطدم بما هو مجهول لنا، والمذنب في ذلك بالطبع ذاكرتنا، التي ما زالت تحتفظ في مورثاتها بخوف بدائي أزلي اكتسبته الإنسانية منذ كان الإنسان البدائي يسكن الكهوف، خوف مما هو خفي ومما هو مجهول، ذلك لأنه بالنسبة للإنسان يبقى الخفي يهدد حياته، والمجهول يحمل له الموت والتعاسة، فالإنسان يتصور أن هناك عدوا دائم التربص به، وبرأيي إن سبب استعدادنا الشديد والدائم لتقبل كل الفرضيات والنظريات والتفسيرات، إنما يكمن في رغبتنا التي لا حدود لها في التحرر من خطر ماهو خفي وما هو مجهول، وهذه الفرضيات

والنظريات والتفسيرات تؤمن بالفعل لنا ما نريد.

لكن علينا أن لا ننسى أو نتناسى أن الطفل يترعرع متحررا من خوفه شيئا فشيئا وخطوة فخطوة، وكذلك الإنسان ذو الوعي الروحي العالي يجب أن يتعايش مع اللغز أو الألغاز بسلام، ودون أن يسيء إليه أو إليها بفضوله الهادف للتخلص من الخوف الذي تسببه هذه الألغاز، هذا يعني أن على الإنسان التحرر من السعي الملحاح الهادف لفهم كل شيء، وحل كل لغز، وإعطاء كل شيء تفسيرا مقبولا، وذلك لمصلحة الإنسان والإنسان وحده. فلا أحد يضمن لنا أبدا ألا تتضارب هذه المصلحة مع مصلحة أخرى فنلقى مالا تحمد عقباه، عدا عن هذا فإننا نتصف بالعقل والإدراك، وهذا ما يميزنا عن الحيوان الذي لابد سيقوم عند رؤيته لشيءجديد بمحاولة سبر طعمه ورائحته أو حتى التهامه، فتعالوا نصبر قليلا ونتعايش بسلام مع مالا نفهم، وسنصل إلى ما نصبو إليه، فكل شيء يسير بمجرى محدد، ولكل شيء زمانه ومكانه، فلا نستعجل الأمور، ولنبحث ولندرس دون أن نسيء إلى أحد أو شيء كيلا يساء إلينا.

* * * * * * * * *

****

المحتوى

منشورات دار علاء الدين

١ ـــ التشريعات البابلية ـ تأليف عبد الحكيم ذنون.
٢ ـــ مذكرات عن الانقلاب العسكري ـ م . غورباتشوف .
٣ ـــ كيف تكونين جميلة ـ زويا ميخائيلينكو .
٤ ـــ المساج النقطي ـ زويا ميخائيلينكو .
٥ ـــ الطب الشعبي ومجالاته ـ جارويس .
٦ ـــ دليل السائح الروسي ـ د . ماجد علاء الدين .
٧ ـــ قصص قصيرة ـــ تأليف ليف تولستوي ـ ترجمة رسلان علاء الدين .
٨ ـــ قفزة ـ تأليف ليف تولستوي ـ ترجمة ريما علاء الدين .
٩ ـــ قصة الوقت الضائع ـ ترجمة رسلان علاء الدين .
١٠ ـــ حكاية العملاق العجيب جونغ ـ ترجة ريما علاء الدين .
١١ ـــ طائر الكريم ـ مجموعة قصص ـ تأليف : وهيب سراي الدين .
١٢ ـــ أسرار الكون . تأليف مجموعة من العلماء .
١٣ ـــ القوة العصبية . تأليف د. بول بريغ .
١٤ ـــ العلاج بعصير الخضار والفواكه . تأليف: نورمان ووكر .
١٥ ـــ دليل مريض السكر . ترجكة : لجنة الترجمة في دار علاء الدين
١٦ ـــ الطريق الى الصحة : كيف يتغذى المعمرون .
١٧ ـــ صفحات من تاريخ فن الرقص في العالم . اعداد: فائق شعبان
١٨ ـــ الأجسام الطائرة المجهولة . تأليف كوزوفكين و سيمينوف .
ترجمة : د . ماجد علاء الدين و د. محمد مخلوف
١٩ ـــ علاج الأمراض الجلدية بالأعشاب ـ تأليف: ب. دانسكوفسكي

تحت الطبع

١ ـــ العرافة وسوسة أم ...؟ ـ مجموعة باحثين .
٢ ـــ كتاب محادثة ـ عربي ـ روسي . تأليف: د. ماجد علاء الدين .
٣ ـــ تقليم أشجار الفاكهة ـ ترجمة ـ طه شيخ حسن
٤ ـــ أعشاب الشفاء اعداد د. ماجد علاء الدين ـ زويا ميخائيلينكو

كتب توزعها الدار

١ ـــ الاخوة كنيدي ـ تأليف أ . غروميكو .
٢ ـــ صفحات مجهولة من حياة تولستوي ـ تأليف لومونوف .
٣ ـــ رحلة المخاطر ـ ماركيز .
٤ ـــ اسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية ـ د. غازي حسين .
٥ ـــ الجريمة على الطريقة الامريكية ـ ترجمة فؤاد جديد .
٦ ـــ الواقعية في الادبين السوفييتي والعربي ـــ تأليف د. ماجد علاء الدين.
٧ ـــ محاكمة سقراط ـ يوري فانكين.
٨ ـــ ستالينغراد ـ المارشال تشويكوف.
٩ ـــ تيمور وفريقه ـ للناشئة ـ تأليف أ. غايدار .
١٠ ـــ مغامرات بوراتينو ـ أ. تولستوي
١١ ـــ البلدان النامية والعلاقات الإقتصادية الخارجية ـ ترجمة : د . ماجد علاء الدين.
١٢ ـــ النطع ـــ تأليف : جنكيز ايتماتوف ـــ ترجمة : د . ماجد علاء الدين
١٣ ـــ لاتنسى تكة السروال ـ تأليف عزيز نيسين
١٤ ـــ قصة الذهب ـ يوسف البجيرمي.
١٥ ـــ الاتحاد السوفييتي من اليوتوبيا الى الكارثة ـ بوكوفسكي
١٦ ـــ البيوت الزراعية ـ لان وولز
١٧ ـــ حدائق النوافذ ـ جون براكن
١٨ ـــ طبيب نباتات الزينة ـ هازل ايفانس
١٩ ـــ صناعة العقود الخرزية ـ هيلينا هورتنغ
٢٠ ـــ قصة اختراع ـ كنت ايرلاند

ت.ف: 4/4/4 تاريخ التسلم: 2/4/2006

هذا الكتاب

كثرة الأقاويل، وتعددت الحكايات والمعلومات والشهادات التي تناولت موضوع الصحون الطائرة، أو الأجسام المجهولة القادمة من كواكب أخرى.

يتناول الباحثون والعلماء في هذا الكتاب بالدراسة والتحليل شتى هذه الظواهر. معتمدين على المعطيات العلمية التي تنير الطريق أمام القراء على اختلاف مستوياتهم.

الناشر